NDU Spirit نشرة دوريّة
حول علامات الحياة
في عالم جامعة سيّدة اللويزة
تصدر عن مكتب العلاقات العامّة.

حزيران ٢٠٠٤ العدد ٣١

هيئة استشاريّة
عمداء الكليّات

رئيس التّحرير
جورج مغامس

التّحرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر

تَتَبُّع أَنشطة
غادة معوّض

مشاركة
مندوبو الكليّات والأندية الطلاّبيّة

إخراج
تكنوپوب

طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

جامعة سيّدة اللويزة
زوق مصبح: هاتف:٥/٤/٢/١/٢١٨٩٥٠(٠٩)
برسا: هاتف:٧٤٩٤٠٢ (٠٣) – ٣/٢/١٠١/٤١٦١٠٦(٠٦)
دير القمر: هاتف: ٦/٥/٤/٢٠٢/٥١١٢٠٥(٠٥)

www.ndu.edu.lb/newsandevents/nduspirit

في العدد

قوارض السلطة والمال....	جورج مغامس	٢
مؤتمر: حروب الأديان وسلامها...		٤
مؤتمر: فرص العمل في لبنان		٨
روّاد لبنانيّون: قازان – فريحة – لبكي – العلايلي – «خالد» الريحاني		١١
ندوة: يوم فؤاد افرام البستاني.. في اللويزة		١٤
بول غيراغوسيان حيّاً في لوحاته.. في اللويزة		١٧
حلقة: الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم		٢٣
مؤتمر: التربية في العائلة		٣٠
وسام ومفتاح.. ولكتب عديدة		٣٣
كونشرتو الربيع		٣٩
حول «الوحدة في التنوّع» لأديب صعب		٤١
اتحاد الجامعات العربيّة .. في اللويزة		٤٢
اتفاق الطائف: إلغاء أم تعديل؟	د. ادوار صيّاح	٤٤
مشكلة الدين العام اللبنانيّ	د. لويس حبيقة	٤٧
مقاومة الاحباط ممكنة	د. ماري خوري	٥٠
الحوار الاسلاميّ المسيحيّ	الشيخ محمد النقّري	٥٣
حلوى الديمقراطيّة	د. عمر ريفي	٥٩
حرمون الشاعر والتاريخ	د. عصام الحوراني	٦٠
الترجمة والعولمة	د. أنطوان ي. صفير	٦٣
شخصيّة المرأة في الرواية اللبنانيّة	د. منصور عيد	٦٦
المعلّم بطرس البستاني والصحافة	د. جوزف الياس	٧١
روّاد الحركة المسرحية اللبنانيّة في مصر	د. سوزان عكّاري	٧٣
اللّغة العربيّة: إلى أين؟	د. الياس رزق	٧٥
محاسن الطرب في بدائع العرب	د. سوسن النجّار	٧٦
التذكير في ألقاب الاناث	د. جوزف الياس	٧٨
بخور مريم	د. أمين الريحاني	٧٩
كأن أسقطت ذاكرتي	ريمون شبلي	٨٠
تحت مدى القلب	إيلي مارون خليل	٨٠
ذات الذكريات	جورج مغامس	٨١
لقيّة: مدح الحرديني	الخوري أرسانيوس الفاخوري	٨٢
الفضيلة كذبة	الأب بطرس بو ناصيف	٨٤
شهّل يا قيصر	أنور صابر	٨٥
قطاف ...	شوقي عيد	٨٧
الجامعة توقّع كتبها		٨٨
إصدارات جديدة		٨٩
دليل المنشورات		٩١

اللهمَّ، أَعنّا على إعلامنا؛ فكثيرُه للحرب، وقليلُه للسلام. ويا ويلَ مَن منّا يستحي أن يَجهرَ بحقيقته، هذا الاعلام، كيف هي وكيف يجب أن تكون، فإنّ دمَ الأمانة عليه وعلى أبنائه...

اللهمَّ، الحَصادُ كثير والمبدعون قليلون.. فَهَبْ إعلامَنا الصبرَ على الإبداع، هذا التحدّي الكبير...

❖❖❖

واستطراداً،

وإذ نحن اليوم على أبواب الفصل الثاني، والأخير ربّما، من المجمع البطريركيّ الماروني، فأيُّ قول يُقال في الإعلام الذي من همومه الكبرى؟

ففي النصّ الأوّليّ الذي يقع في ٣٣ صفحة، فضلاً عن بعض أحكام ونظرات ملتبسة أو ظرفيّة، معلوماتٌ وشروحات تُستفاد من غير مرجع ومصدر، نرى أنّ التبسّط فيها، على ما حدث، هو من لزوم ما لا يلزم، بل في غير موضعه، في مجمع كنسيّ، جُلُّ شأنه ليس اشتهاءُ الارتقاء على السلّم، بل توسّله إلى زهور تُمتع وثمار تفيد.

فالمقام لا يَحتمل أن يُحمّل بهذه الأرشفيّة الريبورتاجيّة والأكاديميّة وسواها. يكفيه أن يأخذ منها بطَرف أو بلُطف. ففي حَفنة، يَنفخ الرّوحَ، ويقرأ علامات الزمن، ويضع السراجَ على المنارة!

ثمّ إنّ من أوجدَ كلّ هذا العجين، لقادرٌ أن يُخرج منه خميراً لعجين جديد، يُكسّر خبزُه في ملء زمان هذا المجمع!

لا. لن أضيف شيئاً إذا قلتُ إنّ الإعلام مالئ الدنيا وشاغلُ الناس؛ وليس من سبيل، لأيّ كان، إلاّ أن يُميل إليه أذنه وعينه، يَسمع ويشاهد ويَقرأ ما يَنفع ويَضرّ أو يَجمل وينفّر... أَفَليس هو هذا الإعلام سيولاً، تبدو السدودُ، دون المائج الهائج منها، هشّةً، فتجتاحَ منّا حرمات القيم وتنصّبَ المحرّمات غرباناً على خرائبها؟!

ألا إنّ الإعلامَ، اليوم، وفي مراياه البابليّة صُوَرٌ من سادومَ وعامورة، سلعةٌ سلعِ عبادات المال بأشكال وأنواع شتّى، في شعاب الحياة طُرّاً...

فكيف لنا، إذاً، ومن المجمع، أن نطرح ونقارب إشكاليّته ليكون، حقّاً، خدمةً لجميع الناس، تساعد على:

١- تبليغهم المعرفةَ صحيحةً سليمةً نزيهة.

٢- ومدِّهم بمعطيات ووسائل تُعينهم على بناء مجتمعات ديمقراطيّة.

٣- وإبراز أهميّة القيم في بناء شخصيّة الفرد منهم، وحيثيّةِ تعاطيه مع الآخر.

نعم. ما الذي تستطيعه الكنيسة حيال هذه الإشكاليّة، والأسئلةُ حولها تكاد تكون غائبةً أو مغيّبةً عن المؤسّسات الإعلاميّة، إلاّ ما يُطرح منها، إنْ طُرح، عَرَضاً وجزئيّاً وظرفيّاً؟!

ففي النقطة الأولى، هل المعرفة الصحيحة هي التي تعبّر عن نفسها بنفسها، أم هي التفسيرات الأحاديّة والوعظيّة ما ينوب عنها ويقوم مقامها؟ وهل في الإمكان أن نتيح للحدث أن يعلن عن نفسه من دون اجتهاد أو تأويل وأدلجة؟ ومتى نتعلّم كيف نسكت ونفسح للآخر في أن يصغي للحدث ويتقرّى نبضه ويستنبط ويشكّل معرفته؟

وفي النقطة الثانية، وإذ جُلُّ الإعلام على الديمقراطيّة، إنّما يكون يبني قوّته بوسائل لا ديمقراطيّة. فهو يتوغّل في الحيّزات الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة وما إليها ليقطف من غلالها قوتاً لكلمة يتملّق بها رضى الأقوياء. فما الآليّات والوسائط التي تجنّب الإعلام هذه الآفة، وتخوّله أن يكون مساحة إصغاء لكلّ الذين مسّتهم صعاب الحياة، فيجدوا فيه: واحةً للحوار، ونافذةً للتعبير، ووسيلةً لإعادة قوّتهم، وطريقاً للتعاون والتعاضد تُوفي بهم إلى صياغة قرارات في مصلحتهم ومصلحة المجتمع ككلّ؟ وما العمل لئلاّ يبقى الإعلام سلطة في يد الأقوياء، فيكونَ خدمةً لنصرة الضعفاء؟... مثلُ هذه الأسئلة يستدعي بحثاً عميقاً في حضن الكنيسة، وبالأخصّ في صلب خلفيّة شبكات برامج الأجهزة الإعلاميّة التي تمتلكها أو تتعامل معها، للتصويب والترشيد.

وفي النقطة الثالثة، أَنّ الإعلام يبني نفسه على آليّات التشويق والإثارة، ولكنْ مجاوراً الممنوعات؛ فإذا له جولاتٌ في العنف والجنس والتسلّط والاحتيال والمراوغة والشطارات والبطولات الزائفة. فهل، في المتاح أم في المحال، أن نحلم بإعلام مشوّق ومثير، ولكن على قاعدة مغازلة الفضائل، فنستحثّ فضول الناس إلى مغامرات الحبّ الصحيح الصادق، والبطولة في عيش القيم كالجدّ والمثابرة والصبر والشجاعة والتضحية والدفاع عن الآخر والغفران والتأمّل!...

ولكي يصبح هذا الحلم واقعاً، فإنّ المطلوب الكَفُّ عن ضرب آليّات الرغبة واللذّة والجاذبيّة، ودفعُها جميعاً في طريق الارتقاء نحو الفضائل، وحملُ الإعلام على تمثّلها وتمثيلها بأعلى فنيّة ممكنة.

وفي الإشارة إلى الفنيّة، لا بدّ من إنتاجات راقية شكلاً ومضموناً، بعيداً من رياح السهولة والارتجال والركّة التي تعصف بنا. فقليلٌ ثمين أجدى وأبقى من كثير غثّ. فلماذا إذاً هذا التبذير للمال، والتشتيت للقوى، والتوكيل أو الاتّكال على أيّ كان؟!

ولعلّ معاهد أو كليّات الإعلام في جامعاتنا قادرةٌ، ببعض تنسيق، أن تتوجّه وتوجّه أساتذتها وطلاّبها إلى مثل هذه الانتاجات، ولاسيّما في مجال الأفلام الوثائقيّة والكراريس المصوّرة والملصقات الملوّنة حول آثارنا وتراثاتنا، فضلاً عن أقراص الترانيم والتراتيل الأصيلة، لا تتزوّد بها وسائلنا المحليّة ومدارسنا وبيوتنا فحسب، بل تكون رابطاً وثيقاً بيننا وبين انتشاريّتنا في أرض الله الواسعة.

ويفيد كثيراً الاقتراحُ بإنشاء فريق عمل من إعلاميّين وكتّاب ومخرجين وموسيقيين، يتبادلون الآراء والخبرات، في سبيل إنضاج رؤيا إعلاميّة على مستويي الداخل والخارج، لتحسين وتحصين الأداء الإعلاميّ عموماً، والكنسيّ الماروني خصوصاً، في الوسائل الخاصّة والعامّة، فيكونَ رصدٌ ومشاركة وإبداع...

فإعلامٌ طالعٌ من ثقافة أعماق وأبعاد ينتج حضوراً مطّرداً في الأعماق والأبعاد. وهي هذه الثقافة، إنْ كانت كما يجب، نكون كما يجب.

ولا يغيبَنّ عنّا أنّ أبّوة هذا العصر هي أبّوة إعلاميّة. وأمومةُ الكنيسة، بقيمها، هي الحاضن والضامن لهذه الأبّوة.

جورج مغامس

قوارضُ السلطة والمال.. ومَحميّةٌ للإعلام

من صور الاعلام اليوم أنّه صناعةٌ وتجارة، وبالتّالي سوقُ عمل تخضع لمبدأي العرض والطلب والربح والخسارة. ولهذا، ثمّةَ على رأس دُوره، وليس مؤسّساته، من توافقوا فترافقوا في مسار ذهنيّ مهنيّ مصلحيّ، هو، في الغالب المطلق، أولويّتُهم المفردةُ العُليا. فهو، إذاً، إعلامٌ يَنتزحُ صوبَ دوّامة وحشيّة بيوت المال.

الاعلامُ هذا يستثير مَن هم ومَن يَشتهون أن يكونوا في سدّة السلطة، فيبذلون في سبيل قفيره ما يبذلون، ويستأثرون بما يستأثرون، فإذا نحن أمام وحشيّة مضاعفة، وصاعقة لما عداها ومَن عاداها.. هي وحشيّةُ الترويج، الذي لا يفتأ يُلحّ ويَلجّ حتّى قضاء أغراضه في سيادة النفوس واستباحة الأعراف والأعراض.

إزاء الصورة هذه،

من ذا الذي لا يستشعر التسخيرَ المستدام لجملة القيم الأخلاقيّة والمجتمعيّة وسواها؟

بل من لا يؤذيه هذا التسخيفُ المخيف لعقول الناس وتراثاتهم؟

ومن لا يُرجفه هذا التزييفُ القاتلُ للآمال والأحلام في بناء مستقبل نبيل وجميل للأبناء وديارهم؟

الاعلام في أزمة. في مأزق..

لأنّ المستثمرين، في حقل السلطة وفي حقل المال، لا يعملون ولا يعلمون كيف يضعون حدّاً أو حدوداً لاندفاعاتهم أو مغامراتهم، فهم لا يرون في الناس إلاّ زبائنَ وأرقاماً. وإنّهم، وإنْ أو مهما ادّعَوا وأوهموا أنّهم لا يتطلّعون إلاّ إلى خدمة الانسان في حقوقه وواجباته، فهم لا يُضمرون ولا يَستهدفون إلاّ تقويةَ قواهم هم. فمصالحُهم هم، بمعاييرهم هم، هي فوق كلّ اعتبار. أمّا الآخرُ فطارئٌ وهامشيّ؛ ولا سبيلَ له، بحاجاته وتساؤلاته، ليصغيَ إلى ذاته في ذواتهم. إعلامُهم إعلامٌ قابض، أخطبوطيٌّ، جامعٌ مانع.. لا يتواصل مع الآخر لينقلَ إليه سرَّ الأشياء ويعيدَ إليه سرَّه هو. وأين الغرابةُ، ما دام أنّنا حيال إعلام تسليع وترويج؟!

ولكنْ، أما بعدُ من إعلامٍ آخرَ، إعلامٍ للآخر.. علميٍّ ورسوليّ؟ وكيف يُنَشَّط ويُنَمّى، ويؤتي الزّهرَ الذي يُمتع والثّمرَ الذي يُفيد؟

بلى. وهذا الاعلامُ يكون، ويمكن أن يكون، حيثُ الاعلاميُّ يَعلمُ ليُعلِمَ ويعلّمَ؛ وحيثُ هذا الاعلاميُّ.. أناهُ مذبحُ اللقاء بالآخر، في طقوسيّة حدّاها شَهادةُ السِّيماء وفطنةُ النباهة والاصغاء؛ وحيثُ ثمّةَ فكرٌ وشعرٌ ونبوّاتٌ ولغاتٌ حسان- وهل مَن يدّعي أنّ العلمَ، إنّ كان الاعلامُ علماً وحَسَب، نَفورٌ من الملاحات والرسالات؟!

أنْ نَعرُضَ سلعاً بالترويج، أو نَعرضَ لقيمٍ بالترسّل.. ها هنا لبُّ المسألة. فالمحكُّ، بالتّالي، محكُّ منطلقاتٍ وأهداف.. محكُّ ثقافةٍ ومشروع!

واستطراداً، ومن زاوية مقاربة القيم، على خلفيّة معطيات الواقع، في مضامير السياسة والاقتصاد والاجتماع وما إليها، ألا يبدو أنّ موضوعَ الترسُّل صار في خبر الفساد والإفساد، وأنّك إنْ وقعتَ على مترسّل فَلَكأنّك تقع على إبرة في كومة من الفاسدين والمفسدين؟!

في هذا الزمن، المناعةُ والممانعةُ نُدرةٌ ومُعجزة. وهما مهدّدتان بالانقراض. ولذلك، نرى إلى محميّةٍ لهما، خميراً يؤسّسُ لزمنٍ موعود.

إعلامُنا الاعلامُ في حاجة إلى محميّة، تحول بينه وبين قوارض السلطة والمال، هؤلاء الذين يجوّفون الأشياءَ من مضامينها، ويلقونها مُسوخاً على قارعة الطرق. وليته يدرك من يجب أن يدرك أنّ المالَ والسلطة، أيَّ مالٍ وأيّةَ سلطة، إنْ لم يكونا في خدمة خير الانسان وسعادته وحماية حريّته وكرامته وتأمين خلاصه، إنّما هما يستعبدان هذا الانسان ويسلبانه إنسانيّتَه. وإذا كان لا يكون إعلامٌ من دون مالٍ وسلطة، فهلاّ لهذين أن يستبطنا أو يستنبطا ما يروحنهما، فيستويَ، هو الاعلامَ، على كرسيّ الحقّ العادل الرحيم؟!

صحيحٌ أنّ الاعلام مرآةٌ عاكسةٌ لأحوال المجتمعات وحالاتها وتحوّلاتها، لكنّ الصحيحَ أيضاً ومعاً أنّه تلك المرآةُ التي تُضفي طبيعتَها محدّبةً أو مقعّرةً أو متكسّرةً أو منبسطةً... على منعكساتها؛ وما الطبيعةُ تلك إلاّ صورةُ أربابها ومآربهم! أفليس أنّ على قَدَرِ الرجال تأتي الأعمال، ومن ثمارهم يُعرفون؟!

٦. المقدّس والتضحية: هناك ارتباط دائم تاريخياً في السلوك البشريّ بين المقدّس والعنف، ولكن «هل نبني متراساً ونقدّسه؟» (**عدنان حب الله**).

موقع الأديان في تحوّلات اليوم

موقع الأديان هو في اتجاهين متناقضين: في جانب دعوة إلى السلام والرحمة، وفي جانب آخر تحوّل الدين إلى «كيان سلطويّ». يستخلص من المؤتمر ثلاث ملاحظات رئيسة:

١. روحيّة السلام والرحمة: شدّد المشاركون على جوهر الدعوات الدينيّة التي «طموحها السلام» (**عبدو القاعي**). وركّز أحد المشاركين على أنّ «الله انخرط في عمق حريّتنا ليظهر لنا إلى أيّ درك قد يوصلنا الشرّ» (**الأب ميشال فمبريس**، بلجيكا). وجاء في مداخلة: «رحمة الله تسبق وتغلب على غضبه» (وجيه قانصوه). هذا ما توصّلت إليه المعتقدات الدينيّة الكبرى في العالم (**حارث البستاني**). وجاء أيضاً أنّ المقدّس «هدفه ضبط العنف» (**سمير فرنجيّه**). لكن من شروط هذا المنحى اعتماد «الرؤية التي تتحصّن بالتجربة الروحيّة» (**وجيه قانصوه**).

٢. الالتزام: يطرح التزام المؤمنين في مختلف جوانب الحياة العامّة إشكاليّات سعى المؤتمرون إلى توضيحها. «لا تعني عبارة «مملكتي ليست من هذا العالم» الانعزال، بل الالتزام في سبيل تحسين الحياة وعالم أفضل من خلال خطاب الله في كلّ إنسان عبر عقله في عبور صعب من المحدود إلى اللامحدود» (**أديب صعب**) واعتماد «رؤية كونيّة واسعة» (**جاد حاتم**) «وسعة إيمان بتواضع والانطلاق من الظاهريّ إلى الظهور» مع اعتبار الآخر شرطاً لايماني. وقد «دان الله وقف الدين على دين دون آخر» (**وجيه قانصوه**). وجاء أيضًا: «الله رحمة للجميع» (**عبد الجبّار الرفاعي**، إيران).

٣. التسلّط باسم الدين واستغلاله السياسيّ: تكمن الخطورة في «تحوّل الدين إلى كيان سلطويّ» (**أديب صعب**)، بينما علاقة الله هي «علاقة بالفرد الفريد، في حين أنّ الجماعات الدينيّة تقحمه في جماعة، وبات تالياً الانسان بلا قيمة في هذا الشرق: ومن قال إنّ الدين بحاجة للدفاع عنه إلاّ بالحسنى فلا تعود أديانّنا إلى قبائلها وعشائرها» (**الأب جورج مسّوح**). وانتقد «العنف الدينيّ الذي هو غير مقدّس في الإسلام والقتل الذي أصبح شعائريّاً» (**رضوان السيّد**). تشكو الأديان في بعض مؤسّساتها من «التماهي مع السلطة» (**أبو بكر باقادر**، السعوديّة) ومن «عنف داخل المؤسّسة الدينيّة». أعطى مثال على ذلك «قانون الايمان النيقاوي الذي تحوّل إلى مرسوم ملكيّ وتحوّل اللاتسامح إلى فضيلة من فضائل الدولة» (**جورج ناصيف**). وطرح السؤال: «إلى أيّ مدى يتحمّل الايمان الاحتجاج، أم إنّ الايمان هو فقط طاعة؟» (**وجيه قانصوه**). عرضت في هذا السياق أشكال من «البربريّة الجديدة حيث تتضارب تصوّرات دينيّة توصلنا إلى الجحيم حالمة بعالم أفضل تريد الاسراع في تحقيقه من خلال العنف» (**أنطوان قربان**). في هذا السياق وردت المداخلة: «جئت لأشهد» (**عقل العويط**).

ما العمل؟

يستخلص خمسة توجّهات بحثيّة وتطبيقيّة رئيسة في سبيل مساهمة أفضل للأديان في «ثقافة سلام الله ورحمته»، بدلاً من استغلال الأديان لتأجيج النزاعات. متى يصبح النزاع نزاعيّاً؟ من خلال رجال دين طامعين في السلطة أو رجال سياسة يسعون إلى إضفاء شرعيّة دينيّة على ممارساتهم. والناس «تبحث غالباً عن سلامها لاسلام الله» (**أنور صابر**).

١. التفسير ضمن النص: انتقد الجمود

سلام الأديان في تمايزها عن السلطة*

التحوّلات ومجالات العمل والتغيير

خلاصات واستنتاجات

أ. د. أنطوان مسرّه

يشكّل المؤتمر الدوليّ الذي عقدته جامعة سيّدة اللويزه في ٢-٣ نيسان ٢٠٠٤، في إطار برنامج «الشأن العام في قضايا الناس»، وتحت عنوان: «حروب الأديان وسلامها: إشكاليّة صورة الله» إطاراً منهجيّاً وتطبيقيّاً في سبيل مساهمة الأديان في ثقافة السلام وتجاه التحوّلات في المنطقة العربيّة بشكل خاص. إنّه مؤتمر «يضعنا في صميم عملنا الرسوليّ واللبنانيّ»، حسب الأب بطرس طربيه.

تمحورت الأبحاث والمداخلات حول ثلاث قضايا رئيسة: الواقع الحاليّ وتحوّلاته، موقع الأديان في هذه التحوّلات، مجالات العمل والتغيير.

الواقع الحاليّ وتحوّلاته

يستخلص من المؤتمر ستّ ملاحظات رئيسة حول الواقع الحاليّ وتحوّلاته:

١. **تعثّر طريق السلام:** «تتعرّض مسيرة السلام لأفظع ما شهدته البشريّة، وهذا يتطلّب إعادة نظر عميقة لما نحن عليه، بخاصّة أنّ الطاقة الخلافيّة قويّة في الأديان» (**الأباتي فرنسوا عيد**).

٢. **تلازم العولمة مع تنامي الهويّات:** ليست العصرنة وما استتبعها في العولمة قالباً تجانسيّاً، بل هي تنمّي الهويّات الفرديّة والجماعيّة وتضاعف أفواج الذين يشاركون في المجال العام ويعبّرون عن توجّهات دينيّة أو متلبسة بالدين. والعولمة تضاعف أيضًا من عطش الانسان في المجتمعات الاستهلاكيّة كما في المجتمعات الفقيرة للبحث عن مرجعيّة قيميّة ومعنى. نشهد تاليًا اليوم «سقوطاً جديداً لناطحة بابل، ربّما لأنّنا حصرنا الاهتمام بالرقم والقياس ولم نهتمّ باللاقياس». والحاجة أيضًا إلى «إعادة بناء الصلة والعلاقة، حيث أنّ الدين religare، religion هو أسساً ما يوصل» (**عبدو القاعي**).

٣. **باعة الهيكل:** يتحوّل الدين إلى «وعاء للنزاعات من قبل باعة الهيكل» (**الأباتي فرنسوا عيد**). عرضت أشكال «تحوّل الدين إلى كيان سلطويّ» (**أديب صعب**).

٤. **عقائديّة دينيّة:** أورد المشاركون خطورة «جعل العقيدة إلزاميّة والانزواء في الحقيقة الواحدة وضرورة تحرّر الإيمان من بعض أشكال الدين» (**الأباتي فرنسوا عيد**).

٥. **الجماهير غير المنضبطة:** اعتبر أحد المشاركين أنّ «الأديان تتعامل مع جموع foule أو انسان جماعيّ homme groupé»، في حين «نحن أمام فجوة مظلمة في معرفتنا لسلوك الجموع فينزلق الدينيّ إلى الأسفل والسياسيّ» (**جاك بوشار**، فرنسا).

* إنّ النص هو خلاصة تحليليّة لأبحاث ومناقشات المؤتمر، من دون إيجاز هذه الأبحاث والمناقشات. لمزيد من التفاصيل تراجع النصوص الكاملة التي تصدر في منشورات الجامعة.

العنفيّة. تفترض تالياً معالجة إشكاليّة الدين والعنف مسارين متوازيين:

▼ **أوّلاً-** ترشيد السياسات الدينيّة: إنّ عبارة «الفصل ما بين الدين والدولة» وكذلك عبارة «الإسلام دين ودولة» فيهما اختزال وتبسيط وتمويه لعلاقة معقّدة وغالباً مأساويّة بين الدين والسلطة. تمارس كلّ دولة ديمقراطيّة ثلاث وظائف دينيّة: ١) **إدارة التنوّع الدينيّ** من خلال التشريع، ٢) حماية **الحريّات الدينيّة** من خلال قضاء مستقلّ ومجال عام محايد حيث يستطيع كلّ فرد أن يؤمن أو لا يؤمن أو يؤمن على طريقته من دون المساس بالنظام العام. والنظام العام هذا ليس نظام الدين السائد، كما في أكثر البلدان العربيّة، بل النظام الذي يحافظ على قواعد العيش معًا وعلى الحقوق الأساسيّة للجميع من دون استثناء. و٣) أن تكون الدولة **محور تفاوض** وتقرير لاحتواء النزاعات التي تتعلّق بالأديان أو تتخذ طابعاً دينيّاً في حال انتقال النزاعات من المجال الخاص إلى المجال العام.

▼ **ثانياً-** الحدّ من تسييس الدين في التنافس على السلطة: الاستغلال ظاهرة مستديمة لأنّ الأديان تحمل كثافة قيميّة، وقد تستعمل كوسيلة تعبئة أكثر من غيرها من الشؤون، لأنّ القضايا المطروحة دينيّاً غير قابلة للتفاوض كالشؤون البشريّة الأخرى. ولذا الحاجة هي إلى البحث العملانيّ في سبل الحدّ من استغلال الدين في التنافس على السلطة. يتطلّب ذلك عدّة سياقات عمليّة، أبرزها التالية:

- التزام الهيئات الدينيّة الدفاع عن حقوق الانسان من خلال مواقف صريحة ومعلنة وجريئة، بدلاً من الصمت والغموض والالتباس؛ وهي حالات تفسح المجال واسعاً لمنظّمات وأفراد للقيام بأعمال محصّنة بشرعيّة دينيّة. الحاجة تالياً إلى نزع الشرعيّة الدينيّة عن منظّمات متعصّبة أو إرهابية من دون أن يؤدّي ذلك إلى المساس بحريّة التعبير السلميّ.
- النبذ العلنيّ والصريح لكلّ أشكال العنف باسم الله أو الدين: يجوز في حالات عديدة أو حصريّة اللجوء إلى العنف دفاعاً عن السيادة والاستقلال ودفاعاً عن النفس، ولكن باسم القانون والحقوق أو غيرها من الاعتبارات الحقوقيّة أو الانسانيّة. أمّا اللجوء إلى العنف باسم الله أو الدين فهو نيابة عن الله وممارسة الدينونة على البشر قبل أوانها ودون ضمانة أنّ البشريّ الذي يمارس القصاص هو الناطق الرسميّ باسم الله وهو مطلق الطهارة والتجرّد والعدل.

ورد في وثيقة الوفاق الوطنيّ عبارة «الانسجام بين الدين والدولة»، وهو تعبير وليد الخبرة اللبنانيّة في إيجابيّاتها وسلبيّاتها حول إدارة التنوّع الدينيّ. وهذا التعبير هو أكثر وضوحاً من مفاهيم الطائفيّة والعلمنة والفصل بين الدين والدولة أو عدم الفصل... يفترض الانسجام بناء علاقة سلميّة بين الدين والسياسة حيث لا يكون الدين سلطويّاً بل إيمانٌ والتزامٌ. ولا تكون السياسة قمعيّة أو صراعيّة أو عنفيّة متلبّسة بالدين، بل مرتكزة على سياسات في الإدارة الديمقراطيّة للتنوّع الدينيّ، وعلى الحدّ من استغلال الدين في التنافس على السلطة. هذا التنافس يلوّث الدين ويفسد السياسة. وصفت حروب الأديان أو المتلبّسة بالدين بأنّها «حروب يتكسّر فيها الجسد والروح معاً» (**سهيل مطر**).

قد تبدو بعض الاقتراحات من باب المثاليّة أو الاستحالة، لكن المطلوب هو «إدخال الجَمل في ثقب الإبرة من خلال إضعاف كبريائنا للدخول في الإبرة ولنرى بعضنا بعضاً» (**عبدو القاعي**).

والاطلاقيّة في مفهوم النص الدينيّ «إذ إنّ النصّ بذاته هو تأويل، والله بذاته متعال على النصّ الدينيّ، ممّا يؤدّي إلى ضرورة الاجتهاد وليس فقط إمكانيّته»". ويحمل النصّ كثافة ثقافيّة تاريخيّة متراكمة (**أسعد قطّان**). وجاء أيضاً أنّ «التنزيل الحرفيّ لا يعني أنّ الله هو ذاته النصّ الدينيّ، إذ هناك فسحة بين الله ونصّه، ولا تمايز هنا بين المسيحيّة والإسلام» (**وجيه قانصوه**). وانتقد نبذ التأويل «واقتصاره على الصوفيين». وتمّ التمييز بين «التفسير الذي يبقى ضمن النصّ، والتأويل الذي يذهب إلى أبعد من المعنى الظاهر» (**وجيه قانصوه**). وانتقد اللجوء إلى عبارة قد تكون صحيحة ولكنّها فارغة، بينما من الأفضل اعتماد «عبارة خاطئة ولكنّها معبّأة في معانيها» (**وجيه قانصوه**). الحاجة تالياً إلى تنقية التراث من خلال جهد متواصل للعقل البشريّ (**ميشال فمبريس**، بلجيكا).

٢. ثقافة البحث عن المعنى: إزاء تنامي أشكال تديّن مغلقة، ركّز العديد من المشاركين على ضرورة إنماء «ثقافة الكيف ولماذا» (**جيروم شاهين**) و«الثقافة التي تغوص في معنى المعنى لا في مجرّد المعنى المتداول والمستعمل» (**أمل ديبو**) وأيضاً «روحنة الثقافة خارج منطق الهويّات والجذور ونحو الفضاء الذي نحن مدعوّون إليه» (**الأب بولس وهبه**). يوجز أحد المشاركين هذا التوجّه بضرورة «التأسيس لنظام ثقافيّ جديد»، من مكوّناته في الحالة اللبنانيّة «التخلّي غير المشروط عن العنف» (**سمير فرنجيه**). واعتبر اللجوء إلى العنف باسم الله والدين «نيابة مباشرة عن الله» (**ميشال فمبريس**، بلجيكا).

٣. التاريخ الدينيّ والذاكرة: يتطلّب التأسيس لثقافة دينيّة متجدّدة «كتابة جديدة للتاريخ الدينيّ» (**وجيه قانصوه**) وتنقية الذاكرة في زمن نحن «عاجزون عن توحيد مآسينا وأماننا» (**سمير فرنجيه**)، وكذلك «إرساء طقوس دفن المآسي وشفاء الذاكرة» (**ميشال فمبريس**، بلجيكا). وليس المطلوب تدريس الأديان بصورة مقارنة (**أبو بكر باقادر**، السعوديّة)، بل بالحريّ تعليم تاريخ الأديان من دون مقارنة بينها (**أديب صعب**).

٤. التزام الهيئات الدينيّة الدفاع عن الحقوق الأساسيّة: تجاه تقاعس هيئات دينيّة في الدفاع عن حقوق أساسيّة تنتشر صور سلبيّة مشوّهة عن الأديان. وحيث أنّ «الأديان مستهدفة في المنطقة العربيّة» (**نبيه الأعور**)، يقتضي العمل على نشر نماذج إيجابيّة ومعياريّة وعمليّة مستخرجة من الحياة اليوميّة، حيث تمارس الأديان الدفاع عن المظلومين والحقوق الأساسيّة والعدل والسلام.

٥. الحدّ من استهلاك الدين في حقل السلطة

(**وجيه قانصوه**): إنّه حقل استثمار واسع حيث تتحوّل الأديان إلى مجال سائب يخترقه طامعون في السلطة. يتمّ التركيز اليوم على العلاقة بين الدين والعنف مع تناسي مراحل تاريخيّة مأساويّة حيث إيديولوجيّات سياسيّة ملحدة من نازيّة وفاشيّة وشيوعيّة ارتكبت مجازر بعد أن انتزعت عن الانسان بعده الالهيّ وحوّلته إلى سلعة وإنتاج.

العلاقة بين الدين والسياسة هي بطبيعتها مأساويّة بالمعنى الاغريقيّ للمأساة tragoedia. كيف يكون الانسان المؤمن ملتزمًا في قضايا العالم من دون تلطيخ يديه بفساد هذا العالم؟ النزاعات بين المتعقدات الدينيّة أو المنمّطات الذهنيّة حول الأديان والخلافات اللاهوتيّة هي مجرّد نزاعات، لا تصبح نزاعيّة إلاّ بولوجها في مجال السلطة بالمعنى السياسيّ، أي اللجوء إلى الاكراه بمختلف أشكاله القمعيّة أو القسريّة أو

■ خفض الرسوم المرتفعة على الاتصالات والبنزين والمشتقّات النفطيّة الأخرى والميكانيك وسائر الرسوم الإداريّة لدعم عمليّة إنعاش حركة الطلب الداخليّ وحجم إنتاج المؤسّسات وتأثيرها الإيجابيّ على فرص العمل.

■ تعويض الخزينة خسارتها إيرادات مهمّة بسبب خفض العبء السلبيّ للضرائب بزيادة الرسوم الجمركيّة النوعيّة على استيراد السلع الإغراقيّة من الدول النامية المصنّعة والتي تقدّر بمليارين ونصف المليار دولار سنوياً، وذلك لحماية الإنتاج الداخليّ وفرص العمل والاستثمار والنموّ الاقتصاديّ والاستقرار الاجتماعيّ، وهو قرار تسمح باتخاذه بشكل دائم اتفاقات التجارة الدوليّة والشراكة مع الأوروبيّين.

■ ضخّ ما يوازي ٥ مليارات دولار من قبل المصرف المركزيّ في الاقتصاد المتعطّش للسيولة ومن ستة أشهر إلى سنة، من أصل عشر مليارات دولار مودعة لديه من دون أيّ استعمال، لتعزيز هذه السيولة والماليّة السريعة للمؤسّسات وخفض الفوائد وتحريك الاستثمار الخاص وتحقيق وفر في خدمة الدين العام وخفض العجز في الموازنة العامّة والحدّ من التكاثر المقلق لديون الدولة الإجماليّة.

■ تحسين هيكل الموازنة العامّة بفعل رزمة من التدابير تصبح واقعاً ملموساً.

زيادة حصّة الإنفاق الاستثماريّ المجدي من جملة النفقات الرسميّة بما يجعل الدولة قادرة على لعب دور اقتصاديّ إيجابيّ في تقوية حركة الطلب ومحاربة الركود وتنشيط الاستثمار وتعزيز فرص العمل.

وفي نهاية هذه الجلسة، حاول الدكتور **كمال حمدان** أن يعيد تصويب العلاقة بين الطلب على العمل وعرض خدمات العمل، وأعطى رقماً لعروض العمل يتراوح بين ٣٤ و ٤٠ ألفاً، بينما لا يزيد الطلب على اليد العاملة داخل لبنان عن ٢٢ إلى ٥٢ ألفاً.

لكنّ المشكلة هي أكبر من الفارق الكبير. فبين عروض العمل والطلبات بصدده، المشكلة هي في بنية كفاءات أصحاب عروض العمل؛ فهي لا تتناسب إطلاقاً مع بنية الطلب، ما يدعونا إلى إحداث تغييرات جذريّة على بنية عروض العمل وطلباته من أجل الحدّ من الهجرة.

فغالبيّة المبدعين والخلاّقين يتركون لبنان حالياً، لأنْ ليس لهم مكان في بنية طلبات العمل الراهنة.

٢- في الجلسة الأولى

تضمّنت هذه الجلسة:

كلمة لرئيس جمعيّة الصناعيّين الأستاذ **فادي عبّود**، الذي ركّز على أهميّة تنمية القطاع الصناعيّ للحدّ من الهجرة، وخاصّة هجرة الرياديين في التكنولوجيا الصناعيّة وإدارة الخدمات التابعة لها. وتتطلّب هذه التنمية وضع خطّة من قبل الدولة لخلق فرص عمل في الصناعة عبر تسهيل الاستثمار في هذا القطاع، وبخاصّة في مجالات توفير الأراضي الصناعيّة وخفض الضرائب على المواد الأوّليّة الصناعيّة وإلغاء ضريبة القيمة المضافة على الموادّ المصنّعة في لبنان.

وكلمة لرئيس غرفة التجارة والزراعة في طرابلس الأستاذ **عبدالله غندور**، الذي ركّز الضوء على التطوّرات التي حصلت في بنية سوق العمل خلال النصف الأخير من القرن العشرين، والتي أدّت إلى الاختلال بين الطلب على العمل في الصناعة خاصّة وبين عروض العمل. وعليه تقدّم الأستاذ غندور بالاقتراحات التالية:

■ وضع الأسس الثابتة لبناء علاقات عضويّة بين مؤسّسات العمل والمؤسّسات التربويّة من أجل مواكبة أفضل للتطوّرات الحاصلة على بنية الاختصاصات المطلوبة في سوق العمل وعلى حركيّتها عبر الزمن.

■ توفير أجهزة مراقبة وإصغاء إلى ما يحدث من تطوّرات في سوق العمل في المنطقة العربيّة أوّلاً، وفي باقي البلدان والمناطق الأخرى على مستوى عالميّ، من أجل توجيه الاقتصاد اللبنانيّ في تطوير استثماراته والطلاّب في البحث عن مهن يحقّقون ذاتهم ويبنون مجتمعهم من خلالها.

فرص العمل في لبنان
واقــع وآفـــاق

خلاصات واستنتاجات

عبدو القاعي

أوّلاً: في الخلاصـــات

انعقد في جامعة سيّدة اللويزة بتاريخ ٢٦ آذار ٢٠٠٤، مؤتمر حول **فرص العمل في لبنان: واقع وآفاق**، نظّمه مكتب العلاقات العامّة وكليّة إدارة الأعمال والعلوم الاقتصاديّة في الجامعة.

تناول هذا المؤتمر مواضيع ثلاثة، تمّ التطرّق من خلالها إلى وضع العمل وآفاقه وفقاً للقطاعات الاقتصاديّة، وأهمّها:

- قطاعات الإنتاج أوّلاً
- قطاعات المهن الحرّة ثانياً
- قطاعات الخدمات ثالثاً

فماذا جاء في أعمال هذا المؤتمر؟

١- في جلسة الافتتاح

في هذه الجلسة، ألقيت كلمات خمس ركّزت في مجملها على حالة البطالة المستشرية في لبنان حالياً، والتي تدفع إلى هجرة متعالية لدى الشباب في ظلّ ضياع كامل في السياسات الاقتصاديّة على المستويين العامّ والخاصّ.

وفي هذا السياق تمّ تقديم عدد من الاقتراحات:

اقتراحات قدّمها وزير العمل الأستاذ **أسعد حردان**:

■ إجراء إصلاح جذريّ في النظام التربويّ، يتمّ من خلاله إقامة شراكة بنيويّة توفّر التعاون والتواصل بين المؤسّسات التربويّة والمحيط الاقتصاديّ- الاجتماعيّ.

■ تأسيس هيئة وطنيّة علميّة عليا، تكون مهمّتها الرئيسيّة ترشيد الطلاّب نحو الاختصاصات العلميّة المطلوبة في سوق العمل.

■ تطوير التعليم العالي من خلال المراجعة الدوريّة للاختصاصات، وتطعيمها بما يتلاءم مع التطوّر العلميّ والتكنولوجيّ.

اقتراحات قدّمها الدكتور **إيلي يشوعي**، عميد كليّة العلوم الاقتصاديّة في جامعة سيّدة اللويزة:

■ خفض الضريبة على القيمة المضافة من ١٠٪ حالياً إلى ٥٪، وتوسيع لائحة السلع المعفاة منها إنعاشاً لحركة الطلب الاستهلاكيّ في الاقتصاد.

أنطون قازان
أنيس فريحه
صلاح لبكي
عبدالله العلايلي
«خالد» أمين الريحاني
في «روّاد لبنانيّون»

يتابع قسم العلوم الاجتماعيّة والسلوكيّة في كليّة الانسانيّات سلسلة ندواته: روّاد لبنانيّون، فكانت ندوة في ١٦ آذار ٢٠٠٤ حول أنطون قازان، وأخرى في ٢٣ آذار ٢٠٠٤ حول أنيس فريحه، وثالثة في ٢٢ نيسان حول صلاح لبكي، ورابعة في ١٨ أيّار حول عبدالله العلايلي، وخامسة في ١ حزيران ٢٠٠٤ مع كتاب خالد لأمين الريحاني.

في **أنطون قازان**، تكلّم الدكاترة فوزي عطوي وأنيس مسلّم وعصام قازان.

بدايةً، قال رئيس القسم د. **ضوميط سلامه** في ترحيبه: أهلاً بكم نكرّم رائداً لبنانياً من قلب جبل لبنان، تعدّدت ميادين فكره وأبدع في كلّ منها... فكره نبع لا ينضب، كلّما غصت فيه كلّما فاض خيراً ونوراً...

وجاء في كلمة مدير الجلسة، د. **منصور عيد** أنّ أنطون قازان جعل الأدب الأنيق بمستوى خلقيّته المثاليّة، ونقاوة حضوره ورفعة مكانته.

وتحت عنوان «أنطون قازان في رحاب الشعر»، تحدّث د. **فوزي عطوي** عن أدب قازانيّ أصيل لا تنساق سلاستُه، ولا أناقتُه، ولا بلاغتُه، ولا غورُ أعماقه، ولا شأوُ أبعاده لغير أنطون قازان، مشيراً بالتّالي إلى أولى مزاياه وهي المنهجيّة الدقيقة...

وجاء في كلمة د. **أنيس مسلّم**: لكم نحن مدينون لأنطون قازان بإظهار المحاسن المخبوءة في الشعر والرواية والمقالة والخطبة؛ فقد كانت له، على مدى عقود، نظراتٌ ثاقبةٌ في الانتاج الأدبيّ ووقفاتُ ناقد حاذق سلّط فيها الأضواء الكاشفة على أعمال أغنت المكتبة العربيّة... وقلّ أن نجد أديباً لبنانياً عايش الحركة الأدبيّة في الثلث الثاني من القرن الماضي كأنطون قازان.

وعن العائلة تكلّم د. عصام قازان، فقال: إنّ فنّ الكتابة الجماليّة عند أنطون قازان لم يكن ترفاً أو لهواً، كما يعتقد البعض، وإنْ جاءت نتاجاته متّشحة بضباب الجماليّات، ومترنّحةً بعطر الكلمات، بل كانت هذه الكتابة ضرباً من الالتزام بضرورة الوجود، ومقرّاً عابقاً بنسائم الجمال الإنسانيّ الذي يتمثّل بالخالق وهو الجمال المطلق بحدّ ذاته. وإنّ من يُنعم النظر بنتاج هذا الكاتب الألمعيّ يتأكّد من أنّه حين يشهر الكلمة في وجه الرتابة والاستكانة يَتلفظن الجمال، وحين يستنهض العلم في محراب الفكر يتعقلن الكلام.

وفي **أنيس فريحه**، تكلّم أ. أمين زيدان ود. متري بولس.

رئيس القسم، د. **ضوميط سلامه**، توقّف بدايةً عند وجوب التشبّع من التراث العريق الغنيّ بالأصالة والقيم الإنسانيّة التي ترتكز على بنوّة الإنسان للإله، مشيراً إلى أنّ الغرب الذي يحاول أن يبرهن عن رشده بإزاحة إلهه عن ساحة الحياة قد ضاه وأضاع، ما يستدعي العودة إلى معين أنيس فريحه وأمثاله...

والدكتور **منصور عيد**، الذي أدار الندوة، اعتبر أنّ أنيس فريحه مزج التاريخ بالأدب فرسّخ فينا الذكرى إلى جانب رعشات الجمال. فإذا خانتنا الأولى عشنا في شوق أبديّ إلى الثاني، وفي هروب دائم إلى شوارد الأحلام.

الأستاذ **أمين زيدان** تحدّث عن دوافع ثلاثة: قربى الرضاع، وجوارٌ، ووقوفٌ بوجه حضارة في طريق الزوال... حملته على ارتضاء القول في الدكتور أنيس فريحه. ثمّ كان كَرٌّ ثلاثيّتَين: الأولى قطفُ حلاوات من فم بنيّة الأنيس هدى وصهره المهندس فؤاد وزوجة نلّي؛ والثانية تأبيدُ ثلاث حالات: عشق الطفولة، وعشق القرية، وعشق لبنان... وهو فيها جميعاً من أكبر الكبار!

وتناول د. **متري بولس** كيف أنّ الانتماء إلى القرية كان السمة الغالبة على عاطفته وفكره وتصرّفه... وقد حملها معه أنّى حلّ وأينما

٣- في الجلسة الثانية

في هذه الجلسة المخصّصة للبحث في خلق فرص عمل جديدة في قطاعات المهن الحرّة، ركّز كلّ من رئيس الجلسة الوزير السابق **عبد الرحيم مراد** والمتكلّمون على تحسين نوعيّة التعليم والإعداد لممارسة هذه المهن من أجل حماية المستفيدين من خدماتها وفي كلّ من المجالات العائدة للوقاية أو تلك المتعلّقة بالطب والهندسة والقضاء والحماية من الحوادث على جميع أنواعها.

وتبيّن أنّ توفير النوعيّة هذه أصبحت أساسيّة اليوم ليبقى لبنان تنافسيّاً في مجالات ممارسة هذه المهن على الصعيدين الداخليّ والخارجيّ.

وتمّ التأكيد من ناحية أخرى على أهميّة تطوير الاختصاصات المهنيّة في مناهج التعليم الجامعيّ وعلى أهميّة دعم مؤسّسات العمل الصغرى والمتوسّطة التي تشكّل البنية الأساسيّة لممارسة هذه المهن؛ كما تمّ التركيز على ضرورة مراقبة هذه النوعيّة في الجامعات التي تُعدّ لممارسة المهن الحرّة، وعلى وضع المعايير اللازمة لتطبيق هذه المراقبة وفقاً للمقاييس العالميّة المعتمدة.

٤- في الجلسة الثالثة

وهي المخصّصة للبحث في آليّات تطوير فرص العمل في قطاع الخدمات، تبيّن من خلال المداخلات والنقاشات، التي شارك فيها كلّ من وزير الشؤون الاجتماعيّة الدكتور **أسعد دياب** والأستاذ **بيار الأشقر** ممثّلاً للنقابات السياحيّة والسيّدة **رينلدا حايك** ممثّلة لقطاع الاتصالات والأستاذ **شوقي بو خليل** ممثّلاً قطاع المخازن الكبرى، ضرورة القيام بالإجراءات التالية:

- مواكبة التطوّر الذي يشهده لبنان في القطاع السياحيّ من خلال تنظيم المؤسّسات التي تعمل من ضمنه، ووضع المواصفات اللازمة لممارسة النشاطات المهنيّة فيها.
- تحديد المهن الجديدة التي يفترض توفيرها من أجل تحسين الخدمات في القطاع السياحيّ.
- توفير شروط النوعيّة في الإعداد المهنيّ للطلاّب الذين يتحضّرون للعمل في القطاع السياحيّ، وفي جميع قطاعات الخدمات.
- القيام بالجهود اللازمة من قبل الهيئات العامّة لوضع خريطة سياحيّة للبنان ولوضع لبنان في إطار الخريطة السياحيّة الإقليميّة والعالميّة.
- تطوير خدمات الإعداد المستمرّ في المؤسّسات المهنيّة، وبخاصّة في قطاع الخدمات والاتصالات، وإلزام المؤسّسات بتخصيص نسبة تتراوح بين ٣ أو ٤٪ من قيمة المعاشات لتمويل هذا الإعداد.
- إلزام المؤسّسات بالتقيّد بنظم النوعيّة في قطاع الخدمات وفقاً لمعايير ISO الخاصّة بهذا القطاع.
- وضع تشريعات لتحديد الجدوى من فتح مؤسّسات جديدة في قطاع الخدمات وفي ما يعود خاصّة للمخازن الكبرى.

ثانياً: في الاستنتاجات

بالنتيجة، نحن نشهد تطوّراً يعيدنا إلى ضرورة بناء الإنسان المهنيّ الذي يتمتّع بالقدرة على بيع مهنته في سوق المهن الذي أصبح يعتمد في مجمله أكثر فأكثر لغة التكنولوجيا ومنهجيّة التواصل السريع.

وما العمل إذاً كي نعدّ أنفسنا للانتقال من ذهنيّة سوق الوظائف حيث يطلب منّا تأدية مهمّة محدّدة ومحدودة طيلة حياتنا، إلى ذهنيّة التفاوض مع المؤسّسات الاقتصاديّة لتوفير خدمة تفيدهم في مجال نشاطاتهم؟

هذا السؤال المحوريّ الذي نستنتجه من المداخلات والنقاشات السابقة يدفعنا إلى استخلاص الاقتراحات التي سبق ولخّصناها، وهي باختصار، كما يلي:

- ضرورة إجراء إصلاح جذريّ في نظام العلاقات بين التربية والعمل، يتمّ من خلاله إقامة شراكة بنيويّة بين المؤسّسات التربويّة

والمؤسّسات الاقتصاديّة من أجل وضع الأطر اللازمة للإعداد المهنيّ وتطويرها بشكل دائم.

- مواكبة التطوّرات التي تحصل في بنية المؤسّسات التربويّة والمؤسّسات الاقتصاديّة على مستوى عالميّ ووضع الإجراءات اللازمة للّحاق بها.

مألوف من رجل دين يعرف جيّداً عمق الصلات القائمة بين القرآن الكريم واللغة العربيّة. ويضيف طراد، بعد إضاءته على هذا الموقف، بالقول: فاللغة العربيّة ما لم يتناولها فكر تطويريّ واعٍ وموزون، ستشيخ حتماً، ولو بعد أجيال، فتخرج تلقائيّاً من التداول العلميّ، لأنّنا لم نعرف كيف نجعلها جزءاً لا يتجزّأ من الحياة، كما كان العلايلي يقول.

واستعاد د. **محمّد دكروب** صفحات من عمر الشباب في رفقة العلايلي، تدليلاً على انفتاحه على الحياة وعلى العامّة من الناس، وإظهاراً لروحه المرحة. ثمّ تطرّق إلى النزعة التحرريّة في فكر العلايلي وقد انعكست في كلّ نتاجه الأدبيّ والفكريّ بدءاً من تطوير اللغة العربيّة، والتشديد على تحريرها من ذيول الماضي ورواسبه، وجعلها مسايرة تطوّر العصر. كما تحدّث عن مواقف العلايلي في وجه المحافظين المتزمّتين، مشيراً إلى أهميّة أفكاره في مواجهة الطائفيّة التي تفسد المواطنيّة الصحيحة، وقد تحمّل من جرّائها بعضَ العدائيّة. ولعلّ أبرز ما نادى به الشيخ المنفتح والمتحرّر هو اجتهاده الخاصّ المبنيّ على آيات قرآنيّة تدعو لأن تكون خيرات أرض العرب ملكاً لجميع الشعوب العربيّة على حدّ سواء. فالبترول، كما الماء والهواء، هو ثروة للشعوب العربيّة، وليس حكراً على الأثرياء. وهذا ما تسبّب في منع نشر بعض كتب العلايلي.

وختم د. **بولس سرّوع** الندوة بتعقيب، جاء في أوّله: ينماز اللبنانيّ عن كثيرين من شعوب الأرض بشغف خاصّ باللغة، ليس فقط من حيث كونُها أداةَ تعبير، وإنّما أيضاً من حيث كونُها دليلَ نمط فكر وحياة وخيار انسانيّ.

ثمّ أضاف: وما كان للعلايلي أن ينسج في أوطان العرب لباسَ التحرّر والاستقلال وكرامة الانسان لو لم يكن قد نسج على منوال نفسه لغةً شجاعة في تطلّعها، واثقةً في أصالتها، ملتزمةً في قضاياها. وفي هذا كان رائداً لبنانيّاً بانمياز، لا تشوبه عقد التزمّت والمحدوديّة.

وحول كتاب **خالد لأمين الريحاني**، توقّف د. منصور عيد ود. لطيف زيتوني.

د. ضوميط سلامه ألقى أوّلاً نظرة تقويميّة على حلقات التلاقي حول روّادنا، خلال هذه السنة الجامعيّة، فإذا هي «أجمل جلسات حوار علميّ موضوعيّ بنّاء». ثمّ انتقل إلى كتاب خالد، الذي «يُثبت بطروحاته الجريئة والثاقبة عبقريّة غطّاها غبارُ الزمن، لكنّه لم يستطع أن يتسبّب في تآكلها، فإذا هي تبزغ اليوم وتكشف عن رائد لبنانيّ: دائرةً في العلم، ثاقباً في الرؤيا، نبيّاً في النفحة، ثائراً في حبّه وولائه، مرهفَ الاحساس والضمير حتّى التطرّف، وسيعَ القلب للانسان شرقاً وغرباً، متقبّلاً لله الذي تلاقى به في خبراته الأليمة الطويلة، لاذعَ اللسان وصائبَه في كلّ ما يخالف عقلانيّتَه..».

وبعد أن عرّف **د. منصور عيد** بكتاب خالد، «مفتاح الأدب العربيّ الانكليزيّ في القرن العشرين»، وتناول الإطار العام للرواية، حيث تتجلّى نظرة الريحاني المطلقة إلى الشرق «الروح» والغرب «المادّة»، توقّف عند الغرب ثمّ الشرق في رؤَويّة خالد.

ففي الوجه الايجابيّ للغرب، يتلقّى خالد ثلاث صدمات حضاريّة: عظمة العقل والعلم والصناعة والعمران، الحريّة والديمقراطيّة، ولادة الذات الجديدة.

وأخصُّ ما يتجلّى في الوجه السلبيّ للغرب تلك المعاناةُ الانسانيّة، تبدأ بـ«الغَنَميّة» على ظهر الباخرة، وصولاً إلى تلك الأميركا المحبوبة والمكروهة على حدّ سواء، لأنّها أمّ الرخاء والازدهار والتعاسة الروحيّة في آنٍ معاً.

أمّا الشرق فهو البعد الروحيّ الذي ألهم خالد جميع الأفكار التي فجّرتها صدماته الحضاريّة. إنّه الوجه الثاني المكمّلُ للحقيقة الوجوديّة.

فالشرق والغرب إذاً وحدة وجوديّة. وإذا كان من رفض وقبول، فالرفض هو للمساوئ في الحضارتين، والقبول هو للمحاسن في الحضارتين. ومحور النشاط الانسانيّ يقضي بتطعيم كلٍّ من الحضارتين، الواحدة بمحاسن الأخرى.

وصرّح د. **لطيف زيتوني** أنّ الوجه الفكريّ هو الوجه الأساس في كتاب خالد، لأنّه «ثمرة رحلة تأمّل في الشأن الحضاريّ والقوميّ».

وأضاف: «لم يطلِ الأمرُ بخالد حتّى اكتشف أنّ الروح الجوّانيّة التي قادته إلى خارج وطنه ودفعته إلى حياة جديدة لم تكن روحَ البحث عن الثروة الماديّة، بل عن الكمال المتناغم القائم على تطوير المَلَكات العقليّة والروحيّة والمدنيّة معاً. فاندفع في رحلة تعلُّم مثلّثة قادته مرّة إلى الالحاد ومرّة إلى السجن ومرّة إلى اليأس، ولكنّه خرج منها جميعاً بأدنى ضرر... وتغيير خالد لمسار هجرته حوّل هجرته إلى رحلة. والرحلة، كما تعلّمنا قصص الرحلات منذ أوديسة هوميروس، هي بحث، أي سَفر وعودة. ولقد قرّر خالد العودة منذ أن شعر أنّه يملك المفتاح الذهبيّ الذي تحتاجه نهضة بلاده، وأنّ التربة صارت مؤاتيةً لأفكاره. ولقد عاد خالد إلى الشرق يحمل في عينيه حلماً، وفي قلبه أملاً، وفي نفسه ثورةً على الروح المسيطرة في شعبه والاتجاهات السائدة في عصره، ثورةً لم يسبقه في دروبها سوى قدماء الرهبان في جبل لبنان».

وختم على الندوة وعلى السنة الأولى من مسيرة الروّاد، عميد كليّة الانسانيّات د. **بولس سَرّوع**، بكلمة أشار فيها إلى أنّ «خالد» هو مجمع الموضوعات التي تكلّم عليها الريحاني قبل الكتاب وبعده، استباقاً وتلميحاً وتطويراً؛ وبذا يكون الكتاب والكاتب صنوين.

رحل... وجعلها موضوع علمه وأدبه: في الأقاصيص والفولكلور والعلوم الاجتماعيّة والاثنولوجيا والانتروبولوجيا وعلم النفس والتاريخ والدين والعادات والتقاليد واللهجات والأمثال وعلاقة العاميّة بالفصحى...

أمّا في **صلاح لبكي** فتكلّم د. عمر الطبّاع ود. إميل كبا.

د. **ضوميط سلامه** ذكّر في ترحيبه بأنّها المرّة الرابعة، نتلاقى فيها هذه السنة مع «روّاد لبنانيّون»، بهدف خلق جوّ لقاء فكريّ وحوار أدبيّ حضاريّ، على أن تكون ندوات لاحقة هذه السنة وفي السنة المقبلة.

ود. **منصور عيد**، في إدارته للندوة، ذكّر بأنّ من أعماق الجبل إلى أرجوحة القمر ثمّةَ رحلة أدبيّة فنيّة طويلة مرّت بلبنان الشاعر، وسأم ومواعيد وغرباء وحنين... هي رحلةُ الشاعر اللبنانيّ صلاح لبكي...

وتحت عنوان «الرمزيّة والرومنطيقيّة في شعر صلاح لبكي»، قدّم الدكتور **عمر الطبّاع** بحثاً مسهباً استهلّه بأضواء على مقدّمات النهضة العربيّة الحديثة في مصر ولبنان وما كان من تأثّرات وتأثيرات من عالم الغرب وأعلامه، متوقّفاً بالأخصّ عند الدور الطليعيّ الذي كان للمهجريّين اللبنانيّين في شقّ الطريق سخيّةً سنيّةً نحو التجديد المفيد الممتع.

ثمّ أخذ الطبّاع يورد الدلالات على وعي اللبكي بالرومنطيقيّة والرمزيّة، وبالتالي الانسياق قليلاً أو كثيراً في تيّارها... معيّناً بالتالي دواعي نشأة الرمزيّة، محدّداً الرمزَ ودلالتَه وأهميّتَه في العمل الفنيّ ومقوّمات الشعر الرمزيّ وأبعاد الرمزيّة الفلسفيّة... وصولاً إلى الرمزيّة في الأدب العربيّ قديمه وحديثه، عواملَ واتجاهات وسمات، فتمهّلاً عند «باقات من رمزيّة صلاح لبكي المحلّقة أبداً في أمواج الضوء وعبق الرياحين وأنسام الطيوب ورعشات النسيم.. تأخذنا بعيداً في مسارح الوجود... وتخلق فينا حبّ الانفلات وشهوة الاستقصاء».

وإذ أضاء الطبّاع على رومنطيقيّة اللبكي، قال: «هكذا كان اللبكيّ- منذ وعى دورة الزمن إلى أن أغمضت المشيئة العليا جفنيه- يخلب الألباب ويسحر العيون، وهو فوق الصهوة محفوفاً بهالة التفوّق والفخار في ساحة القضاء ومنتدى القلم ومحافل الشعر والأدب، مرافعاً ومحاضراً وكاتباً ومحرّراً ومكافحاً، ليحظى بخدمة وطنه في الندوة اللبنانيّة؛ إلاّ أنّه ظلّ في قراراته فريسة أوصاب وهموم تركت ندوبها جراحاً عميقة في جوانحه، لا تفتأ تعصف بكيانه، آخذةً بأنفاسه، قابعةً بقسوة على خافقه، إلى أن أُخمدت فيه الحركة والنبض، فغادر ساحة النضال ولمّا تثمر شجرته بكلّ ما كان يتوق إليه من الجنى الشهيّ والقطوف اليانعة».

ورأى د. **إميل كبا** في «أنا الآخر» منطلقاً صالحاً للغوص على الملتبس المغلق من بواعث التعبير في أدب صلاح لبكي؛ فتوقّف أوّلاً عند المحطّات الكبرى في حياة لبكي، وثانياً عند صدى «أناه» في الآخر داخل أدبه أثراً أثراً، مراعياً الترتيبَ التاريخيّ... ثمّ ليسأل في تأمّل أخير ومعرض استخلاص: ما الذي يطفو على سطح إدراكنا الأوّل من تبلّرات هذا الأدب وأفكاره الثوابت، فيجيب: توقٌ إلى المطلق، ثمّ الشعرُ المنقِذ، فراحةُ الموت.

وتكلّم في **عبدالله العلايلي** د. جورج طراد ود. محمّد دكروب.

د. **منصور عيد**، الذي أدار الندوة، قال: ما سمعنا باسم هذا الشيخ الانسان المفكّر واللغويّ والأديب والشاعر والوطنيّ والانسانيّ إلاّ وكان الإكبار لشخصه علامات تُسجّل له المكانة التي احتلّها في زمنه، وتركها خالدة في تراثه.

ورأى د. **جورج طراد** إمكان انتظام آراء العلايلي اللغويّة في أربعة محاور أساسيّة: قواعد اللغة العربيّة- الحرف العربيّ والحرف اللاتينيّ- صراع الفصحى والعاميّة- قضيّة تطوير اللغة العربيّة.

ثمّ أبدى مفاجأته بانفتاح الشيخ العلايلي على التطوير، وبموافقته الدائمة على إخضاع العربيّة، حرفاً وضوابط، للتجريب والاختبار، من أجل الإبقاء على الأفضل؛ وهو موقف غير

في فرع الشوف - دير القمر

الأدب والثقافة، وجَهبذ العربيّة، وهيرودتس التاريخ، ورائد النبل السياسيّ والصحافيّ، وذي الكلمة الفصل والرأي القاطع كحدّ السيف، ومن وعى حقائق الكيان اللبنانيّ المتجذّر في العصور والأصالة، موسوعة الفكر وسَادِن شتّى فروع المعارف، مربّي الأجيال من الكبار...»

ورأى **مروان حماده** أنّ فؤاد افرام البستاني «ظلّ بالنسبة إلى الجميع مصدراً أساسيّاً في التحصيل العلميّ، وفي المعرفة، وفي الاجتهاد في الثقافة والفكر السياسيّ والتأريخ والنقد الأدبيّ. ومن هنا، فإنّ السياسة التي لا تحتمل إجماعاً لم تهزّ الإجماع حول عقله وعلمه واجتهاده ونتاجه.... وهو من كان على صلة بالحياة السياسيّة في لبنان».

وقال فيه **عصام كرم**: «هذا المثقّف بلا حدود.. تملّأ من ثقافته، وهضمها، وارتقى بها من مدارج الثقافة إلى مراتب المعرفة... المدى الأرحب كان مداه. والأفق الأوسع كان ملعبه... حتّى بات أشمل بكثير من أن يُختصر بكتاب ألّفه أو عبر موسوعة توفّر عليها... وكان، هذا العارف، صاحبَ نكتة قارسة، موجعة، لا تطلع إلاّ من لدن الأذكياء المرهفين».

ومن كلمة **حارث البستاني**، نقف وجهاً لوجه أمام «جليل الجبل»، الذي كرّس حياته بكاملها للبحث والدراسة والتأليف والتربية... والنضال في سبيل سيادة لبنان وإعلاء شأنه... فكان فضولُه المسكونيّ وسَعةُ معرفته وعشقُه للبنان ثالوثاً... وتميّزت ريشته بالظرف، حتّى عندما كان يغمسها في حبر المأساة والمعاناة... لقد انتهى عصر العمالقة.

وفي جلسة الذكريات

نَقّلنا **محمّد البعلبكي** بين مرايا ومزايا تتجلّى فيها ملامحُ البستانيّ، ليقولَ أخيراً: «كان دائماً هو هو في الرحابة والبشاشة، وفي الفرح الرائع باستقبال من يقصده لغرض علميّ أو مطلب أكاديميّ، ليقينه أنّ لبنان الحقيقيّ لا يمكن أن يقوم إلاّ على متانة الذين يقاربونه بالعلم والفكر والوعي الحضاريّ».

يوم فؤاد افرام البستاني

شـــــهـــادات وذكـــريـــات

أحيت جامعة سيّدة اللويزة، فرع الشوف- دير القمر، يوم فؤاد افرام البستاني، لمناسبة مرور عشر سنوات على رحيله (١٩٩٤- ٢٠٠٤)، وفي إطار الاحتفال بمئويّة ولادته (١٩٠٤- ٢٠٠٤).

دار برنامج الاحتفال على ثلاثة محاور: من افتتاح استُهلّ بفيلم قصير عن الراحل الكبير، إلى جلسة ذكريات، فجلسة أكاديميّة.. تبعها زيارة لمنزل هذا العَلَم العلاّمة، الذي طبع بحضوره الساطع حضارة قرن بكامله أدباً وفكراً وتوجيهاً...، وقد يكفينا منه أنّه أسّس الجامعة اللبنانيّة، هذه المعذّبة اليوم، بعدما كانت المعزَّزة والمعززة يومَ ذاك...

في الافتـتاح

قال **سهيل مطر**: وتبقى دير القمر هي الجامعة، ويبقى فؤاد افرام البستاني هو الجامع، وتبقى جامعة سيّدة اللويزة مساحةَ تلاقٍ وحوار ومحبّة؛ وما جمعته دير القمر وفؤاد افرام البستاني وجامعة سيّدة اللويزة، لا تفرّقه أهواء أو انتخابات أو تجاذبات عابرة...

وتوقّف **الأب بطرس طربيه**، في ظلال روح البستانيّ، عند ثلاثة عناوين منه: هويّته المارونيّة اللبنانيّة العروبيّة، والجامعة اللبنانيّة التي أسّس، وموسوعيّته؛ فإذا اسمه علامة مضيئة في تاريخ لبنان، وفي بناء حضارة النهضة العربيّة.

وقبل قصيدة من ٣٥ بيتاً، جاء فيها:

بحرَ الثقافةِ، لُجَّ العلْمِ، يا جبلاً
إلَى ذُراهُ يَحُجُّ المجدُ والشَّمَمُ

لِمْ قال، قَبْلاً، سعيدٌ: كنتَ تُهوي عُلاً؟!
دأبُ العظامِ، إليهم تَصعدُ القممُ!

قبل هذا البديع في الشعر، كان بديعٌ آخرُ في النثر، صاغتهما صَنعةُ **إيلي الفرزلي** وشغافُ طويّته العميقة الأنيقة؛ ومن هذا النثر البديع وصفُه للبستانيّ «بعلاّمة

بول غيراغوسيان حيّاً في لوحاته
في جامعة سيّدة اللويزة

بين ١٨ و ٢٦ آذار ٢٠٠٤، شهد أوديتوريوم الجامعة معرضاً للفنّان الراحل بول غيراغوسيان، دعت إليه كليّة الفنون والتصميم والفنّ المعماري، ورعى افتتاحه وزير التربية والتعليم العالي النقيب سمير الجسر، حيث حاضر الصحافيّ الشاعر عقل العويط.

الأستاذ **سهيل مطر** كان له في الافتتاح كلمة، قال فيها:

من يقرأ الصحف ويستمع الى الأخبار التلفزيونيّة والإذاعيّة، يتوقّف، بأسى ومرارة، عند هذه العناوين والتعابير:

مذابح، انفجارات، احتلال، فضائح، تظاهرات، قمع التظاهرات، الشلل الحكوميّ، حرب الرئاسات، الإفلاس السياسيّ، الفقر والجوع... وأكثر وأكثر.

وينفجر، في وجهك، الغضب، ويجتاحك وَجَعٌ قاس، ويكاد اليأس يهجّرك، إمّا إلى الخارج، وإمّا إلى الإنطواء والحزن، ولكنّك ترفض...

وتصرخ: لكم لبنانكم، ولي لبناني.

لبنانكم هو الفساد والمرض، أمّا لبناني ففنّ وجمال.

لبنانكم سياسة وحصص وتقاسم وطوائف وذلّ، أمّا لبناني فإبداع وحضارة.

لبنانكم قصور يجتاحها الرياء والخداع، أمّا لبناني فجامعة تضيء علماً وثقافة.

لبنانكم دسائس ونهب وسلب، أمّا لبناني فكتاب ومعرض ومدرسة ومطبعة وجريدة... وكلمة.

بهذه الكلمة، يا معالي الوزير، نتسلّح، ونقاوم، ونبقى.

وبهذه الكلمة، نستقبلكم.

فأهلاً بكم، نحاول، الليلة، معكم، أن نهرب من أوجاع الرأس، إلى عالم الفن.

بول غراغوسيان، هو الوسيلة التي تنهض بنا، من قعر الخيبة والفراغ والبشاعة، إلى قمّة الفرح والفن والجمال.

تعالوا ننسَ، ونسكر؛ ولا خمرٌ إلاّ من خلال اللون والخطوط والانحناءات والزوايا.

فشكراً لمن نظّم هذا المعرض، لكليّة الفنون الجميلة، عميداً وأساتذة وطلاّباً، وللجنة المعرض، وتحيّة تقدير لعائلة الفنّان الراحل، ولا سيّما لابنه الذي يحافظ على الإرث، بمحبّة وإيمان.

ومرحباً، بالأستاذ عقل العويط، يحدّثنا عن قيمة بول غيراغوسيان، وعن جمال صوره وأسباب خلوده.

أمّا بعد، يا معالي الوزير،

ورغم ما يحيط بالإدارة وبالوزارة وبالتعليم الجامعيّ من دخان وضباب، نلمح ضوءاً يطلّ علينا من بعيد: الضوء هو هذه الورشة الكبرى التي فتحتم لمعالجة موضوع التعليم الجامعيّ في لبنان. كان بإمكانكم أن تضعوا هذا الملفّ على الرفّ، – وابعُد عن الشرّ وغنّيلو – ولكنّكم، بالأصالة التي تتحلّون بها، وبروح القانون الذي يرسم خطواتكم، وبطموحكم البنّاء لوضع حدّ لفوضى التراخيص الجامعيّة، قرّرتم مواجهة الوضع ومحاولة إصلاحه.

فشكراً لكم. ونحن معكم. وهذه الجامعة التي تستلهم الله، ترى في توجّهاتكم، خير طريق إلى بناء التعليم العالي على أسسٍ وطنيّة وعلميّة سليمة.

معالي الوزير. نحن لا نخاف منك، نحن نخاف عليك، نخاف أن تكون طائراً يغرّد خارج سربه. خير للانسان أن يكون جسراً، من أن يكون مجرّد عابر على هذا الجسر، وأنتَ هو الجسر.

ثمّ تكلّم **الوزير سمير الجسر** فقال:

يسرّني أن أقف بينكم في حرم هذه الجامعة الكريمة راعياً لمعرض لوحات الفنّان اللبنانيّ الراحل بول غيراغوسيان. ويسعدني أن تكون مناسبة يلتقي فيها الإبداع الفنيّ مع الريادة التربويّة، فيتكامل الموقع مع المضمون.

واسترجع **ألبير ساره** الأيّام التي كان فيها البستانيّ أستاذه عند الآباء اليسوعيّين، يحبّب التلامذةَ ليس بالعربيّة فحسب بل بمثال حياته، (وهو خارج المألوف من الناس) التي كانت تجسيداً لمبادئه، ولاسيّما منها مَلَكة الحقيقة.

وأخبر **هنري زغيب** أنّه عرف فؤاد افرام البستاني خمساً حالياتٍ بالمعرفة، ولكلّ محطّة جناها الوفير من بيدره الكثير: يومَ أطَّلبَ عليه في الجامعة اللبنانيّة، وفي مهرجان لالياس أبو شبكه، وفي إذاعة لبنان الحرّ، وفي تلفزيون المؤسّسة اللبنانيّة للإرسال، ويوم عاده ثمّ ودّعه.

وفي الجلسة الأكاديميّة

تمنّى **منصور عيد** على إدارة جامعة سيّدة اللويزة أن تبادر إلى تأسيس لجنة تشجّع الأبحاث الخاصّة التي تتناول الجوانب الكثيرة من أدب هذا البستانيّ.

وتحدّث **أحمد أبو حاقة** عن أستاذه الكبير المميّز في دور المعلّمين والجامعة اللبنانيّة، وفي ما كان يؤلّف ويعلّم ويوجّه وينقّب ويؤرّخ وينقد ويحدّث بظرف وبشاشة.. ويُعين...

وتحت عنوان «هرمٌ من أمجاد وأنوار»، تذكّر **دياب يونس** وذكّر بما كان للمعلّم من «حرمة المنطق، ورصانة الجدل، وبعد الغور، ولطف الأسلوب، ووضوح الغرض، وقرب المأخذ، والسّداد في الحكم، وتواضع العلماء، وسَعة المعارف، والحرارة في النكتة، والمفاجأة في الجواب المسكت».

وجواباً عن السؤال- العنوان: «مَن الشخص ومَن دائرة المعارف؟»، دعا **غالب غانم** إلى قراءة التقديم الذي وضعه البستانيّ للجزء الأوّل من دائرة المعارف، ويقع في أربع صفحات، يمكن، على ما قال الغانم «أن أستعير منها معالم ثابتة يمكن أن تشكّل مدخلاً يمهّد لاستقراء شخصيّة أوّلُ ما يَلفت فيها هو التناغمُ ما بين بداياتها والنهايات... وحدةُ المقلع ما بين حجارة الأساس ومداميك الزخارف... حركةُ الاندفاق في مَسيل النهر منذ فوّهات الينابيع حتّى المصبّات الشلاّليّة... والعُلى... عُلى الريشة وعُلى الهامة، منذ البزوغ حتّى البلوغ، وهما لم تنحنيا إلاّ للحقائق الكبرى، وللبنان».

ومن هذه المعالم أنّ في التقديم رياحاً هابّة من جهة النهضة العربيّة، وغيرةً ما بعدها غيرة على لغة الضّاد، وطريقاً نحو التعرّف إلى واحد من علماء الأنسنة، ووفاءً لا يُغمِط السلفَ حقّاً، وأسلوباً بنيانيّاً...

وأشار **أهيف سنّو** أخيراً إلى محطّات أربع: الأولى دراسة البستانيّ في كليّة القدّيس يوسف، والثانية إسهامه الواسع في مجلّة المشرق، والثالثة جهوده التدريسيّة في الكليّة وفي معهد الآداب الشرقيّة، والرابعة العلاقة بينه وبين الآباء اليسوعيّين.. ثمّ انتهى إلى القول: «فقد التقت المسيرتان يومَ دخل فؤاد افرام البستاني كليّة القدّيس يوسف، ثمّ تآلفتا وتآزرتا لتُثمرا دراساتٍ وأبحاثاً أغنت عقول الطلبة اللبنانيّين والآتين إلى لبنانَ من عرب وأجانب، وأذهانَ القرّاء على أمتداد المعمورة».

مع جامعة سيّدة اللويزة ومؤسّسات التعليم العالي في الهمّ الوطنيّ، إذْ لم يعد مُهِمّاً كمْ هوَ عددُ مؤسّسات التعليم العالي بقدْرِ أهميّة ما تقدّمُهُ منْ رِفعَة في المستوى وتَجدُّدٍ وتطوُّرٍ ومواكَبَة لكلّ جديد.

فشكراً لجامعة سيّدة اللويزة على استضافة هذا المعرض النادر، وشكراً لبول غيراغوسيان عبرَ أفرادِ عائلته الذين يَجولونَ بالإبداعِ ويوسِّعونَ إطارَ الفُسحة الراقية أينما عُرِضَتْ. وشكراً لمديرِ العلاقات العامّة الصديق سهيل مطر على كلّ إسهاماته في ورشة التعليم العالي وفي تذوُّقِ الجمال. وإلى مناسبات مماثلة.

أمّا الأستاذ **عقل العويط** فكانت له آراء ونظرات ومواقف:

يتنازعني رأيان متناقضان كلّما سألتُ نفسي سؤالاً يتعلّق بلوحة بول غيراغوسيان.

الأوّل، أنّي لستُ أشعر بالحاجة بعد الآن إلى مشاهدة هذه اللوحة لأنّها مقيمة في روحي وحواسّي جميعها. فأنا أستطيع أن أستحضرها وأعيشها وأتفاعل معها بدون أن أراها بعينيَّ.

الثاني، أنّي كلما رأيتُها ازددتُ شغفاً بها وسفراً على سطحها ومعرفةً جديدةً بها. وأعتقد أنّي سأظلّ على هذه الحال إلى أن أعثر داخل الحقيقة المطلقة على مفتاح البيت الجوهريّ الذي تقيم فيه روح هذه اللوحة وأشكالها اللامتناهية.

قد يسألني أحدكم: لماذا تنحاز هذا الانحياز الأعمى إلى لوحة بول غيراسيان. قد يسألني آخر: هناك فنّانون آخرون يستحقّون هذا الحدّ من التكريم النقديّ والمعنويّ؟

صحيح، سأقول، فأنا، بكلّ قوّة وتجرّؤ، منحاز إلى هذا الرجل وإلى لوحته.

ثمّة فنّانون كثيرون أنحاز إليهم وهؤلاء يستحقّون أن نجتمع حول أعمالهم لتكريمها ودرسها. لكنّي لا أشعر أنّ في هذا الانحياز أيّ إحساس بالغلط أو الارتباك أو الإحراج أو التجنّي، بل سأطالب مع أصحاب مثل هذه الأسئلة بضرورة رفع الغبن العظيم الذي يلحق لا بالفن والفنّانين، ولا بالأدب والأدباء، والثقافة والمثقّفين فحسب، بل بضرورة مسح العار الذي يلحق بعالم القيم والخلق والجمال في الحياة اللبنانيّة مطلقاً.

وأغتنم هذه المناسبة لأطالب الدولة بمباشرة العمل الفوريّ على إقامة متحف للفنون التشكيليّة اللبنانيّة الحديثة، لأنّ من العار أن يكون الرؤساء والوزراء والنوّاب والمسؤولون والموظّفون ومؤسّسات الدولة والإدارة والناس العاديّون منشغلين بالسرقات واقتسام جبنة البلاد وإغراق الشعب في الفقر الماديّ والروحيّ والثقافيّ، وأن لا يكون لدينا متحف للفنّ التشكيليّ نذهب إليه لنتعرّف إلى تجارب فنّانينا الخلاّقة، وإلى تاريخنا، بدل تعميم ثقافة الانحطاط والجهل والتعاسة والأميّة والهجرة والاستهلاك.

وأغتنم هذه المناسبة لأخصّ الهيئات الرسميّة والخاصّة على دعم المتحف الذي يقام في الجديدة حاملاً بمبادرة فرديّة وجهود خاصّة اسم هذا الفنّان الكبير الذي أتحدّث عنه اليوم.

أمّا لوحة غيراغوسيان فأنحاز إليها لأنّها تتمتّع بثلاث:

١- فهي لوحة تنبع من تجربة حقيقيّة صادقة ليس فيها أيّ افتعال.

فلكأنّها في الأساس جنين يعيش في عتمة ماء الأحشاء منتظراً لحظة الصرخة العظمى التي تنبئ بالولادة.

وهي لجنين حقّاً. جنينٌ ينمو هناك قبل أن يخرج إلى سطح اللوحة حيث يتجسّد هنا مكتمل الشكل واللون والخطّ، كائناً ناضجاً كثيف الجمال، رقيقاً، شفّافاً، حنوناً، جارح الحبّ والأمل والتوق، متوتّراً، صافياً، لطيفاً، داكناً، متعدّد التأويل. لكنّه يظلّ جنينيّاً متمتّعاً بكلّ صفات الجنين في النباهة والغريزة والحدس والصدق والشفافيّة والاشتعال الوجدانيّ الفذ.

أقول ما يأتي: لا شيء يستطيع أن يمنح العمل الفنيّ هذا المعنى الهائل سوى كونه آتياً من هناك. من فراديس تلك المنطقة ومن جهنّماتها. من حدائقها ومن أراضيها القاحلة. من جبالها ووديانها وبحارها وسهولها وغيومها وصحاريها. من فصولها الأربعة ومن فصولها الأخرى. من أوجاعها ومن غبطتها. من هناك، من بحيرات العقل الباطن، حيث لا زغل ولا لياقات ولا تقنيّات ولا معارف سوى المعرفة التي يفرضها وجع الانتظار الأعمى والتوق إلى صدمة الضوء.

فالراحل الكبير أبقى شذرات من روحه فوق كلّ قطعة قماش، وحشر الوجوه والأجساد ضمن المساحة اللونيّة، فاشتبكت التعابير وضاقت الإطارات، واحتبست الأنفاس، وكأنّه يوم الحشر في كلّ لوحة، يختلط فيه الفرح القليل بالحزن الكامن في العيون والأجساد المستطيلة، وكأنّ بول غيراغوسيان المشدود دائماً إلى الأعلى والأكمل، يَعْبُرُ موقّتاً من وادي الدموع إلى فضاءات يُريدُها أرحب؛ لكنْ دون هذا العبور أحزان ثقيلة تُعيقُ تَوْقَهُ إلى الخروج والتفلُّتِ منَ الحدودِ إلى اللامحدود.

إنّه التصاق المبدع بالألم الذي يسكن في ذاته، ولِيدَ المعاناة التي عاشَها الشعب الأرمنيّ، تَهجيراً وتَشَرُّداً وعذابات، والألمُ الآخرُ الساكنُ في الجسدِ يَتَحكَّمُ بالريشة، فتغرفُ من ألوان الحياة وتنسكبُ قويّةً شُجاعةً عميقةً حتّى أكثرِ الأحاسيسِ حميميّةً وحرارة.

أيّها الكرام،

في طقوسيّة الفنون وددت في جامعة سيّدة اللويزة أن أُعَبِّرَ عن قيمة الإنسان وقدرته على تخطّي الصعاب وتجميلِ قُبحِ الأيّام.

ومن هنا أرى للجامعة الجادّة دوراً مهمّاً في احتضان المواهب بعد اكتشافها، وفي تطويرِ المهارات وترقيةِ المدارك من خلال سعةِ الاطّلاع وحُسن التوجيهِ في اتجاهات المعرفة؛ حتّى أنّ ترقية الحسِ بالتذوّقِ باتت قابلةً للتأطير ضمنَ مادّةٍ تربويّةٍ تعليميّةٍ دَرْسيّة.

فالجامعة، أيّها السادة، هي المكانُ الذي يوفّرُ الأجواءَ الفُضلى لنهلِ العلمِ، واستشرافِ الأدب، وتذوّق الجمال، وترقية المدارك التحليليّة والاستنتاجيّة لدى المتعلّم، وبناءِ آخرِ المداميكِ في شخصيّةِ الطالب، ومنها يُمكنُ أن ينطلقَ إلى رحاب الحياة.

أيّتها السيّدات أيّها السادة،

أردتُ أن أنتهِكَ جماليّةَ هذه المناسبة لأتحدّثَ عن نوعيّة التعليم ومستواه وجودته، وكيفيّة إيجاد الإطار القانونيّ والتنظيميّ لبلوغ الجودة والحفاظ عليها باستمرار، وصونها وتطويرها من دون انقطاع. إنّها الورشة الوطنيّة التي أنجَزْنا ورشَ عملها، ونَعْكِفُ راهناً على استخلاص توصياتها لنحوّلَها إلى قوانينَ وأنظمةٍ تضمنُ دقّةَ تحقيقِ ما نبتغيهِ منَ التعليمِ العالي في لبنان.

إنّها الميزةُ التي لا مناصَ للبنانَ منْ أنْ يُحافظَ عليها بكلّ قواه.

فالصروحُ العلميّةُ والبحثيّةُ، ومنابرُ الأدبِ والفلسفة والفنّ، هي في ذاتها مصانعُ للقيم، ومنابرُ للحريّة، وواحاتٌ للعيشِ الواحد، في إطارٍ من المحبّة والسلام؛ وبالتّالي فإنّ رشقها بالطائفيّة والتطرّف يصيب الوطن في أغلى ما لديه، عنيتُ سُمعتَهُ العلميّة والتربويّة التي تسعى أمم كثيرة لمزاحمته عليها، إلاّ أنّها لن تتمكّنَ بإذن الله لأنّ المؤسّسات ما زالت أقوى، ولأنّ الحريّةَ والجمالَ سمةٌ طاغيةٌ تتفجَّرُ كلّما أُتيحَ لها أو كلّما عَمِل جاهِلٌ على خنقها.

أيّها الحضور الكريم،

في ورشتنا حول وضع المعايير للجودة والمستوى المتقدّم لتعليمنا العالي، نتشارك

والتمرّد عليه، لكي تتوهّج توهّجها القدريّ المطلق حين تأخذ على نفسها أن تكون لوحة الشغف بتأكيد الحياة عبر الموت والقيامة، رغم بصمات يأس المآسي وصرخات المجازر ومسيرات الهجرات والآلام الجماعيّة.

ستكون لوحته إذاً هي لوحة الهجس بامتياز. مثلما سيكون على النبع أن يظلّ نائماً في حضن العتمة إلى أن يسيل في ضوء شبقه تحت الشمس. وقد كان على تلك النبوءة إذاً، أن تختار بول غيراغوسيان ليكون وسيطها في الأرض، رسّاماً للركام، لكنْ ذاك الركام الذي تنبثق من رائحة جروحه زهرة التمرّد والحبّ والعيش والحريّة.

على هدى هذه النبوءة، أمضى حياته الفنيّة كلّها عاكفاً على رسم لوحة واحدة هي لوحة الإنسان. لوحة واحدة فقط كان على بول غيراغوسيان أن يرسمها لتنجب ذريّةً هائلةً من الأولاد والأحفاد، من دون أن يكون ثمّة ما يُشعر العين بأنّ هذه اللوحة- الأمّ قد أورثتنا من تلك الذريّة من يمكننا الاستغناء عنه، لأنّ توأمه يستطيع أن ينوب عنه.

ستكون لوحته تعبيريّةً، لكنّها تعبيريّة مشغولة بتلك الواقعيّة المبسّطة، وخصوصاً حين ينشغل بالمساحات اللونيّة فيروح يحدّدها بخطوط سوداء، موحياً أنّه يعمل على اختصار انفلاشها وجيشانها. واقعيّته تلك ستفرض أنّها تبحث عن حياتها التشكيليّة من خلال المواءمة بين البوح التلويني التلقائيّ والرسم التخطيطيّ السريع، للعثور على موسيقى الناس الملمومة من إيقاعات الشوارع والأرصفة والأزقّة ووشوشات الحياة اليوميّة، والمضبوطة بنوطات الأشكال المحيطة بهم.

هذا الارتباط بالإنسان سيكون في تلك اللوحات تعبيرياً، أي إنّه سيكون مشدوداً إلى

الأرض، إلى الوقائع، إلى التفاصيل، إلى الحكايات، وخصوصاً مناخات اللحظة الإنسانيّة المتلفعة بالفقر والوجع والهشاشة. سنقرأ لون الألم وسنقرأ خطوطه، وسنتلمّس حاجته التائقة إلى أن يتجسّد في شحوب الوجوه والأمكنة وفي تقنيّات اللمس الواصفة لأشكال القامات والأجسام وما يحتضنها ويحيط بها: النساء في الشارع، العتّال، الأمّ المرضعة، حياة الأرصفة في المرفأ، أزقّة برج حمّود، وهلمّ...

صحيحٌ أنّ تلك اللوحات ستكون منتميّةً إلى واقعيّة جارحة، لكنّها تلك الواقعيّة التعبيريّة التي وإنْ شحبتْ فيها الألوان، ستظلّ متطلّعة إلى التوهّج، وخصوصاً حين تتولّى الخطوط السوداء تحديد توتّر الزمن ومشاعره الوجدانيّة عبر شخصيّاته وأمكنته. ستحضر اللمسات الهاشوريّة متتابعةً ومتلاحقةً، كأنّها لتكون ظلالاً لأنفاس المتعبين ولنظرات الفقراء والهامشيين، ولإيقاعات انتظاراتهم وهواجسهم.

وفي تلك التبسيطات الواقعيّة- التعبيريّة، سنكتشف أفقاً جديداً لمستقبل اللوحة العربيّة، إذ يتطلّع إلى ما يبشّر بحداثته اللونيّة والخطوطيّة، فإنّه سيكون مكتنزاً بخصوصيّات التراث المشرقيّ الغنيّ وتقنيّاته ومحمولاته الحضاريّة والثقافيّة والفنيّة والإنسانيّة.

وسنكتشف أيضاً كيف أنّ غيراغوسيان سيروح يستخدم اللمسات اللونيّة المكثّفة. هل كان فعل ذلك، كمن يدلق حبر وجدانه المتعدّد اللون، من أعمق سواده إلى أنضج أحمره، مروراً بأصعب الألوان وأكثرها جرأةً وجدّةً وعصفاً وعنفاً، وبأشدّها شفافيّةً وغياباً وامّحاءً؟ هل كان يفعل ذلك ليكون شاعر اللون والخطّ بامتياز؟

هذا ما تقوله لوحات ذلك الزمان، كأنّها تنبئ بما سيؤول إليه مصيرها حين كانت اللمسات الخشنة تنتشر على مساحات الوجه وتترامى على ملعب الجسد، لتكتشف حريّتها الجديدة عبر مفردات تنطلق من ثوابتها الأكاديميّة لتتمرّد عليها و«تخرّبها»، لكن من داخل منطق عبقريّة الغريزة، المتوتّرة والحالمة.

لأجل هذا، سيكون غيراغوسيان في أعماله تلك، وفي التي تلتها، فنّاناً تعبيريّاً حرّاً، يقف

٢- وهي لوحة تصدر عن نبوغ فنيّ وموهبة هائلة.

لكأنّ بول غيراغوسيان لا يرى إلاّ ما يراه رشده وهو مغمض الحواس لكي تتفتّح على اللامرئيّ فتراه جيّداً. كأنّ يده هذه ليست يده، بل ظلّ تلك الأخرى التي ترسم. كأنّ الألوان ليست الألوان. ولا الخطوط والأشكال هي الخطوط والأشكال. كأنّ هذا كلّه يتحقّق من دون انتباه. كأنّ اللوحة ليست ذلك الجنين المقيم في تلك الأحشاء فحسب. كأنّها لوحة تولد مكتملةً وليس للشخص الذي يوقّعها سوى فضل توصيلها إلى السطح بعد أن يستلّها من غيراغوسيان الآخر المتّصل بلاوعيه الباطن.

هكذا رأيتُ بول غيراغوسيان يرسم. يقف أمام السطح مرتدياً مريوله الملطّخ بألوان الجنّة والجحيم، وأمامه في مكانٍ ما من المرسم، كتلة ضخمة من الثياب المتعدّدة اللون والشكل، إلى أن ينسى أنّه يقف هنا. إلى أن ينسى أنّه يرى. فلكأنّه متّصل بشخصه الآخر، عبر مرايا العقل الباطن. حتّى لقلتُ إنّي أرى ظلال الرجل لا الرجل إيّاه.

كأنّ الغريزة الجنونيّة، الفائقة الذكاء والفائقة الذوق، هي التي تحمل اللوحة من هناك. منجزةً. خالصةً. مرسومةً. وليس ما ينبئ بأنّها مرسومةٌ الآن سوى ما يعلّق بها من رطوبة الخلق في تلك اللحظة بالذات.

هل أقول إنّ بول غيراغوسيان الشخص الواقف أمام السطح، ليس هو الذي يرسم اللوحة وإنّما يده وعيناه المقيمة في الأحشاء والتي ترى ما تراه وتشعر ما تشعر به وترسم في ضوء ما يُرى وما لا يُرى.

أراني أهجم هجوماً يقينيّاً لكي أتبنّى هذا النبوغ الغريزيّ والحدسيّ الذي يملي على لوحة غيراغوسيان ما يمنحها أن تكون على ما هي عليه من جروح الخلق والنضج والاكتمال.

ولأنّه لا «يعرف» بحواسّه وبعقله الماديّ كيف يتحقّق هذا كلّه، فإنّه يظلّ يقول إنّ عليه أن يبدأ الرسم من جديد، وإنّ اللوحة ناقصة، وإنّها تحتاج إلى كمالها. هذا التوق الهائل كنتُ أعثر عليه في عينيه وفي يده التي كأنّها يد خالق وقد أنهكه الحلق.

ربّما سينصدم البعض إذ أكاد أقول بأنّ لا فضل لبول غيراغوسيان. فليس هو الذي يرسم بل غريزته. وليس هو الذي يعود إليه الفضل، بل هو الظلّ. إنّه ظلّ بول غيراغوسيان الآخر، الخفيّ، اللامعلوم، اللامرئيّ، اللامحدود، وهو المقيم في بداهة الأحشاء وألوهيّتها الغريزيّة اللطيفة والمتوحّشة والغارقة في بحيرة الوجدان والفنّ معاً وفي آن واحد.

وإذ أمعن في تأويل هذا الإمعان القسريّ، أصل إلى الصّفة الثالثة التي توضح ما هي عليه لوحة غيراغوسيان.

٣- إنّ غزيرة هذه اللوحة لا تنفي أنّها لوحة عارفة وملأى بخبرات وتراثات وطقوس وتواريخ وثقافات وحضارات وفنون قديمة وحديثة، وبتقنيّات واختبارات... لولاها لما كان لصدق الوجدان ولنبوغ الغريزة والموهبة أن يتجسّدا في هذا الجمال التشكيليّ الذي نكرّمه ونحتفي به اليوم.

لم يكتف بول غيراغوسيان بصدق التجربة ولا بغريزة يده وموهبتها. لهذا كان يعكف على العمل ليل نهار فكان إذا انتهى من يومه، بدا كأنّه قد بلغ عشيّة ذاك السبت الذي ارتاح فيه الله من أيّام الخلق الستة الأولى فأراد في اليوم السابع أن يرتاح من عناء التعب والجهد والكفاح.

لا. ليست لوحة غيراغوسيان صادقة وغريزيّة وحدسيّة وموهوبة فحسب. ويده ليست يد النعمة التي أعطيت أن تهب ما نراه.

إنّها لوحة عارفة.

كان بول غيراغوسيان يقول لي دائماً إنّ على الفنّان أن يكون متواضعاً وبسيطاً وتلميذاً. فإذا لم يعرف أن يرسم الجسم الإنسانيّ، الوجه، الزهرة، المنفضة، فنجان القهوة، المزهريّة، الطاولة، الشارع، الناس، رسماً تشريحيّاً دقيقاً، واقعيّاً، فإنّه لن يعرف أن يرسمها رسماً انطباعيّاً ولا أن يكسر الأشكال والأحجام ويتخطّاها ليرسم روحها.

بول غيراغوسيان كان ذلك التلميذ المتواضع والبسيط الذي يختبر معرفة الحواس وينجزها على أكمل وجه. لذا رأينا رسومه الواقعيّة والانطباعيّة والتعبيريّة والتشخيصيّة والمجرّدة. ورأينا أشكاله اللامرئيّة أيضاً. هذا المسار ما كان له أن يتحقّق وأن يصل إلى غاياته لولا الثقافة البصريّة والفنيّة والمعرفيّة الهائلة التي جناها طوال حياته الغنيّة، منذ ولد في القدس إلى أن انتقل هنا إلى جوار الهواء لكي يرى جيّداً المكان الذي تنبثق منه أسرار الموهبة والخلق والنبوغ.

فقد كان على هذا الفنّان الآتي من أرض الموت أن يكون شاعر الذاكرة التي تسيل وقائعها قطرةً قطرةً في جحيم يده اليمنى لتتحوّل ينابيع وأنهراً، متوتّرة وحانية، ماجنة وحالمة، عنيفة ورقيقة، راقصة لقدرها وقابلة بها في الآن نفسه، تيمّناً بالدور النبويّ الملقى على عاتق الفنّان حين يأخذ على نفسه أن يتقمّص بطولة الحياة وهشاشتها الشعريّة.

كان لا بدّ لهذا الفنّان المتحدّرة طفولته من ملاعب فلسطين، والممهورة ذاكرته بوجع المجازر التي مني بها أهله وبنو قومه في تركيا الأرمنيّة، أن يحمل في لاوعي ريشته توتّر الخطوط وجروحَ الألوان، وأن تكون لوحته مهجوسةً بسرّ الحياة ومعاندة الموت

الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم

خلاصات واستنتاجات

عبدو القاعي

بناءً على طلب الأمين العام للمجمع البطريركيّ الماروني، المطران يوسف بشارة،

وبالعودة إلى الاقتراحات التي وردت في الدورة الأولى للمجمع البطريركيّ الماروني بشأن أن تتبنّى كلّ جامعة من الجامعات الكاثوليكيّة ملفاً من الملفّات التي تمّ نقاشها خلال جلسات هذا المجمع،

وتلبيةً لدعوة جامعة سيّدة اللويزة بأن تبحث وتتعمّق في الملفّ العائد للكنيسة المارونيّة في عالم اليوم،..

نظّمت الجامعة حلقة دراسيّة نهاري الجمعة ٢٧ شباط و٥ آذار ٢٠٠٤ لمناقشة هذا الملفّ. وطُرحت في سبيل ذلك الاشكاليّة الآتية:

عالم اليوم وتحوّلات الحداثة
دور الكنيسة المارونيّة

I. الاطار العام للإشكاليّة

الحداثة التي طبعت التوجّهات الثقافيّة للقرن العشرين تتعرّض اليوم لتحوّلات كبرى أحدثت أزمات بنيويّة في المجتمعات تنعكس بشكل رئيسيّ على مستويات خمسة، هي:

- **المستوى الثقافيّ: أزمة الثقافة**
- **المستوى المواطنيّ: أزمة المواطنيّة**
- **المستوى الدينيّ: أزمة الإيمان**
- **المستوى الاقتصاديّ: أزمة العمل**
- **المستوى المعرفيّ: أزمة العلم**

فكيف يمكن للكنيسة المارونيّة أن تساهم بشكل فاعل في مواجهة هذه التحوّلات التي تتعرّض لها الحداثة، وفي معالجة الأزمات التي تنتج عنها عبر الأدوار الدينيّة والدنيويّة التي تقوم بها في المجتمع؟

II. بعض من ملامح التحوّلات والأزمات الناتجة عنها

١- الحداثة وتحوّلاتها

تحت هذا العنوان يفترض التمييز بين الحداثة والنهضة والتجدّد والعلم والنقد وتطوّر مفاهيم الحقوق الإنسانيّة والسياسة والاقتصاد.

فالحداثة، كما حدّدها كانط (Kant)، هي في النزعة إلى النقد، وصولاً إلى التحليل العقلانيّ لكلّ شيء، وهي أيضاً في اعتبار الانسان غاية كلّ شيء.

المجتمعات الحديثة هي مجتمعات سعت شعوبها إلى الانخراط في هذين الاتجاهين، ما أدّى اليوم إلى ظهور إشكاليّة جديدة للحداثة، برزت من خلالها العلوم التكنولوجيّة كظاهرة أحاديّة تستقطب الفكر البشريّ، كما برزت أيضاً أحاديّة السوق المعولم الذي عطّل قدرات الشعوب على اتخاذ قراراتها وبناء سياساتها بيدها.

وعليه، يفترض أن تؤكّد الكنيسة المارونيّة اليوم على أنّ الحداثة تتطلّب إعادة نظر مفهوميّة أساسيّة، يُعمل من خلالها، ليس على نقد التقليد فحسب، بل على نقد النقد أيضاً، أي نقد كلّ منتجات القرن العشرين، تأميناً لعودة النهضة الانسانيّة والايمانيّة، ليس من طريق العقلانيّة فقط، بل من طريق الوجدان الإنسانيّ والضمير والإيمان أيضاً.

فعالم اليوم يتوق إلى بحث إيمانيّ يتخطّى

وسط الحلبة، ضربته هنا تمتشق برق التخطيط السريع والخاطف واللامع والمتوتّر، وضربته هناك تروح المساحات وتبسّطها باللون المتعدّد اللون.

سيعرف بول غيراغوسيان منذ اللحظة الأولى، أنّه فنّان بعبقريّة الغريزة ووحشيّتها وافتراسها. سيعرف أنّه رسّام بالحدس، وأنّه شاعر. وأنّه لن يستطيع أن يجتاز ذاكرة هذه المتاهة المأساويّة التي وُلد فيها وانتمى إليها، إلاّ بالسير في عتمة متاهتها وصولاً إلى الضوء الأشدّ سطوعاً ونحولاً في آن واحد. فهو لم يكن محتاجاً إلى علوم وتقنيّات ومراجع وثقافات تكشف أمامه الطريق، وإنْ كان مشبعاً بها، وعارفاً بذاكرتها العائلة. كان يكفي انتماءه المشرقيّ هذا، أنّه يجعله أميناً على تاريخه ومحتده، ومدركاً لدوره ومسؤوليّاته في هذا المجال الفنيّ، كـ«ناقل» مستقبليّ للمناخات المشرقيّة، الإيقونوغرافيّة والنصبيّة والنحتيّة، التي يحفل بها تاريخنا المشرقيّ هذا. هكذا ستكون لوحته ساهرةً على تجديد تراثها الحضاريّ: من بلاد ما بين النهرين إلى أرض الكنانة والفراعنة، فإلى هنا، في فينيقيا المترامية على طول هذا الشاطئ، وربّما في الأعالي أيضاً وأكثر، من جبال طوروس إلى لواء الاسكندرون إلى أرض لبنان وفلسطين.

وستكون المرأة هي هاجس اللوحة. المرأة الواحدة، وإنْ جماعةً. في الحدّة والتوتّر أحياناً؛ وفي حلم اللون ورقته وغنائيّته المذهلة أحياناً أخرى.

هذه المرأة بالذات، أمّاً مفردةً، أو أمّهات، ستكون هي مستقبل تلك اللوحة. في احتداد اللون وحريقه الصوّانيّ اللمّاع والبارق، وفي احتلامه اللطيف ولبنه وعسله وشهقاته الخفيّة، في نهره الجارف، وفي ترقرقه. وسيحضر اللون، مساحةً أو خطّاً، في حركته الداخليّة، وفي نورانيّته العميقة، في وميضه الخاطف، وفي غباراته الذهبيّة، في فحميّته الداكنة والقاتمة، وفي إشراقه الفذّ، كما لو أنّه فجرُ ما بعد الطوفان: هكذا هي لوحة غيراغوسيان، مزيجاً من فردوس الوجد وأتون المأساة، على غرار ألوان قوس القزح عندما يعلن الله انتهاء الكابوس.

لذا ستكون القامات المتراصّة، المتداخلة، المتآخية، المتوأمة، المنصهرة، هي المصير الذي يعدنا به بول غيراغوسيان: الهاجس الإنسانيّ سيجد شكله الأمثل في الفرد– الجماعة. في الفرد الذي هو الجماعة. وفي الجماعة التي تسيل في الفرد.

هذه الجماعة– الفرد ستكون مجسّدة في صورة امرأة. في وجه عشيقة وزوجة وأخت وأمّ وجدّة. وستكون الأمّ هي المثال الأعلى لتلك اللوحة، وهي ستكون خلاصاً للجماعة من هجراتها ومجازرها وقلقها وموتها.

وستجد العاصفة اللونيّة الهوجاء مبتغاها في الكتلة البنائيّة، في تلك القامات المجتمعة، وقوفاً، كعائلة.

دائماً تلك العائلة المتراصّة ستكون متأهّبة وفي حالة وقوف، لأنّها الوقوف شهادةً. في وجه الريح وفي وجه الموت، لكنْ أيضاً شهادة للحبّ والحياة.

ولن يغيب عن بال غيراغوسيان أنّ ديناميّة الخطوط المرتجلة إنّما هي ديناميّة ضميره الإنسانيّ وفوران وجدانه الذي يخترع ألوانه وأشكاله المكتملة والمستتبّة، لا العشوائيّة، مراراً بذكاء الغريزة وعبقريّتها التي تقود الحدس إلى شكله الأمثل، ومراراً بخبرته الناضجة التي جعلته متمكّناً من التقنيّات ومشرّحاً ومدقّقاً في التوازنات والأحجام والنسب.

وعليه، ستمكّنه لوحته من أن يكون شاعر الواقع وشاعر التعبير وشاعر التجسيد والتشخيص وشاعر التجريد. وستجعله شاعر الإنسان وشاعر الجماعة، بل شاعر المرأة على الدوام.

هل تعد لوحته بالقيامة؟ نجيب: إنّها دائماً هي الوعد، من دون أن تركن إلى جواب. إنّها لوحة الوعد الذي يتحقّق ولا يتحقّق. لذا سيعمد بول غيراغوسيان إلى «التكرار»، لأنّه لا يرسم موضوعاً بل يرسم الهاجس الذي يريد أن يتغلّب بالألم والموت والحبّ، وبجنود اللون والخطّ، وبشعريّتهما، على قوى القتل والإلغاء، متشبّثاً، وإنْ في العاصفة الهوجاء، بحلم الحياة.

صاخباً وهادياً وشفّافاً ونورانيّاً وممحوّاً، يمنحنا معرض بول غيراغوسيان هذا، بلاغةً تشكيليّة هي ضدّ البلاغة، وأشكالاً هي ضدّ الأشكال، وتقشّفاً عميقاً يختزل الكلام، الكلام كلّه، بظلال الألوان الداخليّة وحرائقها المجيدة.

وكما أهل الطوفان انتظروا حمامةً تحمل في فمها غصن الزيتون، فإنّ لوحة غيراغوسيان تعد بذلك الغصن. هذا التكرار الهاجس هو الذي سينبئنا بأنّ حمامة السلام ستحطّ على غصن زيتون في أعالي جبال طوروس أو على مئذنة في القدس أو على أرزة نازفة في جبل لبنان، عندما تشرق نجمة الصباح من رحم الليل الطويل. وستأتي الحمامة خافضةً جناحيها لتنشر السلام طبعاً، وإن طال ليل الكابوس والطوفان.

أزمـة الإيمـــان

الشباب ملزم اليوم في أن يعيد إنتاج إيمان أهله لينتمي إلى جماعته الدينيّة. الإيمان يصبح أكثر فأكثر التصاقاً بالجماعة المؤمنة، فيما هو فعل تجلّ خلال تجربة حياتيّة فذّة يعيشها الفرد في علاقته مع المعطيات الدينيّة التي تصله. الايمان، يتطلّب أن نساعد الشباب في أن يكونوا ناقدين، بلا خوف لا على إيمانهم ولا على المعتقدات الايمانيّة.

الكنيسة المارونيّة مدعوّة اليوم إذاً إلى فتح باب النقد في العمليّة الايمانيّة، لكي يتمكّن الشباب الذين يتعلّمون النقد في المجالات العلميّة، أن يعيشوا إيمانهم من دون خوف عليه من الفكر النقديّ، بل نساعدهم لكي يكون الفكر النقديّ. هي مدعوّة بشكل عمليّ إلى التغيير في برامجها التثقيفيّة والاعلاميّة لكي يصبح الفكر النقديّ سبيلاً إلى تعزيز الايمان. أمّا الحشود في الكنائس فليست بالضرورة ظاهرة إيجابيّة، إنّما يمكن أن تكون هروباً عاطفيّاً إلى الأمام، أو انصياعاً لما هو قائم خشيةَ ممّا سيكون بفعل الإرادة الشخصيّة.

أزمـة العمـــل

من المعروف اليوم أنّ البنيات الاقتصاديّة وتطوّر السوق المعولمة سيؤدّيان أكثر فأكثر إلى البطالة وإلى تهميش الناس، حتى الذين يكونون قد تخرّجوا من المعاهد والجامعات بشهادات عالية. فالكنيسة المارونيّة مدعوّة اليوم لأن تبحث في مفهوميّة العمل، ليس كوظيفة فقط، يبيع الانسان من خلالها مجهوده ليحصل على لقمة عيشه، بل كنشاط ممهنن، يحقّق الانسان من خلاله ذاته ويساعد مجتمعه على تطوير نوعيّة الحياة فيه.

ثمّة مجالات عديدة، يمكن أن يلتزم بها الشباب ويقوموا بنشاطات مهنيّة، لكنّ الرأسمال غير مستعدّ لدفع ثمنها. الكنيسة المارونيّة، مطلوب منها أن تعيد النظر في قضيّة التزام الرأسمال في مجالات خلق نشاطات مهنيّة جديدة تساعد على تحسين نوعيّة الحياة: في المدينة والريف، في المدرسة والبيت، في إنتاج السلع وتوزيعها...، ولكنّها غير مربحة كغيرها في شكل مباشر.

أزمـة العلـم

العلم، اليوم، أصبح اختصاصاً، والاختصاص أصبح مورداً لرأس المال، إلى درجة أنّنا غدونا لا نسأل إلاّ كيف ندير الموارد البشريّة لتوفير أفضل إفادة ممكنة لرأس المال، ولتحقيق أفضل فاعليّة ممكنة له على مستوى نوعيّة المنتج.

لم يعد العلم اليوم سؤالاً نقديّاً، ولا سؤالاً منهجيّاً. دور الكنيسة، هنا، ومن ضمنها الكنيسة المارونيّة، يقوم على أن لا تنصاع لما تقدّمه لها البنيات التعليميّة التي وضعتها قوى السوق تحقيقاً لمشيئتها، وعلى أن تسأل هذه القوى عن مصير العلم والانسان، وأن تدعو بالتالي إلى البحث في الافادات الانسانيّة من العلوم، وإلى الحدّ من سلطة الخبراء والقيّمين على المعرفة في اتخاذ القرارات وتحديد مصير الشعوب والتسبّب في تراجع الديمقراطيّة في العالم، بمعنى تراجع بناء أطر الإصغاء الى إرادات الشعوب وتفعيل مشاركتها في اتّخاذ القرار.

أزمـة الإعـــلام

أصبح الإعلام خاضعاً إلى حدّ بعيد جداً لسلطتين: القوّة السياسيّة والمال. ومن دور الكنيسة، والكنيسة المارونيّة من ضمنها، ألاّ تسعى إلى أن يكون لها، لا مكان ولا مكانة، في مجرى هذين التوجّه والاتجاه، بل أن تساهم مع الشباب في وضع الأطر الحواريّة والنقديّة التي تحفّز وتؤهّل للبلوغ إلى فكّ الارتباط بين الإعلام من جهة والمال والقوّة السياسيّة من جهة ثانية، فيتمكّن الإعلام بالتالي من أن يبني ذاته على الإصغاء ونشر المعرفة وتنوير الذين يبحثون عنها.

III. الأمور التي طرحت للنقاش في الحلقة الدراسيّة

طرحت للنقاش في هذه الحلقة الأدوار التي تقوم بها الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم، وطلب من معدّي الأوراق حولها توضيح معالم التطوير أو التغيير في هذه الأدوار بالاستناد إلى الإشكاليّة المطروحة أعلاه.

ويمكن تفصيل هذه الأدوار كالآتي:

الكنيسة المارونيّة والثقافة: أمين الريحاني – بولس سرّوع – يوسف يعقوب

الكنيسة المارونيّة والأرض: ضومط سلامه

الكنيسة المارونيّة والتربية: سهيل مطر – عبدو القاعي

الكنيسة المارونيّة والسياسة: ميشال نعمة – جورج لبكي – منصور عيد

الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ: ماري خوري – نعيم سالم – الأب بولس وهبه

الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة: أيلي يشوعي – فيفيان نعيمه

الكنيسة المارونيّة والإعلام: جورج مغامس – جوزف عجمي

IV. أهمّ الخلاصات والاستنتاجات

يستخلص من المداخلات والمناقشات حولها خلال الحلقة الدراسيّة اقتراحات عدّة للتصويب أو التطوير أو التغيير في أدوار الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم، نلخّصها بالآتي:

البحث العقلانيّ، والبحث العقلانيّ يتوق إلى آليّة نقديّة تتخطّى الآليّة التكنولوجيّة، والبحث التكنولوجيّ يتوق إلى إنسان يسعى إلى بناء سعادة العيش أكثر من بناء وسائل الحروب والدمار.

ولذا، فإنّ على الكنيسة المارونيّة، في علاقتها مع الحداثة، أن تشارك في البحث مع الكنيسة ككلّ ومع كلّ العاملين في حقل العلاقة بين الايمان وتطوّر العلوم الانسانيّة، لكي تتمكّن من أن يكون لها مكان ومكانة مع شبابها في معترك الحياة، الحياة التي يعيشها هؤلاء الشباب ومن حولهم تتزايد الأسئلة الكبيرة وليس من يساعدهم على تفكيكها وحلّ رموزها.

٢- الأزمـــــات

أزمـة الثقـافـــة

من المفترض اليوم، وفي ضوء التحوّل التكنولوجيّ الحاصل، وتقدّم العلوم الانسانيّة، وبخاصّة في مجاليها النفسيّ والاجتماعيّ، والبلبلة الثقافيّة التي ترافقها، التمييز دون الفصل بين الثقافة وبين الانتماء والهويّة والأصول والجذور، على أنّ الأبعد، في الزمن والتكوين، بين هذه المصطلحات، هو مصطلح الجذور.

الجذور: هي كلّ ما يعطي ويأخذ، لكنّها لا تظهر في التعبير الخارجيّ. هي في الجينات لدى الكائنات الحيّة.

الأصول: هي متعدّدة وتعود إلى أحداث أساسيّة تطبع الجذور بطابعها الخاصّ، وتؤثّر فيها بشكل مميّز.

الانتماء: هو في الروابط التي تصل الانسان بذاته وبمحيطه، إمّا بشكل يسبق وجوده الذاتيّ الشخصيّ (أهل وأنسباء...)، وإمّا بشكل إراديّ (جماعات وجمعيّات...).

الهويّة: هي مشروع الذات، ومشروع الجماعة. هي مشروع كلّ كائن فرديّ أو جماعيّ.

هي مشروع لأنّها تَشَكُّلٌ دائم عبر الأحداث والإرادة الذاتيّة والموروثات من الجذور والأصول الانتماءات المختلفة البدئيّة والإراديّة.

الثقافة: هي تعبير عن حال الجذور والأصول والانتماء والهويّة، تترجّح بين صورة تقليدها فينا وبين الصور التي نخلقها في ذاتنا عبر سفرنا نحو الثقافات الأخرى، وحوارنا معها، واعترافنا بها، وفهمنا لمكنوناتها، واعتنائنا بصيرورتها.

ولذا، لا يمكن الكلام على الثقافة والهويّة وكأنّهما من الثوابت. من هنا الاقتراح أن يتمّ التركيز على البحث في الأصول المارونيّة ضمن المنابع المسيحيّة في إطار الجذور الابراهيميّة التي تشتمل على سائر المسيحيين وعلى المسلمين واليهود، وفقاً لمختلف أشكال التعابير الثقافيّة التي شهدتها هذه الجذور في الماضي، والتي تشهدها اليوم.

فمن مثل هذا البحث، يأتي الكلام على الهويّة والثقافة كفعل لكنيسة مارونيّة تنهل من الأصول، وتنبعث في التاريخ عملاً حرّاً يجدّد عيش كلام المسيح وفق الظروف والتحوّلات، ويتفاعل مع الأصول المسيحيّة والجذور الابراهميّة والانسانيّة.

فالكلام على الخصوصيّة في الثقافة وفي الهويّة خطير جداً، لأنّ الثقافة والهويّة يشكّلان معاً ذاتيّة متحرّكة، تتعرّف على ذاتها عبر احتكاكها مع عمقها التاريخيّ وانفتاحاتها على الهويّات والثقافات المختلفة. وكلّما انفتحت الهويّة على الثقافات، كلّما تأكّدت قدرتها على الحوار بين أصولها وتفرّعات الأصول الأخرى والتعابير المختلفة الصادرة عنها، وتأكّدت كذلك قدرتها في بلوغ الجذور الابراهيميّة والانسانيّة الأخرى.

الهويّة كما الثقافة ليسا إذاً شيئاً محدّداً. هما مشروع لشيء لم يكتمل، يسعى الأفراد والجماعات لإكماله، ولن يكتمل. فهل الموارنة مستعدّون لإكمال مشروعهم، لا عن طريق ترميم الضفّة وتجميلها، بل عن طريق الجسر الذي يصلهم بالضفّة الأخرى (أي سائر الكنائس والأديان)؟!

الأهمّ هو مشوارنا على الجسر، فكيف ننطلق في هذا المشوار!

نحن نعتني بترميم الضفة وتجميلها، ولا يعنينا لا الجسر ولا التغيير الذي يحدث خلال مشوارنا على الجسر؛ وفي هذا مشكلتنا.

أزمـة المواطنيّـة

المواطنيّة، في الأصل، فعل مشاركة في بناء المؤسّسات. المؤسّسات عموماً اليوم تصرّ على ثوابتها، وتحول دون أيّ تدخّل في شؤونها. فهل الكنيسة المارونيّة مستعدّة لأن تفسح في المجال أمام الشباب لكي يصبحوا مُمأسسين (أي قادرين على المواطنيّة)، عبر إعادة النظر في بنيات مؤسّساتهم الروحيّة أوّلاً، ومن خلال تمكينهم من العمل السياسيّ في علاقتهم مع المؤسّسات المدنيّة. فالالتزام، من هذه الزاوية، ليس عملاً طوعيّاً، يقوم به الإنسان تغطية لأوقات فراغه، إنّما هو عطاء للذات في مشروع، يحقّق الفرد عبره، ذاته والذات المجتمعيّة، فيه وفي الجماعة التي ينتمي إليها. ففي الالتزام، الكذب غير ممكن: فإمّا أن يكون المرء صادقاً، أو لا يكون. فهل سنتيح للشباب المارونيّ أن يعرف بصدق أنّ هناك مشروعاً يستأهل أن يعطي ذاته في سبيله؟!

ثالثاً: تأسيس صندوق تعاضديّ يؤمّن مساهمة أفراد المجتمع الأثرياء في تربية وإعداد أفراد المجتمع المحتاجين، فيساهمون هكذا في تمكينهم من بلوغ المساواة المنشودة معهم.

رابعاً: إعادة النظر في آليّة نقل المعارف للتمكّن من مواجهة تحدّي تتبّع حركة إنتاجها ومن اتّخاذ القرارات التي تساعد على اختيار المعارف المفيدة في إطار نسبيّ متحرّك.

خامساً: رفع مكانة البحث العلميّ وتوسيع حقول نشاطاته وتعميق الأسئلة البحثيّة المطروحة وترجمتها إلى أسئلة حيويّة حول نوعيّة الحياة وخلقيّاتها.

سادساً: تعميق البحث والحوار بين جميع مؤسّسات المجتمع التربويّة والمهنيّة والاقتصاديّة والسياسيّة حول المعارف والاختصاصات المفيدة بما لها من علاقة مع المنظورات الفكريّة والخلقيّة المرتبطة بالتكوين الإنسانيّ الشامل ومع النشاطات المهنيّة وطريقة مزاولتها في عالم الغد.

سابعاً: التطوير الدائم لمنهجيّات التعليم ووسائله للانتقال من الأسلوب التلقّنيّ للمعارف المسبقة إلى الأسلوب التلقّنيّ للمعارف المتحرّكة في إطار من النسبيّة والتنوّع والتشكّل الدائم لأنواعها وأشكالها ومضامينها، ومن الثبوتيّة في الموقف البحثيّ الواحد الملتزم بحدوديّة اكتشافاته وبلا حدوديّة تطلّعاته.

ثامناً: التمرّس الدائم في مجالات العمل المؤسّسيّ الهادف، لا إلى تثبيت ما هو قائم في المؤسّسات بل إلى تمتين العمل المواطنيّ من داخلها، لكي تبقى المؤسّسات الجامعيّة قادرة على دفع الحقوق الإنسانيّة وتحريكها في المجتمعات، فلا تكتفي بتكييف الناشئة على ما هو قائم من قوانين وتقاليد في هذه المجتمعات.

٣- بالنسبة للسياسة

أوّلاً: توسيع الأسئلة البحثيّة لتطال، كما جاء خاصّة في مداخلة الدكتور ميشال نعمه، الأمور التالية:

■ العلاقة بين دور الكنيسة المارونيّة الوطنيّ وبين دورها العالميّ في إطار عالم الانتشار، ومن ضمن الفكر الكاثوليكيّ الشامل.

■ العلاقة بين دور الكنيسة المارونيّة مع موارنة لبنان وباقي المسيحيّين في لبنان والشرق وبينهم وبين المسلمين ، واليهود وغيرهم من المؤمنين وغير المؤمنين.

■ العلاقة بين التزام الكنيسة المارونيّة تجاه صفوف الفقراء والعمّال والمهمّشين والمنبوذين والالتزامات السياسيّة اليسارية والانسانيّة الأخرى، في لبنان والعالم، ومع المناضلين من أجل صفوف الانسان.

■ العلاقة بين الكنيسة المارونيّة والكنائس الأخرى في العالم، وبخاصّة الكنائس الأميركيّة الكاثوليكيّة منها والبروتستنتيّة المرتبطة بالقوى السياسيّة الفاعلة في أميركا والعالم.

■ العلاقة وبين الكنيسة المارونيّة المنتظمة في إطار جمعيّات مدنيّة في مجالات العمل التربويّ أو الاجتماعيّ بين الجمعيّات المدنيّة الأخرى التي تناضل من أجل الحقوق وتطوير مدنيّة المجتمعات خارج الإطار الكنسيّ.

■ العلاقة بين الكنيسة المارونيّة كمموّلة للمشاريع الإنمائيّة والمؤسّسات العالميّة العاملة في مجالات التمويل في كالبنك الدوليّ وبنك التسليف الدوليّ ومنظّمة التجارة العالميّة.

ثانياً: تطوير دور لبنان الحضاريّ والروحيّ كدور من أدوار الكنيسة المارونيّة الرسوليّة.

ثالثاً: التركيز في عمل الكنيسة الرسوليّ على دعم حقوق الانسان من أجل قيام دولة المؤسّسات والحقوق في لبنان.

رابعاً: تعميق البحث حول آليّات الحوار المعتمدة على الصعيدين الروحيّ والمدنيّ من أجل نقل هذا الحوار من الساحة التي يتمّ البحث فيها عن الروابط العقائديّة الفكريّة والثقافيّة المشتركة إلى المساحة الايمانيّة الواسعة التي تسمح بتضمين الفوارق والاختلافات ضمن نظرة مدنيّة وإنسانيّة شاملة.

خامساً: التركيز في كلّ الأعمال الرسوليّة على الالتزامات التي دعا إليها الإرشاد الرسوليّ، وأهمّها:

■ تكريس دور الكنيسة في الإرشاد السياسيّ عبر المراقبة والتنبيه والتحذير وتحديد الأخطار وإظهار السيّئات والعيوب.

■ تثبيت الروحيّة الميثاقيّة التي انطلقت من ميثاق ١٩٤٣، وتكرّست في اتّفاق الطائف.

١- بالنسبة للثقافة

أوّلاً: ضرورة أن تساهم الكنيسة المارونيّة في إعادة طرح الأسئلة المفهوميّة والفلسفيّة التي تساعد على فهم الثقافة وعلى إعادة تصويب المسار الثقافيّ السائد حاليّاً في لبنان وفي العالم ككلّ. أهمّ هذه الأسئلة أوردها الدكتور أمين الريحاني في كلمته، وأوجزها بالآتي:

■ لو استعنّا بلغة أغسطينوس والأكويني لتساءلنا إلى أيّة درجة قبلت الكنيسة ثقافة الشك توصّلاً إلى ثقافة الايمان؟ وإلى أيّة درجة تبني البيعةُ المارونيّة على المدرسة السكولاستيكيّة التي أخَذَت بها المدرسةُ المارونيّة في روما والتي يمكن التوسّع بها للإفادة من المدارس الفلسفيّة الحديثة خدمةً للايمان؟

■ لو قُيّضَ لنا أن نملك لغة كيركغارد الوجوديّة المؤمنة لتساءلنا معه ما هي الوسائل المعرفيّة التي أفاد منها الموارنة في سبيل التوصّل إلى ثقافة وجوديّة تثري الايمان، وثقافة مؤمنة ترتكز على مقترب وجوديّ معاصر؟

■ لو حاولنا الإفادة من نسبيّة ألبرت أينشتاين الفيزيائيّة ونسبيّة بول ريكور في نظريّة التناصّ، أي المعنى النسبيّ للنصّ بعد مقابلته مع نصوص أخرى، لتساءلنا إلى أيّ مدى استعدّت الكنيسة للقبول بنظريّة النسبيّة وتوظيفها في خدمة الايمان أو المعنى الدينيّ؟

■ وأخيراً لو حاولنا أن نقترب من لغة هايدغر ومقاربته لمفهوم الزمن لتساءلنا معه ما إذا كان المعنى الدينيّ، سواءٌ أكان من نتاج كُهّان الهيكل أم من نتاج البيعة، معنىً تاريخيّاً مرتبطاً بالزمان، أم معنىً قديماً قِدَم الله، خارجاً عن الزمان؟ وفي الحالين، كيف تتعامل مع هذين المعنيين المارونيّة في القرن الواحد والعشرين الذي أقلقته هذه الفلسفات، القديمة والحديثة، الإسلاميّة والمسيحيّة؟

■ ولو استعنّا بلغة إسلاميّة نسأل هل أنتج الموارنة عبر تاريخهم الثقافيّ «معتزلةً» ناقشت «أشاعرةَ» الطقوس والمعتقدات المارونيّة؟

■ وإذا استعنّا أخيراً بلغة متصوّفة نسأل هل أنتج الموارنة عبر تاريخهم الثقافيّ حلاّجَهم؟ هل لديهم ابن عربي، أو ابن الفارض يرتفع بالايمان الخلقيدونيّ إلى ذراه الروحانيّة الخالصة التي تلتقي في سِدرةِ منتهاها إلى تواصل الفلسفة باللاهوت وتداخل اللاهوت بالفلسفة بالايمان؟

ثانياً: ضرورة أن تؤكّد الكنيسة المارونيّة أنّ للثقافة مداخل عديدة، وليست محصورة في بعض التعابير التي تؤدّي اليوم إلى الحصريّة الثقافيّة الكاتمة. ومن أهمّ هذه المداخل التي يفترض إعادة فتحها وفهمها وصياغتها في حياتنا الخاصّة والعامّة، كما وردت في مداخلة د. بولس سرّوع، هي:

■ **ثقافة الزمن**، كمعيار للحدث المتحدّر دوماً عبر ديناميّة تحريكيّة تفوق كلّ آنيّة، وعبر تاريخيّة تربط بين الماضي والحاضر والآتي مستقبلاً.

■ **ثقافة الأرض**، ككائن حيّ تجتمع فيه العناصر ويتمثّل هو فيها بأكثر من شكل ويترك فيها أكثر من أثر.

■ **ثقافة الإيمان**، كفعل قبول وكينونة وتصرّف مرتبط بالتجربة والزمن.

■ **ثقافة الإنسان**، كمجموعة أهواء ونوازع وتواريخ ومحطّات وأعراق وأجناس تجعل منه مخلوقاً في غاية التركيب والتعقيد.

■ **ثقافة النسك والتفوّق**، كتجربة وجوديّة إيمانيّة يتفوّق بها الإنسان على ذاته كما رسم

لنا ذلك الدكتور يوسف يعقوب في مداخلته حول الحرديني.

٢- بالنسبة للتربية

أوّلاً: إعارة التربية، وبخاصّة التربية على القيم الإنسانيّة والروحيّة والمواطنيّة، أهميّة قصوى في السنوات المقبلة، بهدف توضيح الروابط القائمة بين هذه القيم وتحرير التنوّع الثقافيّ من القيود العقائديّة والايديولوجيّة الراديكاليّة التي تكبّله، من أجل بناء الإنسانيّة والمواطنيّة معاً من خلال تكوين إنسانيّ شامل.

ثانياً: إعادة النظر في المسار القيميّ السائد حاليّاً، والذي يضع القيمة في خانة التقدير الاجتماعيّ المرتبط بمقاييس النجاح في المنافسة من أجل تضمين هذا المسار آليّات تربويّة جديدة تدفع للارتقاء نحو القيمة الإنسانيّة على طريق الإصغاء إلى الضعفاء والنضال من أجل توفير الحقوق الإنسانيّة للجميع.

تاسعاً: توطيد جهد تنظيميّ لاستغلال أفضل لممتلكات الكنيسة المارونيّة الزراعيّة والعقاريّة، ولمؤسّساتها التربويّة، والاجتماعيّة والصحيّة.

عاشراً: زيادةُ التلاحم بين المواطنين بإرشاد منَ الكنيسة، بُغْيَةَ تفعيلِ القُدرات البشريّة وتهيئة التغيير الاجتماعيّ الاقتصاديّ.

أخيراً: إعطاء زخم جديد للإصلاح الداخليّ في المؤسّسات الكنسيّة كي تُضحي مثالاً وقُدْوَةً للمجتمع، وتحقيقاً لقيم العدالة والصدق والشفافيّة والتسامح على درب المحبّة. والتركيز على توعية الجيل الصاعد من خلال التربية على أسس العدالة والمساواة.

٦- بالنسبة للإعلام

تبيّن في مجال الإعلام أنّه لا يمكن الفصل بين الكنيسة المارونيّة والهويّة والوطن والتاريخ والصلاة والجبال والبحر واللغة ومواثيق العمل ومبادئ السلوك وقيم التعايش وحقوق الإنسان كواقع وآفاق لتدعيم الرسالة اللبنانيّة، والرسالة المارونيّة من ضمنها في لبنان والعالم.

بناءً عليه، تمّ اقتراح الإجراءات التالية للحدّ من بابليّة الإعلام السائدة حاليّاً في الإعلام الكنسيّ كما وفي جميع أنواع الإعلام الأخرى (مراجعة ورقة أ. جورج مغامس)

أوّلاً: تعميق البحث في آليّة النشر الإعلاميّ من أجل التوصّل إلى تبليغ المعرفة صحيحة سليمة نزيهة عبر إتاحة الفرص للحدث أن يعرّف عن نفسه من دون اجتهاد أو تأويل أو أدلجة.

ثانياً: دعم الجهود البحثيّة والتطبيقيّة داخل الكنيسة المارونيّة وخارجها لنقل التشويق والإثارة في الإعلام من حلبات العنف والحبس والتسلّط والاحتيال والمراوغة والشطارات والبطولات الزائفة، إلى مجالات مغامرات الحبّ الصادق والبطولة في عيش قيم الجدّ والصبر والمغامرة والصبر والشجاعة والتضحية والدفاع عن الآخر والغفران والتأمّل.

ثالثاً: تعزيز الوسائل الإعلاميّة الديموقراطيّة كمدخل لتعزيز الديموقراطيّة في الإعلام عبر الحدّ من تسلّط الأقوياء على وسائل الإعلام، ومن البحث عن استرضائهم والقيام بالجهود اللازمة لدفع الأقوياء على تمويل إعلام يكون خدمة للإصغاء إلى الجميع ولنصرة الضعفاء في بيتهم.

رابعاً: إنشاء فريق عمل من إعلاميّين وكتّاب ومخرجين وموسيقيّين وباحثين في العلوم الإنسانيّة الاجتماعيّة والنفس- اجتماعيّة، يجهد في سبيل إنضاج رؤيا إعلاميّة على مستويي الداخل والخارج، لتحسين وتحصين الأداء الإعلاميّ عموماً، والكنسيّ الماروني خصوصاً، في الوسائل الخاصّة والعامّة بما يتلاءم مع التوجّهات المحدّدة في الاقتراحات الثلاثة أعلاه.

٧- بالنسبة للأرض

يمكن التأكيد على الاقتراحات التالية (راجع مداخلة د. ضومط سلامه).

أوّلاً: تكليف اختصاصيّين من موارنة ملتزمين كي يقوموا بالإجراءات التالية في ما يعود لممتلكات الكنيسة.

- تقييم جميع الممتلكات وتصنيفها وفقاً لوجهات الاستعمال الممكنة لها.
- فصلها إلى عقارات غير صالحة للاستثمار أو غير قابلة للاستثمار، وإلى عقارات صالحة للاستثمار.
- تقسيم العقارات الصالحة للاستثمار إلى حصص متناسبة ومتساوية بقدر الإمكان.
- دراسة شاملة بوضع المحتاجين من أبناء الكنيسة وإثبات وضعهم المحتاج.
- توزيع العقارات بالتساوي على أبنائها المحتاجين لفترات محدودة من الزمن، بين ستّ وعشر سنوات غير قابلة للتجديد، إلاّ إذا لم يكن هناك من محتاجين لم يحصلوا على مساعدة بعد، أو بأيّة طريقة يراها الاختصاصيّون مناسبة.
- أن يدرس الاختصاصيّون نسبة المحاصصة حين يبدأ الاستثمار، كي يأخذ المحتاج قدر أتعابه وأن تأخذ الكنيسة نسبة يجب ألاّ تشكّل خطراً على الوضع لشاغل الأرض الاقتصاديّ.
- كي تشجّع الكنيسة مشاريع البناء وتشجّع أبناءها على التملّك كي يتمكّنوا من تأسيس عائلة وتتسهّل أمامهم كرامة العيش.

ثانياً: إذا ما نظرنا في واقع الموارنة اليوم فنرى بأنّ لقب «بطريرك أنطاكية وسائر المشرق» لا يتطابق أبداً مع الواقع على الأرض، ولا مع روحانيّة قرار روما حين أرادت أن تحدّد سلطة البطريرك بالمنطقة التي كان يعيش فيها الموارنة، ولا يجوز ألاّ يؤخذ الواقع وروحانيّة النصّ بعين الاعتبار. فالبطريرك الماروني هو أب لأبنائه أينما كانوا وأينما وجدوا، وبالتّالي نقترح أن يعاد النظر في اللقب البطريركيّ ومن خلاله في حدود الصلاحيّة، حفاظاً على الروح العائليّة في الكنيسة وحفاظاً على التراث الماروني. هذا الطلب يتناغم مع تشديد قداسة البابا الحاليّ على الحفاظ على التراث والتفاعل الأخويّ والدينيّ بين أبناء الكنيسة الجامعة، والمبنّي على احترام الآخر ومحبّته.

■ تبنّي صياغة سليمة كمفهوم اتّفاق الطائف.

■ تكوين مواطنيّة تاريخيّة تسعى إلى التوفيق بين معادلتي الميثاقيّة الطائفيّة والعلمانيّة التي تطبّق تشريعات الدول الديموقراطيّة.

■ الإسراع في تشكيل وحدة الكنيسة المارونيّة الرعويّة عبر إنشاء هيئة كنسيّة أسقفيّة رعويّة مستمرّة.

٤- بالنسبة للقضايا الاجتماعيّة

أوّلاً: أن تعمل الكنيسة المارونيّة في السنوات المقبلة على إعادة تنظيم إدارة الخدمات الاجتماعيّة والتربويّة في مؤسّساتها وفي مختلف المؤسّسات العاملة في لبنان، وأن تناضل من جل التصدّي للفساد المنتشر حاليّاً عبر تداخل السياسة بالاقتصاد واستعمال الحلّ الاجتماعيّ كوسيلة لجذب الناس وربطهم تبعيّاً بالمصالح السائدة.

ثانيا: تعزيز ثقافة حقوق الإنسان في أذهان أبناء الكنيسة المارونيّة أوّلاً، وفي أذهان اللبنانيّين ككلّ ثانياً؛ والتركيز في سبيل ذلك على تطوير آليّات تحقيق العدالة الاجتماعيّة، خاصّة في مجالات الخدمات التربويّة والاجتماعيّة التي تقوم بها الكنيسة المارونيّة في علاقتها مع مختلف المؤسّسات الأخرى الروحيّة والمدنيّة.

ثالثاً: النضال من أجل تطوير ثقافة حقوق الإنسان في محيط لبنان العربيّ عبر تبنّي القضايا الاجتماعيّة المحقّة، كقضايا الأطفال والمرأة والعدالة والظلم وخاصّة في ما يعود لقضيّة فلسطين، والديموقراطيّة بأشكالها التعبيريّة المختلفة.

رابعاً: تطوير البحث في مجالات توظيف الرأسمال في الحقول الاجتماعيّة عبر نشاطات تساعد على توظيف عدد كبير من اليد العاملة الشاغرة، وفي تحسين نوعيّة الحياة.

خامساً: إنشاء مكاتب إصغاء وتوجيه للناشئة في المدارس والجامعات وللمرضى في المستشفيات، من أجل المساندة والإرشاد في مجالات المشكلات التي يتعرضون لها.

سادساً: إيجاد مراكز رعاية وحماية ومتابعة متخصّصة تهتمّ بالفئات التالية:

القاصرون والمغتصبون

المعنَّفون في أسرهم

البائسون والمحبطون

اليائسون والذين هم في خطر الانتحار

الأمّهات العازبات

سابعاً: تطوير البحث وتعميمه حول المشكلات الاجتماعيّة وسبل معالجتها.

ثامناً: إعداد فرق للإغاثة والإعانة العاجلة في حالات الطوارئ، وذلك في مؤسّسات العمل الاجتماعيّ جميعاً، يتشارك فيها أطبّاء، وحقوقيّون، ومساعدون اجتماعيّون/ ومهندسون ومعالجون نفسيّون، ومرشدون روحيّون.

تاسعاً: تعزيز التنسيق في المجال الاجتماعيّ والروحيّ بين أبرشيّات الكنيسة المارونيّة، وبين سائر المؤسّسات الكنسيّة العاملة في الحقل الاجتماعيّ.

٥- بالنسبة للاقتصاد

هناك مهمّتان رئيسيّتان، على الكنيسة إيلاؤهما الاهتمام في السنوات المقبلة، كما يُستنتج من المداخلات التي قدّمت في هذا المجال، وبخاصّة مداخلة الدكتورة فيفيان نعيمه:

المهمّة الأولى تقتضي تسويغ الالتزام الاقتصاديّ للكنيسة. فالكنيسة هي أوّلاً كنيسةُ الفقراء، وعليها أن توقظَ الضميرَ الهاجعَ على ضرورةِ الاندماجِ الاجتماعيِّ مِنْ أجل التطوُّر الشامل والإنماء المتوازن.

المهمّة الثانية تتعلّق بتحديد أشكال التزام الكنيسة في الحياة الجماعيّة، وتتضمّن اقتراحات إجرائيّة، نحدّد أهمّها بالتالي:

أوّلاً: العمل على تغيير المؤسّسات المدنيّة في اتجاه العدالة، وبخاصّة لمصلحة الفقراء.

ثانياً: استعمال الأملاك الكنسيّة في سبيل خلق فرص للعمل ولتطوير الوضع الاقتصاديّ العام.

ثالثاً: العمل على ربط الاقتصاد الوطنيّ بالاقتصاد اللبنانيّ المغترب، وباقتصاد بعض البلدان ذات الصلة بلبنان.

رابعاً: ربط الاقتصاد بالثقافة وبخاصّة من خلال العمل على محو الأميّة، ونشر الوعي المواطنيّ في المجتمع، وهذا شرط من شروط التطوّر السياسيّ والاقتصاديّ، نحو تنمية شاملة ومتوازنة ومستدامة.

خامساً: مساعدةُ ذَوي الدخل المحدود على عدم الاستسلام لقدرهم، من خلال ابتكارِ طرائق وتحفيزات تخرج بهم من أوضاعهم المتردّية.

سادساً: اتّخاذُ مواقفَ في شجب الفساد الذي يعتري الدولة، بما في ذلك، إن لزمَ الأمرُ، محاسبةُ المسؤولين.

سابعاً: طرحُ تصوّرات بديلة للسياسات الاقتصاديّة والماليّة المعتمَدَة حاليّاً، التي أخلّت بمبدأي العدالة والمساواة على المستويين المحليّ والعالميّ، انطلاقاً من تعميق البحث العلميّ والخلقيّ الإنسانيّ في المجال الاقتصاديّ.

ثامناً: دعمُ المسارات التصحيحيّة والإصلاحيّة الناجمة عن الطروحات الاقتصاديّة الجديدة التي يقدّمها الباحثون.

أداة قمع وتحكّم بالآخر، فتوضع قواعد ثابتة ومرنة يتقيّد بها الجميع فتحدّد الأدوار بوضوح بحيث تنسجم الكلمة مع الموقف والسلوك.

١١- ضرورة اطّلاع الأهل على أهداف الخطّة التربويّة في تربية المواطن من أجل إشراكهم في العمل التربويّ كاملاً مع دور المدرسة.

١٢- إعطاء الأولويّة في كلّ مجال للعائلة ولدورها، لأنّ الفرد لا يمكن أن يكون فوق العائلة، ولا العائلة فوق المجتمع، ولا المجتمع فوق الوطن؛ لكنّ العائلة هي ركيزة الوطن، ومن أحضانها يولد العمالقة الذين يصنعون الأوطان والتقدّم والحضارات.

١٣- على الدولة أن تشكّل هيئة توجيه ومراقبة تناط بها مسؤوليّة الموافقة على اختيار البرامج التلفزيونيّة التي تبثّ من أرض لبنان أو رفضها وفقاً لمعايير وطنيّة وتربويّة وتثقيفيّة وفنيّة صحيحة.

١٤- يجب أن يطال التوجيه الأهل قبل الأولاد، بعد أن تبدّلت وجوه الحياة وغزا الإعلام والمعلوماتيّة كلّ بيت. وجدير بالأهل أن يعوا مسؤوليّاتهم أكثر فأكثر، ويتنبّهوا لخطر بعض الإعلام المتربّص بأبنائهم؛ فليس الإعلام بعد اليوم تسلية وترفيهاً، بل شريك فاعل، وفاعل جداً، في نطاق التربية؛ ومطالبة الدولة والمسؤولين عن الإعلام بإعداد برامج تثقيفيّة وترفيهيّة ترقى بالإنسان إلى حدود الكرامة الإنسانيّة.

١٥- التربية الجنسيّة بين العائلة والإعلام تقتضي:

- التربية على الحبّ الحقيقيّ، المجّاني، المتجرّد، الذي هو السبيل الوحيد للاتّحاد بالآخرين ومن ثمّ بالله.
- التربية على الحريّة الحقيقيّة المرتبطة بالصدق مع الذات أوّلاً ومعرفة الحقّ.
- التربية على المعرفة في صياغة القرارات المصيريّة.

١٦- التنبّه لمخاطر التربية العائليّة والمدرسيّة التي تجنح إلى:

- الاهتمام باكتساب المعارف على حساب تنمية المهارات العقليّة العليا.
- التركيز على النموّ الذهنيّ على حساب النموّ العاطفيّ.
- التشديد على كفايات الإنتاج من دون الأخذ في الاعتبار قدرات كلّ فرد.
- التربية على الامتثال، بدلاً من تنمية الاستقلاليّة.
- فرض القيَم الأخلاقيّة السائدة.

١٧- التأكيد على أنّ التربية داخل العائلة تقوم على نظام قيم، محوره الحبّ المبذول من دون حساب، وقوامه:

- مجّانيّة العطاء والحنان.
- قبول الآخر كقيمة بذاته، ورعايته من دون توقّف ومدى الحياة.
- التزام الحريّة والاستقلاليّة حتّى تحقيق الذات للأولاد بفرادة مميّزة بعد احتجاب الأهل.
- الجهوزيّة للمسامحة والمصالحة وصنع السلام.

التربية في العائلة

أيّ دور للأهل والإعلام؟

توصيات

انتهى المؤتمر الذي عقدته اللجنة الأسقفيّة لشؤون العائلة في لبنان واللجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام بالتعاون مع جامعة سيّدة اللويزة، في ٧-٨ أيّار ٢٠٠٤، في الجامعة، برعاية البطريرك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، تحت عنوان: التربية في العائلة: أيّ دور للأهل والإعلام، إلى جملة توصيات صاغها في جلسة ختاميّة: الآباء بولس نزهه وسمعان أبو عبدو وعبدو أبو كسم والأستاذ اسكندر جبران، كالآتي:

التربية في العائلة هي الأساس لحياة المجتمع والوطن والكنيسة، وباتت مسألة تقلق بال الأهل وذوي الإرادة الحسنة.

التربية في العائلة تواجه تحدّيات العصر، فلا بدّ من رفعها لكي تستعيد العائلة كرامتها وقدسيّتها.

ولكي تظلّ العائلة المدرسة الطبيعيّة الأولى للقيم الإنسانيّة والاجتماعيّة والخلقيّة، والخليّة الأولى للمجتمع حيث يحاك أوّل نسيج اجتماعيّ للشركة بين الأشخاص، لا بدّ من تبادل الخبرات بين القيّمين على التربية في الوطن وفي الكنيسة، ومن إلقاء الضوء على أعمال هذا المؤتمر القيّم لكي ننهل من كنوزه الفكريّة التوصيات التالية:

١- «وسائل الإعلام في العائلة: خطرٌ وثروة»، على الأزواج والعائلات أن تميّز بين ما هو صحيح منها وبين ما هو كاذب لكي تظهر أهميّة العائلة التي لا بديل عنها بصفتها وحدة المجتمع الأساسيّة.

٢- على الوالدين أن يعطوا أولادهم المثَل الصالح باستخدام وسائل الإعلام استخداماً متّزناً وانتقائيّاً، لكي لا تصبح وسائل الإعلام كضيوف دائمين في العديد من المنازل والعائلات مصدر إساءة، بل مصدر خير، نظراً لما للمسؤولين وللأهل من دور فريد ومسؤوليّة كبيرة.

٣- الوعي لنظام عائليّ جديد، من خلال قرابة جديدة إنسانيّة حواريّة، عقلانيّة أخلاقيّة.

٤- دعوة الكنيسة إلى إعادة النظر في معنى القرابة الدمويّة، فلا تقتصر الروابط العائليّة على صلة القربى فقط، بحيث تكون القرابة الإنسانيّة التي تتجاوز «الدم»هي أساس آخر في بناء العائلة.

٥- تفعيل دور الكنيسة في الإعلام للحدّ من تأثيره السلبيّ على أفراد العائلة.

٦- يجب إجراء تحوّلات جديدة على صعيد العمل التربويّ باعتبار أنّ التربية هي عمليّة صقل اجتماعيّ فريد وأساسيّ لكي ترسم العائلة آفاق التغيير المنشود عبر حيّزين: من الحيّز التقليديّ إلى الحيّز التجديديّ في الدعوة إلى فعل تنشئة إصغائيّة، حيث يطلب من المربّين، معلّمين وآباء وأمّهات، أن يكونوا منصتين إلى المتربّين بغية مساعدتهم أفراداً وجماعات.

٧- التأكيد على أنّ التربية العائليّة في البيت تنعكس على تفاعل الأولاد في تحصيلهم العلميّ؛ فإشراك الأبناء في مناقشة المسائل التي تهمّ العائلة ككلّ من أجل اتّخاذ قرار مشترك بشأنها ينعكس على الذين يتلقّونها في تصرّفاتهم المدرسيّة والجامعيّة.

٨- التأكيد على علاقات التبادل والتواصل والتفاعل الصادرة عن إحساس عميق بالانتماء إلى كيان عائليّ مشترك.

٩- التنبّه إلى الضياع الذي يعاني منه الأهل أحياناً قبل الأولاد، وذلك بفعل النزعة «الهمشريّة» التي تسمح للولد بتسمية الأهل باسمهم، وهو بدورهم ينقلون عنه بعض تصرّفات أو مواقف... فلا بدّ من العمل أوّلاً على الذات لتثقيفها وتهذيبها ولجعلها تخضع من دون توقّف لعمليّة المراقبة والمساءلة وإعادة النظر... فالقلب وحده لا يكفي لتربية كاملة، فالقوّة تكمن في التعاون بين العقل والقلب معاً للوصول إلى نتيجة ترضي العقل والقلب معاً.

١٠- التأكيد على أنّ السلطة الوالديّة هي إطار يحمي وينظّم العلاقات بين الأفراد، لا

وسام ومفتاح وحَصاد على قَدْر الزرع
ثمّ وردةٌ واحدةٌ فقط لا غير
ولكتبٍ عديدة يا.. مدير

تلك العشيّة، عشيّة ٢١ حزيران ٢٠٠٤، لا، لم تكن للاحتفال بكتاب وكاتب فحسب، بل كانت أيضاً للاحتفال بسيّد من سادة الجامعة، أعطاها من عقله وقلبه الكثير الكثير، سرّاً وإعلاناً، حتى صار اسمُه واحداً من أسمائها الحُسنى...

ولذلك، حَسُن في عين رئيس الجمهوريّة العماد إميل لحّود أن يقلّده وسام الأرز الوطنيّ من رتبة فارس،.. فيما لم يفت رئيس الجامعة الأب بطرس طربيه أن يسلّمه مفتاح الجامعة الفضيّ. فمَن بعضُ عمره من عمر الجامعة، جميلٌ ونبيلٌ بعضُ وفاءٍ، يعزّيه عن عنايةٍ فائقة أبداها وأدّاها في ما قدّم وخدم...

سهيل مطر، مبروك.

أمّا ماذا كان بعد؟ فقد كان مهرجان: حشدٌ إكليركيّ وسياسيٌّ... وأدبيٌّ حتماً؛ وعلى قَدْر ما تزرع حباً تحصد حبّاً!!

أَمَا من بَعد؟ بلى. ما غنّته جومانا مدوّر لسهيل مطر من ألحان جوزف خليفه. ويا سبحان الله!

ويا سبحان «المدير» «بملائكته» يعيّدونه في عيد الأب.. عيد القرابين على مذابح العيلة، أيّة عيلة!

رئيس الجامعة الأب بطرس طربيه قال:

آتٍ من الجرد العالي، من خفقات الجبال والأودية، من تنّورين البلدة الحالمة، القابعة بين جبلين، جمهوريّة الجبال والهواء الأوكسجين.

«الصبيّ الهارب من قضيب أبيه المعلّم»، والحامل في جعبته ذكريات البيت العتيق- السطح التراب: المحدلة، الرواق، المزاريب، خبز الصاج، كانون الفحم، المنقلة،.. الجرّه، النمليّة، الثياب المرقّعة، وباقةَ الزهرِ النادرِ الوجود يومَ الجمعةِ العظيمة ودفنِ المسيح...

إنه رفيقُ دروبِ حداثتي. يكبرُني بالسنواتِ عدداً، إنّما يرفض، وهو على حقّ، إذ إنّه المتحرّك دائماً، فلا يعرف الصدأ. يتحدّى ابن العشرين. لا يعرف التعب. حاضرٌ في الزمن لكلّ مهمّة أو واجب. هو مرآةُ هذه الجامعة، نقاوةً وشفافيةً. مهما أحاطت به المصاعب، يبقى صافي الذهن. لا يبخلُ باستشارة ولا يستريحُ، إلاّ بعد أن يجد لكلّ مأزقٍ مخرجاً. نموذجٌ لابن الجبل. متفجّرٌ في عطاءاته. لا يعرفُ الدَلَعَ والتسكّع. ولم تدغدغْه الأسماءُ الرنّانة والمراتب، بقدر ما دغدغهُ تحليقُ هذه الجامعة وازدهارُها.

عرفتُه زمنَ الطفولةِ والحداثة. وعدتُ لألتقيَ به بحكم الجيرة: أنا في دير اللويزة، وهو في الجانب الآخر من الطريق العام الفاصل، يوم اقترن بـ «لانا» ابنة معاناة التهجير والغربة، الآتية من الشرق الأوروبيّ البعيد، لم يعد يرى الجمال والابداع إلاّ فيها ومعها... إذا أحبّ، كانت

■ الإيمان بالآخر والثقة بإنسانيّته وبطاقاته الإيجابيّة.

■ التواصل والحوار والمشاركة في كلّ الظروف...

١٨ - خطوات عمليّة واقتراحات:

■ إنشاء حاكميّة لشؤون العائلة كإدارة عامّة تفوق منطق الوزارة.

■ إنشاء مراكز إصغاء وتوجيه في البلديّات وفي الأبرشيّات.

■ إنشاء مراكز رعويّة لشؤون العائلة في الأبرشيّات ترافق العائلات نفسيّاً وروحيّاً.

■ دعم الحركات التي تعنى بشؤون العائلة من قِبل الكنيسة والدولة.

■ تخصيص أماكن للشباب، وعدم تركهم في حالات إهمال خلال مرحلة المراهقة.

■ مراقبة سلوك الأولاد، لاسيّما المراهقين، بدءاً من لباسهم المحتشم إلى نوعيّة رفقتهم وسهرهم... وغيرها...

١٩- الإعلام يحاكي العاطفة والعقل والغريزة؛ فمن الضروريّ التنبّه إلى نوعيّته وتصويبه ومراقبته إيجابيّاً لخير الشباب والعائلة عن طريق:

■ إعداد مسؤول إعلاميّ «نظيف»، أي أن لا يبيع موادّ فاسدة تفسد العقل.

■ اختيار ألعاب تثقيفيّة ورياضيّة وتسلية (اختيار الفكرة، الإعداد لها بطريقة صحيحة، وإعداد مقدّم إعلاميّ لائق يقتدي به الشباب).

٢٠- التربية على الانتماء هي تربية على الانفتاح بقدر ما هي تربية على التجذّر في الجوهر، وهي إخراج الدين من القوقعة في الذات إلى التحرّك الداخليّ والتبادل مع الآخر، واحترام خصوصيّات التجمّعات من دون جعلها قلاعاً ضدّ الآخرين أو سجوناً للمنتمين إليها.

٢١- التربية على إبراز القيم الروحيّة في الديانات المختلفة، وتوجيه الأجيال إلى المعاني السامية في الإسلام والمسيحيّة.

٢٢- إيجاد صيغة تربويّة مشتركة للتعريف بالأديان الأساسيّة، وإلقاء الضوء على أصولها وفرائضها... والتركيز على القيم والفضائل التي يدعو إليها كلّ دين، وتحليل ومناقشة العِبَر المشتركة الغنيّة في كلتا الديانتَين.

٢٣- التكاتف في مواجهة موجات التعصّب والتكفير، ومحاربتها بمنطق العقل وبمحبّة القلب وبقراءة التراث والتاريخ والاستفادة من عِبَرهما، وبرؤيا موحّدة للمستقبل انطلاقاً من الصدق مع الذات ومع الآخر ومع الله.

٢٤- تدريس مادّة الإعلام في المدارس، بغية توعية الطلاّب على حسن استخدام هذه الوسائل وانتقاء الأفضل منها.

٢٥- الإعلام المطلوب لاستعادة غائيّة الإنسان وتكريسها، هو الذي يعتبر رسالته الدفينة أو قضيّته النبيلة «إضافة مساحة جديدة من الوعي والإدراك في وجدان المتلقّي».

٢٦- على الإعلاميّ أن يوظّف جهوده لتكريس قدسيّة الإنسان- الفرد كقيمة ذات أولويّة مطلقة، وخدمة القيَم الحضاريّة التي تنسجم مع هذا المفهوم الإنسانيّ.

٢٧- العمل معاً للتصدّي لمخاطر الطائفيّة والأصوليّة، وفصل الآفتَين عن منابعهما المنتسبة زوراً إلى مفهوم التقوى وذريعة الإيمان.

وتحت عنوان: المُلْهَم الأعْجوبيّ، قال سعيد عقل:

أوّل ما تتلفّظ بكلمة سهيل مطر يقفز إلى بالك القَول: هذا واحد يعرف أن يُحبّ.

وتَكون مختصراً كلّ مزايا هذا المتفرِّد.

مزاياه التي هي ثَرْوة.

*

معطاء قَلَم، أستاذ جامعيّ ورجل مسؤوليّة.

يُفَكِّر مَلِيّاً قَبْل أن يطلع بالكلمة الحاسمة.

معطاء القلَم هوَ الخلاّق، خَلاّق الجَمال. الأستاذ الجامعيّ هوَ الذي يُغني ويجتَرِح العَجَب.

دَرْسُهُ يُلهِم، لا يُنسى، ويُطلِع من الطلاّب رِجالا.

عميقٌ بسهولة، طريف كلمة، الكلمة التي تَسبيك.

يُغَلِّف تَصرُّفَه بالبساطة. لكنَّها البساطة التي تَترُك بَعضَ تَساؤل مُذهِل.

لا تَستغْرِب أنْ تَسمع واحدَهم يقُلْ بِفَخر: أنا تلميذ سهيل مطر. يُغْني عَقْلَه، يُغنيه دوماً.

درسُهُ أطْياب وَعمائر جمال.

*

رجل المسؤوليّة هوَ هوَ الأعجوبة. لا يَعرِف الكبرياء، ولكنَّه ابنُ الكِبَر.

البساطة عندَه بِنْتُ نَفسِها. لا تَبارَعَت ولكنَّها أبدَعَت.

سهيل مطر رجُل المسؤوليّة هوَ إحدى كرامات لبنان.

تَتَساءل كيف يَكونُ بِوسع هذا الرجل غَيرِ العاديّ أن يُرضي الجميع.

سهيل مطر، في مؤتَمَر، يخرُج منه قِبْلَةَ أنظار الجميع.

*

كلمه هَيدغر: «أنتَ ابْنُ كرامة أو لَكَ سِعْر»، سهيل مطر لا يُرَدِّدُها ولكنَّها تَعيشُ مَعَه وَتَعْتَزّ.

من هُنا أنَّ رأسَهُ هوَ دَوماً إلى عُلوّ.

*

خُطْبَةٌ يَتَفَوَّه بما سهيل مطر هيَ أبداً ذاتُ سلطان. تَسمعُها أنت تَكْبُر وَتَعيش القِيَم.

يقول دوستويفْسْكي: «الجمال سَيُخَلِّص العالَم». هذه يعرفُها أيضاً سهيل مطر. لا يُرَدِّدُها، وإنَّما تَكادُ هيَ تُرَدِّدُه.

سهيل مطر يَتَطَلَّب الجمال أبداً. والجمال يَسْمع صوتَ سهيل مطر، ويستجيب.

*

ما خطَّ سهيل مطر كلمةً إلاّ حاوَل سرِقَة أحَدَ أضواء الشمس. الخُلُقيّات صديقة سهيل مطر، تُحبُّه وهوَ يَليق بها.

تقرأ سهيل مطر تَغْنى بِعِزّ وتَرفَع رأساً.

لَكَم أسْعَد بأن أكون صديقَ هذا المُلْهَم الأعجوبيّ.

وقال نائب نقيب الصحافة الوزير السابق جورج سكاف:

ثلاثة كُتب لسهيل مطر أفضلها الكتاب الرابع «سهيل مطر»، فكلّ ما جادَ به هذا القلم الشيّق والغزير هو نقطة من دفق القلب الشاعر.

الكتاب الأوّل، مجموعة من الأمثال اللبنانيّة جَمعها والدُه من ذاكرة تنّورين وتُراثها الشعبيّ، فقدَّمها سُهيل تكريماً لذكرى المرحوم والده، فكرَّم معه ذكرى المرحوم والدي الذي كان يُحدّثني أيضاً بالأمثال، وما يرافقها من حكايات. وفي عملي الصحفيّ حرصت على أن أفرد دائماً زاويةً للأمثال اللبنانيّة، وكلّما نشرت دفعةً منها جاءتني دفعات. فالأمثال حِكَمٌ صادرة عن ناس كثيرين ويظنّها الفرد له. إنّها ثمارُ تجارب أجيالٍ صاغتها عقولُ العصورِ المتعاقبة. خُبراتٌ طويلة في عبارات قصيرة، تختزل تراثَ لبنان وحضارته.

الكتاب الثاني: «**إليك يا ربّ أصلّي**» صلاة **كلمات باقة ورد، ابتسامات وآهات نابعة من القلب...** يُصلّي **أمام نفسه وأمام الناس وأمام اللّه**. يقول للربّ: **أنا آت إليك لأستمدّ القوّة، لأبحث فيك عن الحُبّ والسلام والحُرِّية**. لم يتعلّم الصلاة بالألفاظ، فيلاقي جبران في قوله: «**إنّ اللّه لا يُصغي إلى كلماتك ما لم يضعها تعالى اسمُه على شفتيك وينطق بها بلسانك**». صلاة تقرُّبٌ من اللّه، حتى تجدَ الروحُ نفسها جزءاً منه. ترفعنا إلى الفوق فنلتمس فيها زيادةَ قُدرتنا

هي الحبيبة. وإذا تغزلّ، كانت هي الملهمة. وإذا صلّى كانت حاضرة...

فيا أخي سُهيل، يا أبا الفرسان الثلاثة، لك تحيّة خاصّة بعيد الأب، وتحيّة لكلّ من أنعم الربّ عليه بالأبوّة... وإنْ لم يتسَنّ لي بعد مطالعةُ جديدَيْكَ، فأنا قرأتُك في تقاسيم وجهِك، وعرفتُ طينتَك من نبرات صوتك. وإذ قيل: الانسان هو الأسلوب، فأنت أنت. لا حاجة للفلسفة في كشف أسرارك. عظمتُك ببساطتِك. أوليست أعظمُ الأعمالِ الفنيّة هي من أبسط الأشياء؟!

سهيل مطر اسمٌ مرادفٌ لجامعة سيّدة اللويزة. اقترن اسمُه باسمِها منذ ٢٥ سنة. باسم هؤلاء الحاضرين، والذين لم يتمكّنوا من المجيء، أقول لك: إنّنا نحبّك. باسم الجامعة وباسم مَنْ عَمِلْتَ معهم منذ نشأتها، نوجّه لك كلمة شكر وتقدير، عمرها من عمر الجامعة. ونقول لكَ إنّكَ حاضرٌ في أدعيتنا وصلواتنا. بالأمس كنت ذاك «الطفلَ الجرديّ الممتلئَ أصالةً وبساطةً واندفاعاً. «واليوم أنت الشباب المبارك بميرون الينابيع والبيادر وعناقيد الجمال»

تابع صلاتَك. لا أحد «يتعب من الحب والصلاة». ويا ربّ أعطه على قدرِ المحبّةِ التي في قلبه.

ثمّ كانت كلمة من البطريرك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، قدّمها نائبه العام المطران رولان أبو جوده، جاء فيها:

البركة الرسوليّة تشمل ولدنا الأستاذ سهيل مطر المحترم

أهديتمونا آخر مؤ لّف لكم «إليك يا ربّ نصلّي» بالإضافة إلى كتاب آخر جمع فيه المرحوم والدكم شلّيطا ضومط مطر بعض أمثال لبنانيّة تناقلها أبناء بلدتكم تنّورين منذ عهد بعيد، وقدّمتم له بكلمات نابعة من القلب، تنمّ عن إقرار بالجميل لهذا الوالد الذي قد تكونون ورثتم عنه في ما ورثتم من هبات أخصّها حبّكم للّغة العربيّة ولقرض الشعر، وهذا الخيال المجنّح الذي يريكم في أصغر الكائنات ما يرى الشعراء من جمال هو انعكاس لجمال اللّه في خلقه.

أمّا مجموعة الصلوات التي نشرتموها بالطبع، فهي قد جاءت ثمرة تأمّل استدعته مناسبات مختلفة ترجع إلى سنة ١٩٩٢، وتخلّلها بعض صلوات في مناسبات خاصّة. وفي هذه الصلوات لهجات مختلفة توجّهتم بها إلى يسوع. ففي حكاية عمر توجّهتم إليه كرفيق عمر، فقلتم مرحبا يا يسوع، مرحباً يا أخي الصغير، مرحباً أيّها الطفل الطيّب (ص ١٣٣). وفي تطويب الأب نعمة اللّه الحرديني قلتم: «أيّها الطفل الجرديّ الممتلئ أصالة وبساطة ووداعة. أيّها الصبيّ الآتي من عبق النعناع والحبق، وصلابة الصنوبر وجلال الأرز (ص ٦٣)، وفي صلاة عصفور قلتم: «يا يسوع، آتٍ إليك من قفصي القديم، قفص القمع والقهر والغربة... هربت منهم إليك... أنت هو الحريّة، أعطني حريّتي» (ص ٧٩).

هذه الخواطر المتّسمة بالعفويّة والبراءة، والوداعة، هي الصلاة المقبولة لدى يسوع الذي قال: إن لم ترجعوا وتصيروا كأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السماء» (متّى ١٨/٢).

وإنا نأمل أن تساعد هذه الصلوات من يطالعونها على العودة إليه تعالى بقلوب خاشعة ليستريحوا فيه بعد أن يلقوا أتعابهم عليه. أفليس هو القائل: «تعالوا إليّ، أيّها المتعبون والثقيلو الأحمال، وأنا أريحكم... لأنّ نيري ليّن وحملي خفيف» (متّى ١١/٢٨ و٣٠).

وإنّا إذ ندعو لكتابكم بما يستأهل من الرواج، نسأل اللّه أن يحفظ لكم قلمكم المعطاء ويشملكم برضاه وبركاته.

الطاغية؟

أَمَّا اللّه في المسيحيّة فهو في الإنسان، وهو لا يتقن إلاّ الحبّ، الحبّ حتى الموت لخلاص من يحبّ. أَمَا هكذا يسوع المولود من مريم، المبشّر بالخلاص، غافر الخطايا، المنتصر على الموت بالموت، وممجّد الحياة بالقيامة؟

مَن يجرؤ، في غير المسيحيّة، على أن يخاطب اللّه كما يخاطب سهيل طفل المغارة: «مرحبا يا يسوع، مرحبا يا أخي الصغير، ويا صديقي الكبير»؟

ومن يجرؤ، في غير المسيحيّة، على أن يخاطب أمَّ اللّه مريم والقدّيسات رفيقاتها كما يخاطبهنّ سهيل: «مساء الخير يا حلوة، يا حبيبتي الصغيرة، يا ماما»؟

من يجرؤ، لولا الحبّ، على إلغاء الذل والخوف والتكلّف، وعلى رفع الحواجز بين الأرض والسماء؟

هنا المسيحيّة لا تعود ديناً، إنّها حياة. وهنا اللّه لا يعود ديّاناً، إنّه مخلّص.

وقد أَذهبُ في فهمي المسيحيّةَ، كما أقرأها في صلوات سهيل، إلى حدّ إنكار أبديّة النار.

فأخي الصغير وصديقي الكبير لا يحاكمني، أنا أخاه وصديقه، إلاّ بميزان حبّه وغفرانه، فأنا إذاً ناجٍ لا محالة. هكذا يكتسب اللّه شرعيّة ألوهيّته الإنسانيّة. وهكذا أنا ابن اللّه وأخو المسيح وحبيب العذراء.

وليس في المسيحيّة إلاّ صلاةٌ واحدة هي: «أبانا الذي في السماوات». ولأنّنا الابن، ولأنّ الابن لا يكون إلاّ حيث الأب، فنحن في السماوات، ونحن السماوات.

تطاولٌ على بولس وأغسطينوس والأكويني والمجامع الكنسيّة المقدّسة، تقولون، وتوريط لسهيل؟

ربّما، ولكنّهما تطاولٌ وتوريطٌ ينبعان من سموّ المسيحيّة وعظمتها، أو يكون المسيح قد صُلب ومات وقام ولم يُحبَّنا كفاية.

أيّها السادة، أرأيتم ماذا يخبّئ سهيل خلف بساطة الصلاة؟

أما أنت يا أبا زياد فلي عليك عَتَبَان:

أوّلهما أنّك لم تمنحني نعمة الصلاة معك، ولكنتُ، لو دعوتَني، فرِحاً لبّيتُ وصلّيت.

وثانيهما إغفالك أنّ الحرديني قريبي كما هو قريبك، سامحك القدّيس نعمة اللّه، وقد تقصّدت احتكار قرباه. زادك اللّه يا أبا زياد، واذكرنا دائماً في صلواتك.

أمّا «القمر المثلّث: سهيل»، فماذا قالت فيه باسمة بطولي؟

في خيالي.. كم ابتدَعْتُ رجالا..! معه.. ما استعنْتُ يوماً خيالا...
علّه من جمال واقعه.. أجملُ من أَن يزادَ عندي جمالا...
فبعيني رأيتُه... غطّ في حبر الأعالي يراعةً لا تُعالى..
... فسرَى في عروق أوراقِه دفءٌ يُرينا الجمادَ يجثو ابتهالا!
وعَلمنا لمَ الأكفُّ، متى التصفيقُ، تشتاقُ لو تموتُ اشتِعالا..
إقرأوا تلتقوه بدراً بليلٍ كان مُسّاقِطاً هِلالاً.. هِلالا..
تلحظوا أَنّه أبٌ لأبيه اليولدُ اليومَ في المدى أَمثالا..
وتَرَوا تحت شمسِه لي ظلالاً لم تعد في المغيب تخشى الزوالا.
.. أنتَ تتلو صلاتَه لنوالٍ؟.. حسنُها قد يُغْنيك عن أن تُنالا
بطلٌ من سكّان كلْمتِنا... فهْي غدتْ بعدُ تُقالُ اختيالا...
أَوَما للكلامِ أبطالُه؟.. كادوا يُعدّون وحدَهم أَبطالا...

المحدودة بمخاطبة المصدر اللامحدود للقدرة، وزيادة قدرة الشاعر المبدع في الابداع. فالانسان وحده بين الكائنات الحيّة يصلّي، وبالصلاة يحقّق الاتحاد بين الجسد والعقل والروح.

بصلاته رأى سهيل مطر: **أنّ حُبَّ اللّه أكبر، أنّ حُبَّ الأرضِ أكبر، أنّ حُبَّ النَّاسِ أكبر، وأن مَجدَ اللّه دربٌ لسلامِ الأرض.**

والكتاب الثالث: **أيّها الأصدقاء، من القلب إلى القلب...** نيّال مَنْ صَديقُه سهيل مطر. فصداقته، بتعبير أرسطو، روح واحدة في جسدين. هذا شأن سهيل مطر مع جامعة سيّدة اللويزة أوّلاً، وكذلك مع أهل الأدب والفكر، مع الشعراء الكبار والنشء الطالع: فيشعر من يأتي إليه غريباً، بأنّه يحلُّ عليه ضيفاً ويغادره صديقاً دائماً...

ويا سُهيل مطر، كما يقول المَثَل: **الكتاب يُقرأ من عنوانه**، وأنت العنوان، **وما يجود اللّسان-القلم إلاَّ من فَيْض ما في القلب.**

وفي كتاب «إليك يا ربّ أصلّي»، قال غسّان مطر، تحت عنوان: أبعد من بساطة الصلاة:

لا تُسيئوا الفهم، فهذا اللاعبُ بالحرف كما بشعر حبيبته، حين صلّى أراد أن يفتحَ عيوننا على ما وراء الصلاة.

وحذارِ حذارِ الوقوع في خدعة البساطة. إنّها فخّ ينصبه سهيل ليوصلنا إلى آخر الكلمات، وبدعة يقترفها بإتقان، كما الإغواء، لنسقط بين يديه وقد فهمنا وتعلّمنا.

فاتبعوني أدلّكم كيف يأخذنا هذا الساحر من قلوبنا والعقول إلى ما وراء البساطة.

«إليكَ يا ربّ أصلّي»، هو **أوّلاً** كتاب. والكتاب؟ قليل من المبدعين من أطلعوا كتاباً يقرأُ من المنبع إلى المصبّ بشغف العاشق إلى وجه الحبيبة. والكتاب، لذّة عقل وروح، أو فهو جثّة، يُقرأُ كعقوبة، ثمّ يُرمى ثمّ تُغسَلُ اليدان من غبار الورق المغتصَب. أمّا هنا، فَيأخذنا الفرح إلى ملاعبه الفساح، ويأخذنا العقل إلى ما وراء الكلام، ونرجع وقد امتلأنا نوراً ونشوة ومعرفة.

و«إليك يا ربّ نصلّي» هو **ثانياً** سيرة حياة أو حكاية عمر كما يقول سهيل. وحكاية العمر تكون إضاءات كما القصيدة، أو تغرقك التفاصيل في الملل. والحكاية هنا هي عن الفقراء في الضيعة العتيقة الجبليّة المغمورة بالثلج، وعن الرحلة القاسية الجارحة، والكفاح البطوليّ، والأسئلة الكبيرة «وقد رحل من رحل وبقي من بقي»...

وسهيل يحكي حكايتنا كلّنا، نحن أترابه وأشباهه. ويأخذ البوح مداه، ويقف أبو زياد عارياً أمام يسوع ومريم ورفقا وشربل والحرديني والسيّدة العتيقة في تنّورين، وباسمنا يعترف، يعدّ الغوايات بلا أقنعة، يشهر حبّه وكفره ويأسه وأحلامه بلا تلعثم، يرشق السماء بألف زهرة وكلمة غاضبة، حتّى إذا ما «استعاد صوته» و«سقطت كلّ الرهانات» وحفرت «التجارب المرّة أثلاماً في الجبين والذاكرة والصدر»، يعود، «لجلجلة أم لقيامة؟» لا يدري. هكذا هو يقول. لكنّه يدري. فالحكاية، برغم الجراح، تظلّ مفتوحة على الرجاء، لأنّ يسوع مفتوح اليدين أبداً ليضمّنا إلى ملكوته وهو يتمتم: «تعالوا إليّ أيّها المتعَبون وأنا أريحكم».

و«إليك يا ربّ أصلّي» هو **ثالثاً**، وهنا مجد الكتاب، قصائد حبّ. أو قلْ اختصار لمفهوم الحبّ في المسيحيّة. والحبّ في المسيحيّة كما أفهمه هو أنّنا اللّه، وأنّنا السماوات. ولعلّ جدليّة الإله – الإنسان والإنسان – الإله هي أعظم ثورة في تاريخ اللّه، وأعظم إرث تركه لنا يسوع بتجسّده وموته وقيامته.

بهذا الإرث، تُكرِّسُ المسيحيّة انقطاعَها عن ديانات ما قبلها. وهو انقطاع لا تلاقيَ بعده. فاللّه في ديانات ما قبل المسيحيّة، هو خارج الإنسان. هو خالقه وليس أباه وأخاه وابنه وحبيبه. هذا اللّه يغضب ويقتل ويحرق ويغرق، أما هكذا «يهوه» البربريّ الحاقد المخيف

كونشرتو الرَّبيع
أضاء أوّلَ قمر في صيفنا

بمناسبة ختام السنة الجامعيّة الأولى في قسم الموسيقى والعلوم الموسيقيّة، أحيت الجوقة الشرقيّة في جامعة سيّدة اللويزة حفلتها الأولى تحت عنوان «كونشرتو الرَّبيع»، بالاشتراك مع جوقة ميزوبوتاميا والأوركسترا الشَّرقيَّة بقيادة الأب الياس كسرواني، في الباحة الخارجيّة للجامعة. تميّز الكونشرتو بحضور حاشد، ضمَّ عدداً من الشّخصيّات السّياسيّة والفنيّة، أخصُّها الشيخ عبد العزيز سعود البابطَين على رأس وفدٍ كويتيّ.

دار الكونشرتو على لوحة وجدانيّات من تأليف الأب خليل رحمة والأب الياس كسرواني، تضمَّنت نصوصاً كتابيّة وليتورجيّة، وَوُجدانيّات لجبران خليل جبران وأمين الريحاني وأمين نخله؛ وعلى لوحة كلاسيكيّة شرقيّة تنوَّعت فيها المقطوعات بين أدوار قديمة، ومُوَشَّحات، ومؤلّفات لسيّد درويش وزكريّا أحمد ومحمّد القصبجي ومحمّد عبد الوهّاب والياس كسرواني في قصيدة «طيفها» من شعر الشّيخ عبد العزيز البابطَين.

وفي نهاية الكونشرتو، ووسط تصفيق الاعجاب بسموّ الاحتفال، وعبّر عنه وشهد له وديع الصافي، قدّم الأب الرئيس للشيخ البابطَين ميداليّة الجامعة عربون تقدير وصداقة.

رئيس الجامعة الأب بطرس طربيه كانت له كلمة في المناسبة، قال:

في الزمن، اليوم خاتمة الربيع،

في السنة الجامعيّة، اليوم تنتهي الدراسة الجامعيّة،

أمّا في الفن، فاليوم يبدأ الربيع مع هذا الكونشرتو المميّز، واليوم يعلن قسم الموسيقى والعلوم الموسيقية بإدارة البروفيسور الأب الياس كسرواني، عن انطلاقة جديدة نودّ أن تكون خطوة فعّالة في طريق النهضة الفنيّة، في هذه الجامعة، وفي لبنان.

وإذ أرحّب بكم في هذه الجامعة هذا المساء باللغة الأرحَب: الموسيقى، آمل أن تكون أمسيتُنا مرآةً لما يختلج في النفوس من مشاعر يتداخل فيها الرجاء والقلق:

- القلق الناتج عن أوضاعنا السياسيّة والاقتصاديّة، وعن صيف حارّ نأمل في أن ينتهي بمصالحة وطنيّة شاملة.
- أمّا الرجاء فهو ثمرة إيماننا بأنّنا ننطلق، جامعيّاً وثقافيّاً، بصورة متدرّجة وثابتة، بحيث تصبح جامعتكم هذه، جامعة لكلّ لبنان في مسيرتها الإبداعيّة والإيمانيّة بالخالق، ولكلّ الاختصاصات، ولكلّ طالب علم.

وهذا ما يدفعنا إلى تكثيف جهودنا في الحقول الفنيّة، بجميع وجوهها، غربيّةً وشرقيّة؛ فبعد إنشاء كورال جامعة سيّدة اللويزة بقيادة أخينا المبدع والمعطاء الأب خليل رحمة، ها نحن نستعين برائد في فنّ الموسيقى هو الأب الدكتور الياس كسرواني، قائد جوقة ميزوبوتاميا والأوركسترا الشرقيّة ومدير أبحاث الدكتوراه في جامعة السوربون وجامعة سيّدة اللويزة، لعلّنا معاً، نضيف، إلى هذه الجامعة، مسحة من الجمال والفرح... وأهلاً بكم

وفي توجّه قريب، كانت كلمة أخرى للدكتور شهوان خوري، عميد كليّة العمارة والتصميم والفنون الجميلة.

ثمّ جاءت بعضُ أضواء من الأب كسرواني على بعض ألحان له، كانت واسطةَ العقد في الكونشرتو:

اللَّوحَة الوجْدانيَّة، الأُدباء الزُّهَّد

الصلاة: جبران خليل جبران

آبَ جبرانُ خليل جبران، وأمينُ الريحاني إلى دنيا الكمال مُكَفَّرَين،

وها هما اليومَ على لِساني صلاة.

حينَ كُنتُ طالباً، كانت مُطالعةُ جبرانَ والرَّيحاني مُحَرَّمَةً؛ ما زَرَعَ فيَّ القَلَقَ والحشْرِيَّةَ العلميَّة، إلى أن استَعادَ كَفّي قبضَةَ حُسام المبادَرة، فانكَبَبْتُ أَتَمَحَّصُ كتاباتِهما كما في كفَّتي ميزان عَدالَة. وكانت لي فيهما، قراءَةٌ شخصيَّةٌ، كَشَفَت عندَ كُلِّ كلمةٍ لُؤْلُؤَةً، نالَت مِنّي العَقلَ والايمان، فأطلَقتُ قَولي: «الأُدباءُ الزُّهَّد».

صَلَّى جبران خليل جبران في كتاب «النبيّ» قائلاً: «إنَّنا بإرادَتِكَ نُريد» مُخْتَصِراً نَذرَ الطَّاعَةِ الرُّهبانيّ.

وبإيجاز أسهب هنري زغيب:

تنصاعُ له الكلمات. مَجْلُوَّة تَنصاع، وجَذْلى. فهي هيمى مرّةً، ومرّةً مضوِّئةٌ في اتّئاد الطلْع، ومرّةً أغنوجةٌ تغوى بدلالها، زهوى بِدالَّتِها، مرنانةٌ بِمدلولِها.

وهو لها: عاشقُها هنا، فارسُها هناك، ندُّها هنالك، وَفْقَمَا يريدها به، له، أو معه: طلْقةً تنتخي على قمّة منبر، أو غوايةً تستلقي على شاطئ صفحة بيضاء!

بينه وبينها علاقةٌ لا حميمَ فيها سوى الإبداع. ربَّما لذا يغبطُها أن تغنَجَ على قلمه، فيستولِدَها لقيّاتٍ، توّاقةً آناً إلى الجمال، متسنبِلَةً آناً بتقنية الْجماليا.

معلّماً: أرّقتْه الذائقةُ التي، إذا انْجَرَحَت، ينجرحُ الأدب، فمضى يُعطيها من نبضه، وتلاميذَهُ من نبضها، كي يستوي في لحظةِ الإبداعِ الْمُبدعُ والْمتلقّي.

صديقاً: أيٌّ منا لَم يَنَلْ منه رِشقةَ ورد، أو نِشقةَ حبّ، أو ذوقة تقديم. لكأنه النبلُ تَأَنْسَنَ في صديق.

مسؤولاً: طوبى لها ضمَّتْهُ إلى أَركانها جامعة سيّدة اللويزة، يَخدمها وفاءَ ماضٍ ورهجةَ حاضر ورؤيةَ مستقبل، في ضميرِ مَن يُعطى فيَزيد.

كتاباه اليوم، وَردَتان لنا منه جديدتان، علامَتُهُما أنّ ورقَهُما لا يذبُل. فحديثُ قلبِه إلى قلوبِ أصدقائه لا يَعْتَورُهُ ذُبول. ونداءُ صلاتِه إلى الرَّب لا يَعْتَورُهُ خُفوت.

تَماماً كما هو في قلوبنا.

هذا قلمٌ يعرفُ أن يُعطي،

هذا صوتٌ يعرفُ أن يُصلّي،

هذا قلبٌ يعرفُ أن يُحِبّ.

هذا... سهيل مطر.

وكان د. منصور عيد قال في بداية الاحتفال الذي أدار:

كلمات من القلب إلى القلب هكذا، دائماً، كانت كلماته..

وهل سمعنا سهيل مطر، مرّة إلاّ متحدّثاً بكلمات القلب؟ متغنيّاً بالطفولة؟ بالصبيّة الحلوة؟ بالحبّ والحبيبة؟ بالعينين استراحات، ومساحات للجمال، وفسحات للأحلام؟ بالصداقة والوفاء؟

هل سمعنا كلمته إلاّ منحنية أمام حضن الأمومة؟ راكعة عند قدميها المعمِّرتين بنعمة السماء؟ ممجّدة الكبر المتواضع؟

هل سمعناه إلاّ مصلّياً في حضرة أمّ الكون، العذراء، سيّدة الوردية، وسيّدة النجاة، وسيّدة الزهر اللوزيّ الأبيض، وسيّدة السيّدات سيّدة لبنان؟

هل سمعناه مرّة إلاّ متمرّداً على قيود، ناقماً على العفن، ساخراً من التزمّت، غاضباً على الكره، هازئاً بالصعب، رافضاً المستحيل.

هذا الإنسان يتحرّك بديناميكيّة أكثر اتّساعاً من حجم المكتب الذي يشغَلُه، وأشدَّ تعقيداً من شبكة الهاتف، وأعظم جرأة من تحدّي الخجل، وأوسع رحابة من العلاقات العامّة.

هو هنا وهو هناك: يحلم، يخطّط، يخرطش، ينفّذ، يسجّل المواعيد والمناسبات، يكتب في آخر لحظة، يقف إلى المنبر، يدوّي صوته، يقول كلمته ويمشي، وليس إلى مكان معهود، بل إلى حلم جديد ولحظة جديدة، حيث تتراكم الأحلام وتتلوّن، وتتجمّع اللحظات.

وبعد ماذا يبقى؟

يبقى الوفاء

يوم التقينا صدفة بعد غياب، قالت له العزيزة لينا: إذا كنتما هكذا صديقين، فلِمَ لم نتعارف من قبل؟

ويشاء القدر أن نصبح هنا، في هذه الجامعة، فيبني كلّ واحد منّا عالَم عمله الخاص، لنكوّن معاً عملاً واحداً في خدمة المؤسّسة وأهدافها وكلّيّاتها وأقسامها وطلاّبها.

فبورك الزمن الذي جمعنا لأوّل مرّة في أفراح الشباب، ومرّات في مسيرة الحياة التي أرجوها أن تكتمل محبّة وصداقة ووفاء ونجاحاً مستمرّاً وإبداعات. وبورك لك هذا الحضور الطيّب المميّز. وبوركت هذه الوجوه – الأصدقاء. وبورك لك كلّ تقدير تستحقّه.

أمّا سهيل مطر،

ولأنّه قال: لا تصدّقوا، ولا تدعوني أصدّق ما قاله... وقاله... وقاله... فهؤلاء نظروا إلى المرآة، وأخطأوا العنوان، وتحدّثوا عنّي... وأنا غير مستحقّ،

ولأنّنا نصدّقهم، ونصدّق أنّ «قدرَه هو صناعة الأحلام»، فإنّنا، في تحرير هذه المجلّة، لن نقدّمَ له إلاّ وردة واحدة فقط لا غير.

أللهمّ، أَشهد أَنّي بلّغت.

حول كتـــاب أديـب صعب
وحـدة في التـنـوّع

محاور وحوارات في الفكر الدينيّ

في ٢١ نيسان ٢٠٠٤، انعقد، في جامعة سيّدة اللويزة، لقاء، حول كتاب الدكتور أديب صعب: «وحدة في التنوّع: محاور وحوارات في الفكر الدينيّ»، تحدّث فيه الأساتذة د. جورج قرم ود. سامي مكارم ومحمّد السمّاك، في إطار ترحيب وتقديم مع الأستاذ سهيل مطر والأب بولس وهبه من أسرة الجامعة.

الدكتور **قرم** استهلّ مداخلته بالقول «إنّ أعمال الدكتور أديب صعب لطالما كانت تعبيراً بليغاً عن ارتقاء العقل نحو المنطق والرشد وتوافقه مع الدين بمعناه الواسع والعميق، وقد جاء بكتابه الأخير «وحدة في التنوّع» تتويجاً لمحصّلة أفكاره حول الدين والفلسفة والعلاقة العضويّة بينهما... ولا بدّ من الإشادة بأسلوب الدكتور صعب الأدبيّ، السلس والسهل، والذي يسمح للقارئ العاديّ أن يفهم مغزى أفكار الكاتب وأبعادها. ويا ليت لو كانت الكتابات العربيّة في العلوم الإنسانيّة بهذا المستوى من الدقّة وسهولة القراءة».

وانتهى قرم إلى شكر المؤلّف على «جهوده الفكريّة في مجال الدين والفلسفة، وهو مجال حسّاس للغاية يبتعد عنه غالبيّة المفكّرين العرب خشيةَ تعرّضهم للنقد الجارح أو التفكير والاتّهام بالإلحاد».

الدكتور **مكارم** أشار، بدايةً، إلى أنّ الكتاب جاء ليذكّر بمنهج فلسفة الدين بغية تطبيقه «على مسائل أخرى في الفكر الدينيّ هي الأديان الأخرى والحوار، التعصّب والتسامح، الدين والدولة، الإيمان والإلحاد، العلم والدين، نطاق الإعجاز، الإنسانيّة كدين، تعليم الدين، الرعاية، لاهوت التنوّع ولاهوت الوحدة» وأضاف: إذا كان هذا الكتاب يبدأ بالفلسفة التي توصلنا، كما يقول الدكتور صعب، إلى التنبّه إلى جوهر الدين، وهو الدين في الأديان، أي إلى عنصر الوحدة في التنوّع، أي إلى تلك الهويّة الدينيّة «في الاتفاق قبل الاختلاف»، وبالتالي إلى الحوار الحقيقيّ بين الأديان، فإنّه ينبّه، وهذا هو بيت القصيد، إلى أنّ الحوار المجدي والمطلوب «ليس إقناعَ الآخر بوجهة نظرنا وحملَه على التحوّل إلى ديننا»، وإنّما هو تعزيز «مبدأ الوحدة في التنوّع»...

أمّا الأستاذ محمّد **السمّاك** فاعتبر في آخر مداخلته «أنّ الدكتور صعب خرج في كتابه من علم الأديان إلى جوهر الدين، فجعلنا نكتشف معه أنّنا عندما نتحدّث عن الأديان بالجمع فإنّنا نقصد الدين المفرد؛ وتلك هي فلسفة الوحدة في التنوّع

وكان السمّاك بدأ مداخلته بالقول: في الأساس لا تكون الوحدة إلاّ مع الآخر. والآخر لا يكون إلاّ مختلفاً. وإلاّ فإنّه لا يكون آخر. وهذا يعني أنّ المحافظة على الوحدة تتطلّب المحافظة على الآخر، وأنّ استمرارها هو استمرار له، وهو يعني بدوره أنّ الوحدة يجب أن لا تؤدّي، بل يجب أن لا تعني أساساً محاولة إلغاء الآخر أو تذويبه، وإلاّ تصبح وحدةً مع الذات».

وصَلّى أيضاً «برغْبَتِكَ نَرغَبُ ونَشْتَهي» مُخْتَصراً نَذرَ العِفَّة الرُّهبانيّ أيضاً.

وصلّى أخيراً: «إنَّنا لا نَستطيعُ أن نَلْتَمسَ منْكَ حاجَةً،... أنتَ حاجَتُنا، وكُلَّما زِدْتَنا من ذاتِكَ زِدْتَنا من كلّ شَيء» واخْتَصَرَ أخيراً نَذرَ الفَقرِ الرُّهبانيّ.

وجبران لَم يكنْ يكتُبُ نصّاً لطَقس ليتورجيٍّ ولا على لسان راهبٍ زَهَد، إنَّما عاشَ في صَفاءِ نَفسِه الزُّهْدَ كُلَّهُ، مُتَجَرِّداً، مُتَعَفِّفاً ومُسْتَسْلِماً لإرادَةِ الخالق.

والصَّلاة حينَ تَمْتَطي عبقريّةَ جبرانَ الفريدَة، ترتقي على كلِّ لِسان، فإذا هوَ رَسولٌ بالإضافة إلى كونِه زاهداً.

بُوركَت القَداسَةُ في حياةِ جبرانَ، عاشَ الزُّهدَ دونَ الحاجةِ لأن يتلَفَّظَ بنُذورِ الزّاهدين.

النجوى: أمين الريحاني

بَعدَ أن شَهدَ أمينُ الرَّيحاني خلالَ صَفحاتٍ عَشَراتٍ من «قلبُ لبنان» بثَبْتِ إيمانِه باللّه وبقدّيسيه، ذاكراً رِحلَةَ حَجٍّ قامَ بها ووالِدَتَهُ إلى مَثوى القدّيس نعْمَةَ اللّه الحرديني، طالباً شِفاءً نالَهُ، أرى نجواهُ تَبوحُ، في «هتاف الأودية». بالعلائيّة الإلهيّة Transcendence Divine فيقول:

«أيُّها الينبوع السَّرمديُّ المُنْبَعِثةُ منهُ أنوارُ الحُبِّ» مؤكّداً عُلائيَّةُ اللّه، أنَّهُ مَصدَرُ الانسان وما لَهُ. ثُمَّ يَخْتَصرُ الفَلسَفَةَ في عقلِه، وإحساسَ النَّفس البشريّة في قلبِه، واللاهوت في روحِه، بجُملةٍ واحدة فقط ليقول:

«إنَّني أرفع لكَ عقلي وقلبي وأبسُطُ أمامَكَ روحي»

نجوى أمين الرَّيحاني تبلَغُ إلى رجوَةِ العَطشِ إلى ماءِ الحياة، قائلاً «فلا تَحْرُمْني فيضَ مكارِمِكَ ولا تُبعدني، [أيُّها الينبوعُ السَّرمَديّ] عن ينابيعِكَ»

ويقول الرَّيحاني: فإذا كُنتَ من المُشكِّكينَ بالايمان فلا دواءَ لعَيْنَيكَ من عدَمِ رؤيَةِ المُعْجزاتِ، ولا لقَلبِكَ منَ الغَفْلَةِ عن القَداسَة. (ص ٥٠ من كتاب قلبُ لبنان).

بوركَت عُصارةُ الأيمانِ في فكرِ الرَّيحاني الذي يصفو شفّافاً، هوَ الصَّعبُ الذي يقرُبُ القساوةَ في عُمقِ بَحثِه عن حَقائقِ الكونِ واللّه.

طَيفُها: الشيخ عبد العزيز البابطَين

أمكنَ مصرَ التي تَعُدُّ من الملايينِ أربعينَ، أن ترفع الطَّربَ قبالةَ خدِّ الهرمِ، على مسرحِ خميسٍ واحدٍ من كلّ شهر.

وتلكَ مصرُ، وتلك أمُّ كلثومٍ، وذيّالِك القصبجي، وزكريّا والسنباطي والوهّاب وحمدي... والرعيل.

وأنتم كُثُرٌ، على صِغر لبناني عدداً، ممَّن يتلقَّى الطَّربَ بمسامعِه، ويجوب صداه في قلبه.

إليكم يا نخبةَ قوم الفن الراقي أقدّم لوحةَ نغمٍ، مرسومةً بخيوطِ الطرب تتعانق وذوقَكم الراقي. إنّها قصيدة «طيفها» للشيخ عبد العزيز سعود البابطين، كتبتُ لحنَها على مقام الراست وإيقاع الوحدة السائرة.

ولَئِنْ لاحَ طيفُ الحبيبة في بال عبد العزيز، سما ولم يَهِنْ، لما في ذاك البال من صفوِ حبٍّ، ما انصاعَ إلى مَيْلٍ، ولا انطوى إلى حلُمٍ دونَ خلودِ الجمال.

فالشيخ عبد العزيز، يرى في طيفِ الحبيبة، سَكْبَ نورٍ ساحرٍ، ينهمر من لدُن ربِّه، متخطّياً «أناهُ»، ليغمرَ الكونَ كلَّهُ حبّاً وجمالاً.

كيف لا، والشيخ البابطَين، يُعطي بكرمٍ من حبّه الكبير، ما يزيد على الألف، كلّ سنة، من المِنَحِ الجامعيّة والدراسيَّة للمتفوّقين الفقراء من كلّ قُطرٍ ودين.

وهو يمنحُ الأدبَ، ما لم تمنحْهُ مجموعةُ الدُّوَل العربيّة كلِّها، من خلال جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعريّ... وهو أيضاً، يمنح الأثرياءَ صيتاً كالذَّهب الصّافي، علا فوقَ النزواتِ البشريّة.

مرثيَّة الحبيب: أمين نخلة

شاعر الرّهافة، متغنٍّ غَزِلٌ بالحبيب غائباً لا ميتاً، مُضَّجعاً لا جُثَّةً هامدة.

هوَ المُصابُ بالخَجَلِ لِموتِ حبيبِه يقول:

«فيا حبيبَ الرّوحِ بي خَجَلَةٌ أن أُمنَحَ الدُّنيا وأنت أُمنَعَكْ».

أراهُ يُقلِّبُ أعطافَ حُبٍّ قَضى، كما يُقَلِّبُ أعناقَ ورودٍ حلَّ الفناءُ فيها ذبولاً، وهيَ لمّا تبرحْ تبوحُ بعطرٍ، وليس كما يُقلِبُ التُّرابُ إلى حُفرةِ المَوت.

فإن أطلَقَ شَدواً من حُنْجُرَةِ جُرحِ قلبِه، على فَقْدِ حبيبِه، مُغْضياً عن القَبولِ بواقعِ مَوتِ هذا الحبيب، قال:

يا حافظَ الودِّ الذي بيننَا أضجعَ نَشْرَ الطيبِ مَن أضجعَكْ».

ها هيَ مَرثيَّةُ الحبيبِ تأتي تعبيراً عن حُبٍّ رقيقٍ خَجِلٍ، وليسَ عن حُزنٍ وتَمَزُّق. فجاءَ حُزنُهُ حُبّاً، ورثاؤهُ غَزلاً رقيقاً.

لذا، جَعَلنا من قصيدَتِه مُوَشَّحاً مُتفَجِراً بالحُبِّ والطَّرَب.

٣- إنّ تهمة الإرهاب تهمة ظالمة ومردودة: إنّ المقاومة ممارسة مشروعة، وإنْ كان البعض، وهم القلّة النادرة، استغلّوا اسم المقاومة أو الدين لأهداف غير إنسانيّة وغير وطنيّة. ولهذا، يجب أن تكون لنا، نحن أهل الفكر، المواقف التي تدين هؤلاء وتظهر الحقائق، وتفصح عن الوجه المضيء لحضارتنا وهويّتنا وأديانا.

٤- إنّ فشل القادة السياسيين في الوصول إلى تحقيق الوحدة، في جميع أشكالها، يدفعنا أكثر إلى سلوك طريق الوحدة، في توجّهاتنا الفكريّة والأخلاقيّة والتعليميّة. فالوحدة ليست شعاراً، بقدر ما هي تنسيق وتعاون واحترام للخصوصيّات والسعي إلى الالتقاء، في إطار التنوّع الانسانيّ الذي تعيشه مجتمعاتنا الحاليّة. لقد تجاوز العالم الوحدات الجزئيّة إلى العولمة الكبرى، ونحن لا نزال نتلهّى بمشاكلنا وعقدنا الشخصيّة التي لن تصل بنا إلاّ إلى الانهيار.

٥- لا طريق لنا لدخول العولمة واستيعابها واستثمارها، لصالح شعوبنا، إلاّ عن طريق الانفتاح والحريّة والعلم. وكلّ ما عدا ذلك هو إصرار على التخلّف، وتجميد الشعوب في مستنقع الجهل والأميّة والفساد. دور الجامعات، وقادة هذه الجامعة، هو فتح النوافذ ومدّ الجسور، وإزالة هذه الجدران النفسيّة، ولو كانت إسرائيل لا تزال تتمسّك بجدران الانفصال والعنصريّة.

أيّها الزملاء

أودّ أن أشكر زميلي رئيس جامعة بيروت العربيّة الدكتور مصطفى حسن مصطفى على استضافته لهذه الدورة، كما أدعوه، مع الأمانة العامة، والدكتور مروان راسم كمال شخصياً، إلى تخصيص بعض الوقت، لمناقشة هذه الموضوعات، بروح الزمالة والأخوّة والحوار المنفتح، لعلّنا نسهم في انتزاع عالمنا من القيود التي يحاولون أن يفرضوها علينا.

.. ثم جرى حوار أقيم بعده عشاءٌ تكريميّ في حرم الجامعة.

اتحـــاد الجامعـــات العـربيّـــة
في جامعـة سـيّدة اللـويـزة

٥ نيسان ٢٠٠٤

استضافت جامعة سيّدة اللويزة رؤساء الجامعات العربيّة، وعددهم ١٢٥ رئيساً، لمناسبة انعقاد دورتهم السابعة والثلاثين في جامعة بيروت العربيّة.

رئيس الجامعة **الأب بطرس طربيه** قال:

نرحّب بكم في جامعة سيّدة اللويزة، ونعتزّ بحضوركم إلى هذه الجامعة التي تتحوّل، الليلة، إلى منارة مشعّة تكبر بكم وتضيء.

مئة وخمسة وعشرون رئيس جامعة وأكثر، يجتمعون اليوم، من كلّ أنحاء العالم العربيّ، يحملون همومهم وآمالهم، يجسّدون الفكر والحضارة، ويواجهون الغدَ الغامض بروح الإيمان والتفاؤل.

وفي الوقت الذي تفشل فيه الجامعة العربيّة في عقد مؤتمر القمة، ويتوزّع الملوك والأمراء والرؤساء، فرقاً فرقاً، ويضيّع القادة خريطة الطريق إلى اتخاذ المواقف الموحّدة والردّ على التحدّيات الناتجة عن مأساة فلسطين واحتلال العراق وتشرذم العرب.

في هذا الوقت بالذات، نجتمع هنا، لا للقاء دوريّ فحسب، ولا لمناقشة إداريّة، بل لنثبت للعالم أنّنا قادرون على الاجتماع وعلى اتخاذ المواقف والقرارات المصيريّة.

من هنا، يتّخذ اجتماعنا أبعاداً متعدّدة، أودّ، بعد مناقشتها، إفراديّاً، مع البعض منكم، أن أطرحها أمامكم، لعلّنا نصل إلى اتخاذ مواقف موحّدة:

١- إنّ رؤساء الجامعة هم قادة الفكر، وإن لم يكونوا قادة السياسة، وعليهم أن يتصرّفوا انطلاقاً من هذا المبدأ، فتكون لهم المواقف الحضاريّة السياسيّة والوطنيّة، كما الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، ولن يغفر لهم التاريخ وقفة الانتظار، إذا هم تخلّوا عن وقفة القيادة، في وقت يرون فيه بلدانهم، تسقط تحت وطأة الاستبداد والاحتلال.

٢- إنّ الديمقراطيّة المدعوّون جميعاً الى سلوك طريقها، لا تفرض من الخارج، بل هي ثمرة حوار وحياة. نحن مدعوّون، كرؤساء جامعات، إلى بثّ روح الديمقراطيّة في نفوس طلاّبنا وأساتذتنا، ودعوتهم إلى ممارسة التعبير عن هذه الديمقراطيّة، متحلّين بالشجاعة والحريّة والوعي العمليّ.

لقد وُجد الطائف أساساً من أجل أن يكون دستوراً جديداً للبنان، وأن يعيد بناء ما تهدّم على أسس جديدة؛ وهذا يستتبع معالجة الخلل وتلافي الأخطاء التي كانت السبب في انهيار لبنان عام ١٩٧٥، فهل تحقّق ذلك؟ وهل نجح الطائف حقّاً في الانتقال بنا إلى الدولة القوميّة الواحدة حيث يلتقي جميع اللبنانيّين حول مفهوم واحد للوطن والهويّة والكيان، وحول مفاهيم الاستقلال والحرّية والمواطنيّة وإرادة العيش المشترك والولاء للبنان ككيان سياسيّ نهائيّ، أم إنّنا لا نزال نعيش في دولة الطوائف المجزّأة والمنقسمة على نفسها حيث الجميع ينامون ويصحون على أرض واحدة، ويستظلّون سماء واحدة، ويحملون هويّة وطنيّة واحدة، وبالشكل والظاهر فقط!

يوميّاً، نسمع شكاوى الناس بأنّ لا شيء يسير في الطريق الصحيح وكما يجب في البلد، إن كان في السياسة أو الإدارة أو الاقتصاد والمال أو القضاء أو الحرّيات العامّة أو أيّ من الميادين الأخرى التي تهمّ المواطن. لقد كثرت ملفّات الفضائح وتراكمت بحيث تفتح وتغلق استنسابيّاً، وقوّة المال والتسلّط تنتهك كلّ الحقوق، والظلام الداكن يلفّ الوطن والمواطن، حتّى أصبح لسان حال كلّ لبنانيّ ترداد «قل لي إلى أين المسير في ظلمة الدرب الطويل». فكثرة الفضائح، وعلى رأسها فضيحة الخليويّ وخطورتها، تجاهلتها المراجع القضائيّة المختصّة وكأنّها لا تعنيها. وأصبحت المحافظة على المال العامّ هي الانحراف. وهذا وضع في منتهى الخطورة، لأنّه يؤشّر إلى ملامسة المجتمع المدنيّ التأقلم مع الفساد إلى درجة أنّه أصبح يؤمن بأنّ الفساد والرشوة وتبديد المال العامّ صفات كلّها ملازمة للعمل السياسيّ في لبنان.

إنّ القتال الرئاسيّ المتكرّر والمستمرّ بين الفينة والأخرى، عطّل الإصلاح الإداريّ، وأفشل إقرار الخطّة الاقتصاديّة والماليّة، وأجهض مفاعيل باريس ٢ الذي شكّل فرصة إنقاذ مميّزة للبنان من التدهور الاقتصاديّ والماليّ الذي يُخشى أن يتحوّل إذا استمرّت الحال على هذا المنوال إلى انهيار ماليّ واقتصاديّ في عام ٢٠٠٥. فالإصلاح السياسيّ، إذاً، أصبح حاجة ماسّة وملحة أكثر من أيّ وقت آخر، ولا إصلاح إداريّاً ناجحاً إنْ لم يسبقه أوّلاً إصلاح سياسيّ ناجح يعيد ولو القليل من الانسجام ما بين الرئاسات، ويقلّل قدر الإمكان من الأسباب التي تؤدّي بين الحين والآخر إلى الخلافات التي تنعكس على الوطن عدمَ استقرار، وعلى المواطن سلباً في قوته وقوت أبنائه.

خمسة عشر عاماً من عمر الجمهوريّة الثانية ولا الدولة دولة، ولا الشعب يشبه نفسه، ولا الطائف إلاّ طواف حول سلطة منقسمة على ذاتها، والسياسة وجدت لها مكاناً في بلاد الانتشار. أمّا الديمقراطيّة، أحجيّةُ النظام اللبنانيّ، فصارت يتيمةَ الأبوين ولا أحد من العائلة لينجدها ويأخذ بيدها. في هذا الجوّ العابق بكبت الحرّيّات واستشراء الفساد يتسارع نزف الأدمغة، ومعه فقدان الوطن قواه الحيّة... فإلى أين نحن سائرون؟

بعد الانقلاب على اتفاق الطائف نتيجة انهيار التوازنات الداخليّة والإقليميّة، ظهرت مجموعة قوى سياسيّة تقاسمت السلطة وفق نظام المحاصصة الطائفيّة. في ظلّ هذه الأجواء غير الطبيعيّة نشأ مناخ من عدم الثقة بين الحاكم والمحكوم، فكان أن دفع البلد الثمن الباهظ الذي كان يبدو حلماً لسنوات خلت، ألا وهو وصول الدين العام إلى ما يقارب ٤٠ مليار دولار أميركيّ. فكيف الخروج من هذا المأزق الكبير؟ وهل من ضوء في نهاية النفق المظلم؟ الجواب هو نعم، ومن خلال الوفاق الوطنيّ الحقيقيّ، لا المزيّف، والذي يقرّب اللبنانيّين جميعاً على اختلاف طوائفهم الدينيّة ويشدّ الأواصر فيما بينهم على قاعدة العدالة والمساواة التامّة في المواطنيّة، في الحقوق والواجبات. فالعيش المشترك مسألة مرتبطة ارتباطاً عضويّاً بميثاق الطائف، بل إنّها تعبير من تعابيره الأساسيّة. ولذلك، فإنّ من المنطقيّ أن يهتمّ الفرقاء الذين يمثّلون مختلف الجماعات أو التقاليد الدينيّة بهذه المسألة، وأن يشدّدوا على أهميّتها الحيويّة، بحيث يقدّمون الصورة النموذجيّة لهذا العيش المشترك الذي ارتضيناه جميعاً كلبنانيّين ويوضّحون مفاصله وشروطه وتطوّره واستمراره... الذي ينتج عنه استمرار لبنان بصورته الحاضرة.

وفي ظلّ الصيحات التي انطلقت أخيراً من كلّ حدب وصوب مطالبةً بتغيير اتفاق الطائف لأنّه فشل في إرساء قواعد النظام الديمقراطيّ المرجوّ وأدّى إلى خلق جوّ من النزاعات بين الرؤساء، نسأل وبإخلاص هل صحيح أنّ الطائف فشل، أم إنّ هناك استحالة لتطبيقه في ظلّ الأوضاع الحاليّة في لبنان؟ هل العلّة تكمن في نصوص اتفاق الطائف، أم هي في عدم تطبيقه بصورة صحيحة وكما أراد واضعوه؟ الحقيقة بأنّ اتفاق الطائف كان تسوية للخروج من الحرب وبشكل موقّت، ليصار لاحقاً وبعد تثبيت السلم تركيز اتفاق آخر أو دستور جديد يتلاءم مع حاجات البلاد وطريقة حكمها. فلبنان منذ الطائف محكوم بنظام الترويكا في ظلّ تنافر في الأمزجة والمصالح السياسيّة والرؤية، الأمر الذي يجعل ما آلت إليه الأوضاع طبيعيّاً. فمن الضروريّ إذاً تصحيح الخلل عن طريق إمّا اتفاق جديد يحلّ مكان اتفاق الطائف، وإمّا العمل على تعديل جميع النصوص الخلافيّة في الطائف، التي تحول دون قيام نظام العدالة والمساواة بين جميع المواطنين. فلبنان بحدوده الجغرافيّة الحاليّة التي ارتضيناها جميعاً ومستعدّون للدفاع عنها بالمهج والأرواح، لا يعيش إلاّ بجناحيه المسيحيّ والمسلم معاً. ومن يريد غير ذلك يكون بالحقيقة يفتّش

اتفاق الطائف:
إلغاء أم تعديل؟

د. إدوار صيّاح

منذ توقيعه من قِبَل، تقريباً، جميع أعضاء مجلس النوّاب اللبنانيّ في مدينة الطائف السعوديّة في عام ١٩٨٩، واتفاق الطائف تحت المجهر من قبل الكثير من النقّاد والمحلّلين السياسيّين داخل وخارج لبنان على السواء. فبالنسبة للبعض هو الاتفاق– الاتفاق الذي ليس من بعده اتفاق، وهو الذي جلب الأمن والطمأنينة والسلام إلى البلد الصغير بحجمه الكبير بوزنه. وللبعض الآخر، فإنّ هذا الاتفاق كان مجرّد تطبيق لمقولة «اتفقوا على ألاّ يتفقوا». بمعنى أنّ كلّ ما حقّقه هذا «المستند الذي يسمّى الطائف»، هو الاتفاق بين اللبنانيّين بأن يتوقّفوا عن التذابح وقتل بعضهم البعض، لا أكثر ولا أقلّ.

إنّ المنطق ومبدأ العقلانيّة لا يجيز لنا بأن نحكم لرأي هذا الفريق ضدّ رأي الفريق الآخر، وإلاّ كنّا مغرضين نصدر الأحكام سلفاً وبطريقة عشوائيّة لا يمكن أن توصلنا إلى أيّ نتيجة ملموسة. إلاّ أنّ لا شيء يمنع من أن نسأل، بصراحة وبشفافيّة متناهية، عمّا إذا كانت دولة الطائف ومنذ قيامها لغاية الآن قد تمكّنت من شدّ أوصال المجتمع اللبنانيّ على نحو يجعله قادراً على تشكيل مناعة ضدّ الخلافات والصراعات الداخليّة؟ أو أن يكون مرصوص الصفوف كالبنيان، قادر على مواجهة العواصف العاتية التي يمكن أن تهبّ من خارج لبنان في أيّ لحظة؟ بصريح العبارة، هل استطاع الطائف أن يؤسّس أساسات البيت اللبنانيّ على صخر، أم إنّه بنى البيت على الرمل؟

بعد مضيّ خمسة عشر عاماً، يحقّ لكلّ لبنانيّ مخلص أن يسأل ما إذا كان الطائف قد مهّد لبناء الدولة الديمقراطيّة التي تقوم على العدل، فلا تفرّق بين مواطن وآخر في الحقوق والواجبات.

هذا على الصعيد السياسيّ، أمّا على الصعيد الإداريّ فالسؤال هو عمّا إذا كان الطائف قد استطاع تحقيق الإصلاح الإداريّ المنشود، وتخليص الإدارة اللبنانيّة من الرشوة والفساد الذي يعشعش في الدوائر الحكوميّة؛ وعمّا إذا كان هناك من توازن حقيقيّ بين جميع الفئات اللبنانيّة على ما نصّ اتفاق الطائف، أم إنّ مؤسّسات الدولة تقع تحت هيمنة فئات معيّنة على حساب فئات أخرى، ممّا يلحق أفظع الأضرار بدستور الطائف وبميثاق العيش المشترك الذي من المفترض أنّه كرّس مبدأ الأخوّة بين جميع العائلات الروحيّة اللبنانيّة، لا مبدأ الغالب والمغلوب.

هل نجح اتفاق الطائف في إنتاج قيادات وطنيّة قادرة تعمل لا من أجل المصالح الشخصيّة الضيّقة المبنيّة على الحقد والكراهيّة والأنانيّة، بل من أجل المصلحة الوطنيّة العليا التي تأخذ في الاعتبار سلامة الكيان اللبنانيّ وتحصينه من كلّ المخاطر المحدقة به. هل عمليّة صنع القرار السياسيّ في لبنان هي جماعيّة تشارك الفئات اللبنانيّة على قدم وساق، أم إنّ فئات معيّنة هي التي تستأثر بكلّ القرارات وعلى الآخرين أن يتحمّلوا عبء الواجبات من دون استشارتهم.

مشكلة الدَين العام اللبنانيّ

د. لويس حبيقة

يعاني العديد من الدول من عجز في الموازنات ومن تراكم مقلق للدين العام. من السهل على أيّة دولة زيادة الإنفاق على الحاجات الضروريّة وغير الضروريّة، ومن الصعب عليها زيادة التحصيل الضرائبيّ وإصلاح الإدارة بالرغم من أهميّة الموضوعين. تجد كلّ حكومة أمامها رغبة شعبيّة في زيادة الإنفاق ومقاومة شعبيّة لزيادة الضرائب ولتخفيف حجم الإدارة وثقلها. الوقوع في العجز الماليّ سهل، ولكنّ الخروج منه صعب ويتطلّب قرارات سياسيّة شجاعة وتضحيات قاسية. لبنان ليس الدولة الوحيدة، إقليميّاً ودوليّاً، التي تعاني من مأزق العجز وزيادة الدين إلى حدود غير مقبولة. قرارات زيادة الإنفاق والتوظيف العشوائيّ كانت سهلة وربّما شعبيّة في بعض الأحيان، لكنّها لم تعد محمولة. يجد لبنان نفسه هذه السنة أمام مأزق جديّ، أي صعوبة وقف الهدر وترشيد الإنفاق وتحصيل الرسوم والضرائب واستحالة تحقيق إصلاح إداريّ في ظروف عامّة ضاغطة.

بداية مشكلة الدين العام في منتصف التسعينات

بدأت مشكلة الدين العام واقعيّاً في منتصف التسعينات بعد أن ارتفعت نسبته من الناتج المحليّ الإجماليّ من ٤٩,٥٪ في سنة ١٩٩٣ إلى ٧٠,٤٪ سنة ١٩٩٤و ٢، ٧٩٪ في سنة ١٩٩٥ ليصل إلى حوالى ضعفي الناتج هذه السنة. زيادة الفوائد خلال هذه المرحلة رفعت تكلفة خدمة الدين وزادت عجز الموازنة وأوقعت البلاد في حلقة مفرغة. هكذا ارتفع عجز الموازنة من ٩٪ في سنة ١٩٩٣ إلى ١٩,٧٪ في سنة ١٩٩٤ وإلى ٢٧٪ في سنة ١٩٩٧. تعدّت الفائدة على القروض المصرفيّة حدود الـ ٣٠٪ في منتصف التسعينات وبقيت مرتفعة حتّى نهاية القرن الماضي، بل لم تنخفض عمليّاً إلاّ بعد مؤتمر باريس ٢ وبسبب انخفاض الفوائد العالميّة. زادت خدمة الدين العام مثلاً من ٥,٨٪ من الناتج في سنة ١٩٩٣ إلى ٩,٨٪ في سنة ١٩٩٥. في منتصف التسعينات أيضاً، انخفض نموّ الناتج المحليّ الحقيقيّ من ٣٨,٢٧٪ في سنة ١٩٩١ إلى ٧٪ في سنة ١٩٩٣، ممّا لم يسمح بتوسيع رقعة الاقتصاد لتمويل حاجات القطاع العام.

الوضع الماليّ الحاليّ

تدنّت نسبة النموّ من ٤٪ في سنة ١٩٩٦ إلى ٢٪ في سنة ٢٠٠٢. تراوحت نسبة عجز الموازنة من الناتج بين ٢١,٧٪ في سنة ١٩٩٦ و٢٤,٦٪ في سنة ٢٠٠٠ و ١٥,٧٪ في سنة ٢٠٠٢ مع وجود فائض في الموازنة الأوليّة. أمّا حجم الدين العام الإجماليّ من الناتج، فتطوّر تبعاً لمذكّرة صندوق النقد الدوليّ بتاريخ ٢٠٠٣/٢/٢٨ من ١٠١,٢٪ في سنة ١٩٩٦ إلى ١٥٢,٣٪ في سنة ٢٠٠٠ وإلى ١٧٧,٧ في سنة ٢٠٠٢. تزداد حصّة الدين الخارجيّ من المجموع تدريجيّاً (من ١٤,٥٪ من الناتج في سنة ١٩٩٦ إلى ٨٠,٦٥ في سنة ٢٠٠٢) بسبب فوائدها المنخفضة مقارنة مع الاستدانة بالليرة اللبنانيّة. تستحقّ هذه السنة ٦٠٪ من السندات الداخليّة، أي ما يعادل ١٠ مليارات دولار و ٢,٣ مليار دولار من اليوروبوند. بوجود عجز مستمرّ في الموازنة، لا بدّ من الاستدانة مجدّداً لتسديدها وتغطية العجز. وقوع الاقتصاد اللبنانيّ في الحلقة المفرغة منذ منتصف التسعينات أثّر سلباً على تصنيف لبنان في الأسواق العالميّة. تبعاً لمؤسّسة فيتش، تدنّى تصنيف لبنان الطويل الأمد من BBB- في ١٩٩٧/٢/٢٦ إلى B- في ٢٠٠٣/١/٢٠. إذا استمرّت الدولة في عجزها عن إدارة نفسها، فدرجة التصنيف ستنخفض وترتفع بالتالي تكلفة الاقتراض في الداخل والخارج. كما ستعجز الدولة عندها عن القيام بعمليّات خصخصة مفيدة للخزينة، علماً أنّ المبرّر الأوّل للخصخصة يبقى تحسين فعاليّة المؤسّسات وإنتاجيّتها.

الحلول المجربّة في أميركا اللاتينيّة

في الثمانينات، لم تكن المرّة الأولى التي توقّفت فيها بعض الدول الأميركيّة اللاتينيّة عن تسديد ديونها الخارجيّة، وبالتالي عجزت عن الاستدانة مجدّداً. بلغت عندها الديون المصرفيّة للمكسيك حوالى ٩٧ مليار دولار، وللبرازيل ١٠٦ مليار، وللأرجنتين ٥١ مليار؛ وبالتالي أصبحت هذه المصارف معرّضة للإفلاس. لا يمكن لأيّ حلّ أن ينفّذ في أميركا اللاتينيّة إذا لم تضع الولايات المتحدة ثقلها الماليّ فيه. فكانت هنالك تجربتان: أولاهما «خطّة بايكر» لمدّة ١٩٨٢ ١٩٨٨ التي جدولت الديون و«خطّة برايدي» منذ سنة ١٩٨٩ التي أعفت هذه الدول من بعض ديونها لاستحالة التسديد من دون

عن لبنان آخر، غير هذا اللبنان الذي نعيش فيه الآن بنسيجه الوطنيّ والروحيّ الذي تحدّث عنه الإرشاد الرسوليّ ودعمه، بل باركه ودعا إلى الحفاظ عليه وعدم التفريط به من قبل المسيحيّين قبل إخوانهم المسلمين.

المشكلة ليست في النصوص كي نفتي، ومن دون تردّد يذكر، بتغيير اتفاق الطائف، بل المشكلة كلّ المشكلة تكمن ولا شكّ في النفوس وانعدام الثقة بين المواطن اللبنانيّ والحاكم وبينه وبين أخيه في المواطنيّة. إنّ تفضيلنا مصالحنا الخاصّة على المصلحة العامّة وعدم تفريقنا بين ما هو خاصّ وما هو عامّ، قد يكون أوصلنا إلى ما نحن عليه الآن من تخبّط وضياع على مختلف الصعد. ومن الجائز جداً أنّ أيّ اتفاق جديد نتوصّل إليه، لن يكون أفضل من حيث النصوص أو التطبيق. طبعاً يعود إلى اللبنانيّين بمختلف طوائفهم وقياداتهم الروحيّة والزمنيّة، وباستطاعتهم إذا ارتأوا العمل على وضع اتفاق جديد، فلا شيء يمنع من حدوث ذلك إذا كان الرأي الوطنيّ الموحّد مُجمعاً على أنّه في مصلحة الوطن. فالدستور ليس منزلاً، بل موضوع. وكما تمّ تعديل الميثاق الوطنيّ لعام ١٩٤٣ وإضافة اتفاق الطائف لعام ١٩٨٩ إليه، هكذا بالإمكان العمل على تعديل اتفاق الطائف وإضافة اتفاق آخر إليه.

ولهذا فإنّ تعديل اتفاق الطائف، يبقى الأسلم والأفضل من إلغاء الاتفاق بالكامل. فهناك سيئات في الطائف اكتشفت بالممارسة منذ عام ١٩٨٩، إلاّ أنّ هناك حسنات أيضاً، ربّما، لا يمكن لأحد تجاهلها في أيّ اتفاق جديد. فالمقاعد في الحكومة هي بالمناصفة بين جناحي البلد، وقد كانت كذلك في مرحلة ما قبل الطائف، وستبقى كذلك في أيّ اتفاق جديد. والمقاعد في مجلس النوّاب أصبحت مناصفة في اتفاق الطائف، ويا ليتها كانت كذلك قبل الطائف... فربّما ما حدث كان من الممكن تجنّبه أو كان سيكون أخفّ وقعاً على البلد. إذاً، المطلوب هو تعديل الطائف أو تصحيح الخلل فيه، وهذا ما يطالب به الكثير من المسلمين قبل المسيحيّين، بحيث يضمّ التعديل ما يلي:

١- إعادة بعض الصلاحيّات إلى رئاسة الجمهوريّة، بحيث يتخلّص لبنان من حكم بدعة «الترويكا».

٢- جعل مدّة رئيس الجمهوريّة أربع سنوات، على أن يكون باستطاعته الترشّح لمدّة رئاسيّة ثانية، لا غير.

٣- تخفيض مدّة رئيس مجلس النوّاب إلى سنتين بدل أربع سنوات كما نصّ اتفاق الطائف، لكي يشعر رئيس المجلس بالمساءلة أمام مجلس النوّاب، فيصبح المناخ داخل المجلس النيابيّ صحّياً وديمقراطيّاً أكثر لا سلطويّاً.

٤- تعديل أو صياغة أيّ بند أو مادّة خلافيّة أخرى وردت في اتفاق الطائف، والتي يرى الخبراء في القانون الدستوريّ ضرورة معالجتها.

وأي يكن الأمر تغييراً أو تعديلاً لاتفاق الطائف، فيجب أن نعمل له جميعنا كلبنانيّين في جوّ من الأخوّة خدمةً لمصلحة البلد؛ لأنّ الوضع، إذا استمرّ كما هو الآن، فإنّه قد ينقلب في أيّة لحظة من لحظات الخلل في التوازن ما بين الطوائف إلى عائق منيع، قد تصطدم به محاولات الإصلاح والتطوير للنظام السياسيّ في لبنان، الأمر الذي يؤدّي إلى انعدام الحياة السياسيّة، التي هي شرط التطوير والإصلاح، فتنفتح الأزمة، أزمة التغيير على مخارج خطيرة:

١- حرب أهليّة لبنانيّة جديدة، إذا أتيح لها شروط إقليميّة ودوليّة.

٢- أو استقواء بالخارج لتثبيت أمر واقع في داخل لبنان.

٣- أو افتعال حوادث هنا وهناك تذكّر المواطن بأيّام الحرب الأهليّة، وتلغي الحياة السياسيّة الصحّية في البلد.

ومهما رست الأمور في النهاية لجهة إلغاء الطائف أو تعديله، فإنّ هناك حقيقة واحدة ملموسة لدى جميع اللبنانيّين بأنّه لا غنى أبداً وتحت كلّ الظروف عن صيغة العيش المشترك. وإلاّ لن يكون لبنان هو لبنان الذي نعرفه اليوم، ولا أخال أحداً مستعدّاً أن يفرّط بهذه الصيغة والدخول في المجهول. حتّى في حال اعتماد النظام الفيدراليّ الذي ينادي به البعض، فإنّ العيش المشترك سيستمرّ عبر تداخل المصالح والسكّان، وعبر بقاء لبنان دولة واحدة. المهمّ التوصّل إلى حلّ ما ينقذ البلد من الشلل والتجاذبات المستمرّة ووضعه في الطريق الصحيح، لأنْ لا أحد يريد العودة، لا سمح الله، إلى الحرب الأهليّة المشؤومة. الكلّ في لبنان، من مسيحيّين ومسلمين، ينشد العيش بسلام؛ إلاّ أنّ هذا السلام يجب أن لا يكون لصالح أحد الفريقين على حساب الفريق الآخر. لأنّه في تغليب فريق على فريق آخر نكون كمن يؤسّس لحرب أهليّة جديدة، من حيث ندري أو لا ندري، ولا أحد يريد ذلك البتّة. فعلينا جميعاً المحافظة على صيغة العيش المشترك ونعضّ عليها بالنواجز، وأن نعيش جميعاً على اختلاف عائلاتنا الروحيّة متساوين كأسياد على أرض لبنان الحبيب، وطن الحرّية والكرامة الوطنيّة.

والكثير من الشفافيّة حتّى تستعيد الدولة ثقة المستثمرين.

لا يمكن للبنان أن ينجو من أزمته الاقتصاديّة إلاّ عبر نموّ قويّ يوسّع القاعدة الاقتصاديّة. الدعم النفسيّ الذي تركه مؤتمر باريس ٢ كان جيّداً، ولكنّه ظرفيّ، إذ لم ترافقه سياسات اقتصاديّة ترفع إنتاجيّة القطاعات. كما أنّ استبدال دين مكلف بآخر أقلّ تكلفة جيّد، لكنّه لا يكفي لتوسيع رقعة الاقتصاد. المطلوب النجاح في استقطاب الاستثمارات الخارجيّة المباشرة التي يمكن أن تأتي إلى لبنان إذا أبقى قاعدته الضرائبيّة معتدلة وإذا نجحت الدولة في تقوية مؤسّساتها العامّة. في آخر سنة ٢٠٠٠ مثلاً، كانت نسبة إيرادات الدولة من الناتج المحليّ الإجماليّ تشكّل حوالى ١٨,٣ ٪ في لبنان مقارنة ب ٢٦,٧ ٪ في الأردن و ٢٢,٨ ٪ في مصر و ٢٤,٤ ٪ في سوريا ومعدّل ٢٩ ٪ في دول المغرب العربيّ. تصل هذه النسبة إلى ٣٨,٤ ٪ في هنغاريا و ٢١ ٪ في تركيا و ٢٤ ٪ في ماليزيا وإلى معدّل ٣٢,٥ ٪ في الدول الصناعيّة. الثقل الضرائبيّ ما زال مقبولاً في لبنان، ويشكّل بالتالي ما يميّز اقتصادنا. من الأفضل عدم المسّ بالتوازن الموجود بين الدين المحرّر بالليرة اللبنانيّة والآخر بالعملات الأجنبيّة بالرّغم من زيادة الأخير بنسب مقلقة في السنوات القليلة الماضية. يصبّ الحفاظ على هذا التوازن في مصلحة لبنان، إذ تمرّ المنطقة في ظروف أمنيّة وسياسيّة خطيرة. لا يمكن للوفر الماليّ الحاليّ، مهما كبر، أن يتقدّم على الاستقرار النقديّ وبالتالي الاجتماعيّ.

شكّل مؤتمر باريس ٢ دافعاً قويّاً للحكومة كي تبدأ بتنفيذ ما وعدت به المؤتمرين. انخفاض الفوائد لن يدوم إذا لم تبدأ الدولة، ولو متأخّرة جداً، بتنفيذ الإجراءات التالية:

أوّلاً: ترشيد الإنفاق العام: ما فائدة الاستدانة الميسّرة الجديدة إذا كنّا سنهدرها على إنفاق استهلاكيّ تبذيريّ. فلماذا تستمرّ الدولة مثلاً في استئجار مقرّات لوزاراتها ومؤسّساتها في أغلى المواقع، في وقت تملك مقرّات أخرى أو يمكنها استئجار أماكن أرخص بكثير. ولمَ الإنفاق السخيّ على قطاع إداريّ عام مشهور بضعف إنتاجيّته وبالأعداد الكبيرة التي تنعم بضمانات الوظيفة وما يتبعها من منافع شرعيّة وغير شرعيّة؟ ما هي المؤسّسات العامّة التي استطاعت الدولة إصلاحها أو نجحت في رفع إنتاجيّتها وتحسين نوعيّة خدماتها؟ هل لبنان بحاجة إلى كلّ المجالس العامّة وتكلفتها الباهظة، وهل تؤدّي الدور المطلوب منها بفعاليّة وصدقيّة دون فساد أو هدر؟

ثانياً: الخصخصة وقطاع الأعمال: القطاع الخاص يخلق النموّ إذا توافرت له الأجواء العامّة المناسبة والأسواق التنافسيّة. دور الدولة يكمن في تفعيل كفاءة التجارة الخارجيّة مع الدول العربيّة أوّلاً والخارج ثانياً. يحتاج القطاع الخاص أيضاً إلى كلّ ما يساهم في تخفيض تكلفة إنتاجه، أي التعريفات. القروض المضمونة والميسّرة جيّدة، لكنّها غير كافية للحلّ، بل يجب أن تترافق مع إرشاد تقنيّ متطوّر. أين أصبحت مشاريع الخصخصة تحضيراً، وما هي السياسات التي ستعتمدها الدولة لطمأنة القطاع الخاص؟ ما جرى في الخلويّ لا يشجّع على الاستثمار في لبنان. إنّ التأخير مجدّداً في بتّ مشكلة الخلويّ، أيّاً كانت أسبابه وظروفه، ينعكس سلباً على مشاريع الخصخصة بما فيها الهاتف الثابت والكهرباء.

ثالثاً: تحصيل كلّ الضرائب والرسوم: فالدولة غير القادرة على ذلك أو المتقاعسة عنه غير جديرة بالمساعدات والمساهمات الميسّرة. هي لا تستحقّ دعوة وحضور الحشد المميّز الذي رأيناه في باريس-٢. كما أنّ الدولة التي تعفي مواطنيها من الرسوم والضرائب المتوجّبة عليهم أيّاً كانت، هي غير محتاجة منطقيّاً لمساعدات، فلمَ تطلبها؟ تقضي هذه المواقف المعلنة والسياسات الخاطئة على ثقة المجتمع الدوليّ بمؤسّساتنا ودولتنا. في كلّ حال، لا ضرائب أو رسوم جديدة أو إضافيّة قبل تحصيل كلّ ما هو مطلوب وقبل القضاء على كلّ الأعمال غير الشرعيّة.

رابعاً: من واجب مؤسّسات الدولة الرقابيّة والقضائيّة شرح ما حصل فيما يخصّ بنك المدينة والبنوك التي تعثّرت قبله إلى الرأي العام. ما جرى لم يؤثّر على سلامة القطاع المصرفيّ الذي نما بنسبة ١٦٪ خلال سنة ٢٠٠٣، وإنّما يشكّل نقطة سوداء فيما يخصّ الرقابة. شرح الحقيقة يقوّي ثقة الداخل والخارج بقطاعنا المصرفيّ النشط والمنتج حتى يحافظ على نموّه القويّ ويستمرّ في تمويل حاجات القطاعين العام والخاص.

الاقتصاد الدوليّ المعولم لا يرحم أحداً، بمن فيهم الكبار. حتّى اليابان القويّة تعاني من مشاكل ماليّة حادّة بسبب سوء الأداء الإداريّ العام وتأجيل الحلول الموجعة. كانت الإنتاجيّة اليابانيّة متفوّقة على الغرب في الثمانينات، لكنّها أصبحت أدنى منها اليوم لأسباب عديدة أهمّها مستوى التعليم التقنيّ ووضع القطاع المصرفيّ الياباني المثقل بالديون السيّئة. كما لم تتطوّر التشريعات والأدوات التمويليّة تشجيعاً للشركات الجديدة. تأزّم الوضع الاقتصاديّ أيضاً لأنّ اليابان لم تجدّد مؤسّساتها ولم تعتمد الابتكار والإبداع ركائز لاقتصادها الجديد. لن يعود الاقتصاد الياباني إلى نموّه القويّ على أسس وقواعد الماضي، بل يجب التغيير في العمق. فهل نتّعظ في لبنان من العديد من التجارب الكبيرة لتفعيل مصادر النموّ لدينا؟

خضّات اجتماعيّة. فالخطتان حلّتا مشكلة حجم الدين فقط من دون أن تعالجا الأسباب الماليّة والهيكليّة والإداريّة التي أوصلت الدين إلى حجمه. كما شعرت الدول المستفيدة أن بإمكانها الاستدانة مستقبلاً، وسيأتي من ينقذها في الوقت المناسب، أي عندما تتأزّم الأمور.

جرى أيضاً تطبيق حلول أخرى بالتعاون مع «ناديي باريس ولندن» وصندوق النقد مستوحاة من مبادئ السوق وهي التسنيد واستبدال بعض القروض بالأصول أو بالمواد الأوّليّة أو باستبدال ديون ذات تكلفة عالية بأخرى أفضل كما جرى للبنان مع «باريس ٢». لم تكن هذه الحلول بمزاياها ومساوئها إلاّ آنيّة، وسرعان ما عاد بعض هذه الدول إلى ممارسة سياساتها الانفلاشيّة. اعتمدت الأرجنتين مثلاً على برامج الخصخصة والتحرير الاقتصاديّ والتنظيم الماليّ الداخليّ. لم يكن تنفيذ الخصخصة ناجحاً خاصّة في قطاع الاتصالات ولم يكن المردود الماليّ كافياً. كما لم تستطع الحكومات الأرجنتينيّة الاستمرار في ضبط الوضع الماليّ وفي تنشيط الاقتصاد الذي مرّ في مرحلة ركود قاسية. أمّا الخطأ الأكبر فكان اعتماد الأرجنتين لمجلس نقد ربط قانوناً البيزو بالدولار الأميركيّ بسعر صرف نهائيّ وثابت. أمّا المكسيك، فطبّقت منذ أزمتها سلسلتين من الإصلاحات التي أعادت الثقة إلى اقتصادها. كما أنّ دخولها في اتفاقيّة التجارة الحرّة مع الولايات المتحدة وكندا وفّر لها الأسواق والاستثمارات، كما ساهم في توظيف يدها العاملة المتزايدة. في سنة ٢٠٠٢، كانت المكسيك الدولة المصدّرة الأولى في أميركا اللاتينيّة والثامنة في العالم.

الأبعاد الاقتصاديّة للمشكلة الماليّة

تتحوّل موازنات الدول دورياً من عاجزة إلى فائضة، والعكس بالعكس. فالدول التي تحمل موازنتها عجزاً كبيراً دائماً ستعرف يوماً ما مشكلةً في هيكلتها الاقتصاديّة وفي مستقبل نموّها. المهمّ معرفة حجم توظيف الاقتصاد لعوامل الانتاج وخصوصاً اليد العاملة بحيث تتحدّد العلاقات الصحيحة بين مختلف المتغيّرات الاقتصاديّة. تزيد الحكومات إنفاقها الاستثماريّ لتجدّد وتطوّر بنيتها التحتيّة المساعدة للنموّ. فإنشاء الطرقات والمطارات والمرافئ والجسور والمختبرات المموّلة من الإنفاق العامّ وصيانتها يضيفان إلى الثروة الوطنيّة، ويساهمان في تطوير الإنتاجيّة، وبالتالي في تعزيز النموّ. في هذه الحالة يصبح الإنفاق العامّ مكمّلاً للخاص، وليس مستبعداً له. أمّا الإنفاق الاستهلاكيّ، فيعتبر هدراً إذا ساهم في تمويل إدارة عامّة فضفاضة غير منتجة. في كلّ حال، تحاول الدول النظر في تكلفة تمويلها، ما يجنبها رفع الضرائب مستقبلاً لتمويل الدين.

انخفاض مؤشّر البطالة الأميركيّ من سنة ١٩٧٧ إلى سنة ١٩٩٩ ترافق مع فائض في الموازنة الأميركيّة. أمّا النموّ السنويّ العامّ، فبلغ ٣,٧٪ في مرحلة ١٩٩٣-١٩٩٩ بفضل الاستثمارات الخاصّة الحقيقيّة التي زادت سنوياً بنسبة ٩,٨٪. هذا يدلّ على أنّ نموّ الاستثمارات لا يرتبط بالضرورة بمستوى الضرائب التي كانت مرتفعة نسبياً في العقد الماضي. فالنموّ القويّ لا يتطلّب بالضرورة إنفاقاً عامّاً ضخماً وعجزاً ماليّاً متزايداً، بل العكس يمكن أن يكون صحيحاً. أهميّة الاستثمارات الخاصّة تأثيرُها الإيجابيّ والمباشر على الإنتاجيّة وعلى النموّ الطويل الأمد. زادت هذه الاستثمارات بالتزامن مع فائض في الموازنة الأميركيّة ومع فوائد حقيقيّة مرتفعة نسبياً. في الاقتصاد الجديد، يرتبط مستوى الإنتاجيّة ليس فقط بالرأسمال الماديّ، أي مال وتجهيزات وآليّات، وإنّما أيضاً وأكثر بالتعليم والتربية وكميّة المعرفة المتوافرة في المجتمع. أمّا عن العلاقة بين الاستثمارات والفوائد، فيقول الاقتصاديّ الكبير «جيمس توبين» إنّ هويّتها مرتبطة بوسائل التمويل. إذا تمّ تمويل الاستثمارات عبر زيادة الأسهم وليس بالدين، وإذا كانت مخاطر الوسيلتين متباينة، تصبح الاستثمارات غير مرتبطة بالفوائد، وبالتالي يمكن أن تزداد معها.

حصول عجز في الموازنة ينتج تراكماً في الدين العام وبالتالي زيادة في تكلفة خدمته. تفترض النظريّات الاقتصاديّة عندها أن يزيد التوفير الخاص تحسّباً لزيادة الضرائب مستقبلاً لهدف تسديد الدين. إلاّ أنّ وقائع التسعينات في أميركا تدلّ على انخفاض التوفير الخاص، ما يدلّ على أنّ للتوفير أو الادّخار مسبّبات تتعدّى حدود الماليّة العامّة لتصل إلى المؤشّرات النفسيّة والاجتماعيّة والانسانيّة المتنوّعة.

الحلول الممكنة في لبنان

من واجب الدولة اللبنانيّة الاستفادة من التجارب لمعالجة مشكلتي العجز الماليّ والدين العام. مع علمنا بأنّ التسنيد لا يصحّح أوضاع المؤسّسات، وأنّ الخصخصة مؤجّلة بسبب تقلّب الأسواق الماليّة الدوليّة وعدم جهوزيّة القوانين والمؤسّسات، لا نرى ماذا يؤخّر الدولة في ضبط إنفاقها ووقف الهدر ومكافحة الأعمال الاقتصاديّة غير الشرعيّة وتحصيل الضرائب والرسوم وتحقيق بعض الإصلاح الإداريّ النوعيّ. دور الدولة يكمن اليوم في إعادة بناء الثقة بها وفي مؤسّساتها تشجيعاً للاستثمارات والنموّ. دورها يكمن أيضاً في اعتماد حلول طويلة الأمد لمشكلة المديونيّة العامّة حتّى لا تتكرّر. المطلوب اليوم الجديّة في العمل

أ- الهروب:

يقع الهروب بتضافر إدراكين هما: المبالغة في استفظاع الأحداث من جهة، والافراط في الاستخفاف بمؤهّلات الانسان وقدراته الذاتيّة من جهة ثانية، إذ ذاك يلجأ بعضهم إلى الهروب، فيتعامى عن الواقع ويتجاهله، ينكره أو يتنكّر له عبر أساليب عدّة هروب بالسفر، بالتناسي، بتعاطي الكحول والمخدّرات أو اللجوء إلى الأحلام والأوهام. هكذا يفعل مثلاً من صدّته حبيبته ورفضت إكمال المسيرة معه...

ب- الرضوخ

يتمّ الرضوخ بتقاطع تصوّرين للأمور، أوّلهما هو الانخداع بظاهر جبروت الأحداث، وآخرهما هو سوء اعتبار الذات والاعتقاد، بعدم جدوى بذل الجهد. إذ ذاك يستسلم الراضخ للأمر الواقع، كأنّه القدر المحتوم. فتراه يتبع ويخضع، يمتثل ويتجالد، علّه يرضي جلاّده، في البيت، أو المدرسة، أو المجتمع. إنّه يتخلّى عن أحلامه، عن هويّته، أو عن مشاريعه الخاصّة ليتبنّى ما يُفرض عليه.

تلك هي حالة من أُكرِه على الانقياد في أمر زواجه أو عمله أو رؤياه، فآثر الامتثال كأهون الشرور.

ج- العدوانيّة

تبرز العدوانيّة بتلاقي مفهومين: أحدهما هو وهم غلاظة الأحداث، والآخر نفاد صبر وحيلة صاحب المعاناة وضيق صدره. إذ ذاك، يذنّب العدوانيّ نفسه بمقدار تجريمه من يظنّهم مسبّبي معاناته. فتنفث عدوانيّته الانتقاميّة العنف في اتجاهين:

■ عنف ضدّ الآخرين: بالشتم، بالضرب، بالاغتصاب، بالتخريب، بالترهيب أو بالقتل.

■ عنف ضدّ الذات: بتشويه صورته، بالاتّساخ، بالافراط في الأكل أو النوم، بالانقطاع عن الدراسة أو عن العمل، بالجنوح إلى التحلّل الأخلاقيّ، أو الكآبة والانتحار.

٤- المواجهة فعل إقدام

تشكّل المواجهة الجامع المشترك لردّات الفعل الايجابيّة. إنّها الوقوف بوجه الصعاب مهما كان نوعها. تفترض المواجهة فعل إيمانٍ بجدوى وفعاليّة القوى الذاتيّة، وإقرار الانسان بحقّه في تقرير مصيره بحريّة واعيّة. إنّه ذاك الذي يصمّم في كلّ حين، صنع تاريخه الشخصيّ بمسؤوليّة أخلاقيّة، فيقدم بجسارة على إنجاز أفعال ثلاثة.

١- جرأة التعرّف إلى طاقات الذات وإمكاناتها والاعتراف بمحدوديّاتها،

٢- جرأة معرفة الواقع وتشخيص مسبّباته وإيجاد الحلول الممكنة، مع الالتزام بالقيم،

٣- جرأة السعي إلى تحقيق الذات، وصون حقوق الآخرين وبالتساوي. لا بل تحقيق الذات معاً وللجميع.

تلك هي حالة من تأزّمت أموره الاجتماعيّة أو المهنيّة أو اعتلّت علاقاته العاطفيّة، فيقرّر حمل مسؤوليّة إدارة أزمته، ويواجه الواقع، يحاور الاطراف المعنيين، يفاوضهم بالمنطق، يقترح الحلول، حتى يبلغ معهم إمّا إلى الائتلاف والوفاق، وإمّا إلى الاختلاف والفراق بسلام وبكرامة. وفي الحالتين تراه ينطلق للبناء من جديد.

مقاومة الاحباط ممكنة

د. ماري خوري

١- ما الاحباط

٢- الاحباط ليس قدراً

٣- الانهزام فعلُ استسلام

٤- المواجهة فعل إقدام

٥- إكليل الغار بمتناول الجميع

١. ما الاحباط؟

الاحباط هي لفظة تطلق على تلك الحالة، التي يعانيها الانسان من جرّاء شعوره المؤلم بعدم القدرة على مواجهة مشكلةٍ ما يتخبّط فيها، أو إدراكه المفجع باخفاقه في انجاز مشروعٍ ما يحرص عليه، أو إحساسه الموجع بفقدان الاستطاعة على بلوغ هدفٍ ما يطمح إليه. إنّه شعور مضنٍ بالعجز، وبالقصور، وبالانهزام المقعد، لا بل إنّه شعور بصعوبة تزليل العقبات، واستحالة مواجهتها.

٢. الاحباط ليس قدراً

هل صعوبات الحياة ومآزقها هي مُحبِطة حتماً؟ لا, فحياة الانسان الخاصّة والعامّة، ليست مفروشة كلّها بورودٍ تهدى إليه، ولا هي مزروعة كلّها بأشواكٍ تنزل عليه. بالمقابل ليس الانسان بكليّة طاقاته الفكريّة والعاطفيّة والسلوكيّة جبّاراً مطبوعاً على النجاح حتماً، ولا يعدّ قاصراً مفطوراً على الفشل حكماً. فإنْ استحال على الانسان تجنّب الاحباط، فهل تكون مقاومة الاحباط مستعصية عليه؟ فإنْ صحّ قول الشاعر بأنّه:

تعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

صحّ إذن القول بأنّ الاحباط ليس قدراً، لأنّ الانسان هو عاقل، حرّ، واعٍ، قادر على التفكير والتدبير والتقرير: فإمّا أن يزلّل مآزمه، وإمّا أن ينسحق أمامها. وهذا رهن بكيفيّة تصوّره للواقع والصعاب من جهة، وتصوّره لذاته وقدراته من جهة ثانية.

بيّنت الدراسات النفس- اجتماعيّة أنّ هناك جملة من ردّات الفعل تجاه الصدمات والمعضلات المؤدّية إلى الاحباط، يمكن إرجاعها إلى نوعين أساسيين:

■ ردّات فعل سلبيّة: هي انكساريّة الطابع، استسلاميّة المنحى، ارتهانيّة المصير، تطال ما يقارب ثلاثة أرباع (٧٠-٧٥٪) الذين يعانون من مشكلات الحياة أولئك الرازحون تحت نير الاحباط، المستخفّون بقدراتهم.

■ ردّات فعل إيجابيّة: هي عاصية الطابع، اقتحاميّة التوجّه، تحرريّة المصير، يفوز بها ما يقارب (٢٥-٣٠٪) ربع الذين يتعاملون مع الصعاب أولئك المتصدّون لشرك الاحباط، لايمانهم بفعاليّة طاقاتهم، وإمكاناتهم الذاتيّة.

٣. الانهزام، فعل استسلام

بما تتّصف ردّات الفعل السلبيّة؟ وما هي أهمّ نماذجها؟

يتّخذ الانفعال سلباً بالأحداث، ملامح الانهزام المعبّر عن الاستسلام، والمؤدّي إلى الاحباط. ويتّصف بتلاشي العزيمة، وبتفشّي العجز، بحيث ييأس المحبط ويتحوّل ضحيّة انهزاميّته هذه، سجين دوّامة تعنيف داخليّ تؤدّي به إلى اليأس والكآبة. وقد يظهر هذا بنماذج سلوكيّة ثلاثة هي: الهروب، والرضوخ، والعدوانيّة.

الحوار الإسلاميّ المسيحيّ
وعقيدة المسلمين في السيّد المسيح وأمّه البتول مريم

الشيخ محمّد النقّري

موضوع مداخلتي ثلاث نقاط أساسيّة: أسس الحوار من الناحية الإسلاميّة وعقيدة الإسلام في سيّدنا المسيح عليه السلام وفي أمّه الصدّيقة البتول مريم.

الحوار الدينيّ من وجهة النظر الإسلاميّة

خصوصيّة هذا الحوار عند المسلم مردّها إلى عدّة أمور:

١- الاعتقاد بأنّ الاختلاف والتنوّع البشريّ في اللون والجسد والفكر واللغة هو مقصود في ذاته، وهو هدف ربّانيّ أراده المولى جلّ جلاله. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم». ويقول أيضاً «ولو شاء ربّك لجعل الناس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين» ويقول أيضاً: «يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا».

٢- الاختلاف في الدين هو أمر بديهيّ، ولو شاء الله لجعل كلّ الناس مؤمنين. يقول الله في القرآن الكريم: «ولو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين».

تمتاز المواجهة بخصائص سبع أساسيّة، أثبتت صحّتها الأبحاث الميدانيّة حول مواجهة الصدمات الكبرى (اغتصاب، مرض عضال، كوارث، مآسي عائليّة... وأكّدت فاعليّتها في عمليّة هتك العجز، ودحر الاحباط. هذه الخصائص هي: الثقة بالنفس، التفاؤل، اعتبار الذات السند الاجتماعيّ، المخيّلة، حسّ الفكاهة، الطاقة الروحيّة.

أ- **الثقة بالنفس** تمكّن الانسان من الوثوق بقدراته، وبجدوى جهوده، وباستطاعته في التحكّم بذاتيّاته وبمحيطه. هنا يرى الانسان ذاته سيّد نفسه، مهندس حياته، والفاعل الأساسيّ في مجرياتها. يخطّط، يمشرع، يعد العدّة، ينفّذ، يصحّح، يصوّب، يكمّل، ويطوّر المشاريع... إنّه جوّانيّ النزعة .Internal بعكس ذاك البّرانيّ النزعة External، الذي يسلّم بان التحكّم بالأمور يرجع إلى الخارج: إلى القدر، المكتوب، الحظ، الآخرين... وما عليه سوى التحمّل، والتكبّد، دونما قدرة على التغيير أو المبادرة.

ب- **التفاؤل** يعني مطالعة الواقع من خلال شبكة قراءة إيجابيّة للأحداث، إذ يعتمد المتفائل التأجيبpositiver منهجاً لاعطاء معنى للأمور حتّى السلبيّة منها. فلا يرى في الفشل مثلاً مبرّراً لليأس والكآبة والاستسلام, بل يرى فيه حافزاً لمضاعفة بذل الجهد، ورافعة للتقدّم وللترقّي لأنّه مؤمن بقدرته على تخطّي ذاته، وبأنّ الغد هو حكماً أفضل.

ج- **اعتبار الذات** هي الصورة البهيّة التي يرتسمها الانسان عن ذاته ببرهان محبوبيّته لدى الآخرين، وشعوره بالاستقلاليّة الذاتيّة في إدراة شؤونه. فبمقدار ارتفاع مستوى اعتبار الذات estime de soi، بمقدار ذلك يتّجه الانسان للتجرّؤ على المواجهة، والمبادرة، والمثابرة في تذليل الصعاب، وتحقيق الذات من خلال إنجاز المشاريع الخاصّة.

د- **السند الاجتماعيّ** هو كلّ من يحيط بصاحب المعاناة، يتفهّمه، يحنو عليه، يرافقه، يشاركه مآسيه، يصغي إليه، يشجّعه، يسانده حبّاً به وحبّاً لما هو بذاته. فبقدر ما يشعر المعاني بحضور سندٍ اجتماعيّ إلى جانبه، يتحسّس معه empathie، بمودّة تمدّه بالطاقة energétigène، ويعترف له بقيمته بالرغم من كلّ شيء، بمقدار ذلك يقوى على مجابهة مشكلاته بنجاح وفرح.

هـ- **المخيّلة الخلاّقة** التي تسمح لصاحب المعاناة، بالتسامي على أوجاع الواقع، وتحويل الآلام والبشاعات إلى روائع وجماليّات في صنع خياله, من دون التنكّر للواقع. تراه يستفيد من طاقته على الإبداع لتجميل وخلق صورة أخرى عن الواقع. ومثاله التحف الفنيّة التي أبدعها أصحاب المعاناة من رسّامين، ونحّاتين وموسيقيين.

و- **حسّ الفكاهة** وروح النكتة، والمرح، والضحك، تشكّل كلّها وسائل علاجيّة مهمّة تساعد في مواجهة الواقع الأليم. لقد أثبتت الدراسات حدوث إفرازات هرمونيّة لدى الانسان عندما يضحك, هي الأندورفين endorphine، أو المورفين الطبيعيّ، من شأنها تأمين حالة من الارتياح الجسديّ والنفسيّ لدى صاحبها، عدا أنّ الفكاهة تساهم في جعل الانسان مستلطفاً محبوباً، ممّا يزيد الاعتبار للذات وبالتالي القدرة على الاقدام والمجابهة.

ز- **الطاقة الروحيّة** يستمدّها الانسان المؤمن من إيمانه الدينيّ الذي يشعره بأنّ الله يحبّه، ولن يتركه وحيداً أبداً، ممّا يشحنه بطاقة فوق عاديّة، هي النعم الروحيّة، تزيده ثقة بالنفس وبالقدرة على مواجهة الصعاب.

٥- إكليل الغار بمتناول الجميع

الكلّ قادر على مقاومة الاحباط، والكلّ قادر على الفوز في معركة المقاومة هذه وإن بأشكال مختلفة, ونيل إكليل الغار المصنوع من فرح الحريّة والسلام. استوحي من الفيلسوف مارك أوريل هذا الدعاء بتصرّف:

اللهم، أناشدك بثلاث يا أرحم الراحمين:

- أعطني الجرأة لكي أقدم، فأغيّر ما يمكن تغييره، في ذاتي، عند الآخرين، وفي واقع الحياة.
- أعطني القوّة الأدبيّة لكي أقبل ما لا يمكن تغييره، في ذاتي، عند الآخرين، وفي واقع الحياة.
- أعطني الحكمة لكي أحسن التمييز بين الحالتين، فلا أرضخ حيث يجب أن أبادر، ولا أعاند حيث يجب أن أقبل.

تقوم السعادة ومثلها السلام الاجتماعيّ على قواعد ثلاث، هي غاية في البساطة:

١- أن يقبل الانسان ذاته كموضوع قيمة وصاحب اعتبار، فلا تنسيه محدوديّاته ما يكتنزه من طاقات.

٢- أن يتقبّل الآخر كموضوع قيمة وصاحب اعتبار، يختزن طاقات خيّرة بالرغم من نواقصه.

٣- أن يُقبِل على الواقع الاجتماعيّ بما فيه من روائع ومآسٍ، ويتشارك مع الآخرين، لزيادة الروائع، وتخفيف المآسي، وصنع عالم أفضل يكون أكثر أخوّة ومساواة، وأعمق حريّة وسلاماً.

فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اهد دوساً وأنت بهم». وحادثة اضطهاد سكّان الطائف للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإيذائهم له وأمرهم غلمانهم بملاحقته وضربه دليلٌ آخر على الدعوة للآخر بالهداية والعفو، إذ دعى رسول الله لهم قائلاً: «اللهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون».

ثالثاً: احترام الطرف الآخر: فينبغي على المسلم أن يراعي في حواره مع غير المسلم الاحترام والتوقير والتقدير فيعطي كلّ ذي حقّ حقّه وينزل الناس منازلهم. وسيرة الرسول مليئة بأمثلة احترام الرسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم لمحاوريه المشركين وتقديره لأهل الكتاب؛ ففي حديث الحوار مع عتبة بن ربيعة، وكان سيّداً لقومه، لم يقابله النبيّ بجفاء بل احترمه، ولم يقاطعه في كلامه بل استمع إليه حتّى فرغ، ثمّ طلب منه الاستماع، وكان النبيّ في كلّ مرّة يناديه بكنيته لتطمينه واحترامه.

رابعاً: الانصاف وقبول ما لدى الآخر من الحقّ: فإنّ من آداب الإسلام، بل من واجباته إنصاف الآخرين وإن كانوا من غير المسلمين، وقبول ما لديهم من حقّ، وإعطاؤهم ما لهم من الحقّ المشروع كاملاً من دون إجحاف أو إنقاص، بل وإنصافُهم وإن كانوا أعداء. يقول الله تعالى: «أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداءَ بالقسط ولا يَجْرِمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقربُ للتقوى». والمتأمّل في القرآن الكريم يرى إنصافه لأهل الكتاب، ومن ذلك قوله تعالى: «ليسوا سواء مّنْ أهل الكتاب أمّة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ١١٣ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين».

وقد فهم الصحابة والتابعون هذا الأدب الإسلاميّ الرفيع والحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقّ بها، فها هو الإمام الأوزاعي يدافع عن مسيحيّي جبل لبنان أثناء ولاية صالح بن علي العبّاسيّ الذي ثار ضدّه بعض المسيحيّين في قرية المنيطرة القريبة من أفقا لفرضه الضرائب الباهظة عليهم، فكتب الإمام الأوزاعي للوالي رسالة طويلة يحتجّ فيها على معاملته المسيحيّين بهذه الطريقة، وممّا قاله: «وقد كان من إجلاء أهل الذمّة من أهل جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه، ممّن قتلت بعضهم، ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت. فكيف تؤخذ عامّة بذنوب خاصّة، حتّى يخرجوا من ديارهم وأموالهم. وحكم الله تعالى: ولا تزرُ وازرةٌ وزْرَ أخرى» وهو أحقّ ما وُقف عنده واقتُدي به. وأحقّ الوصايا أن تحفظ وترعى وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإنّه قال: «من ظلم معاهداً أو كلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه».

«ومن كانت له حرمة من دمه فله في ماله، والعدل عليه مثلها. فإنّهم ليسوا بعبيد، فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلد في سعة. ولكنّهم أحرار أهل ذمّة..»

البتول مريم عليها السلام

مريم عليها السلام يسمّيها القرآن الكريم أيضاً الصدّيقة، ويصفها بأنّها طاهرة وأنّ الله اصطفاها على نساء العالمين وأنّها أفضل نساء العالمين. وترفعها الأحاديث المرويّة عن الرسول محمّد في أعلى المراتب، وتصفها بأنّها سيّدة نساء أهل الجنّة. وقد أفرد الله تعالى في القرآن سورة بأكملها تحمل اسمها المبارك، عليها السلام.

أ- اسمها: وردت كلمة مريم في القرآن الكريم سبعاً وثلاثين مرّة:

١. إحدى عشرة مرّة منفصلة، أي باسمها غير مضاف إلى اسم آخر
٢. مرّتان مسبوقتان بكلمة ابن، أي ابن مريم
٣. ثلاث مرّات مسبوقة بكلمة المسيح عيسى، أي المسيح بن مريم
٤. خمس مرّات مسبوقة بكلمة المسيح فقط، أي المسيح بن مريم
٥. ستّ عشرة مرّة مسبوقة بكلمة عيسى فقط، أي عيسى بن مريم

كما دلّت عليها بعض الآيات بالإشارة من دون ذكر اسمها مثل «والتي أحصنت فرجها» أو بأنّها أمّ المسيح، ووصفها بالصدّيقة في الآية: «وأُمُّهُ صدِّيقَةٌ».

ب- صفاتها: حيث وصفتها بعض الآيات القرآنيّة ببعض الصفات، أنتقي منها ما يأتي:

وَإِذْ قَالَتِ المَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ.

يقول المفسّرون: بأنّ هذه الآيةَ تشتمل على ثلاث صفات:

١. الاصطفاء
٢. التطهير
٣. الاصطفاء على نساء العالمين.

١- فأمّا الاصطفاء الأوّل فهو إمّا أن يكون- كما سأذكر بعد قليل- بأنّ الله تعالى جعلها في خدمته وسخّرها لعبادته، وهذا لم يحصل لغيرها من الإناث من قبل. أو بأنّ أمّها لم تطعمها، وكان رزقها يأتيها من الجنّة مباشرة. أو بأنّ الله أسمعها كلام الملائكة شفاهة، وهذا لم يحصل لأيّ فتاة قبلها.

٢- وأمّا التطهير فيحتمل بأن يكون المقصود بأنّ الله طهّرها من

٣- التعارف والحوار بين بني البشر على اختلاف أديانهم وأعراقهم مطلب قرآنيّ. فالقرآن الكريم تضمّن آيات كثيرة اشتملت على معاني الحوار وأرشدت المؤمنين إلى اتّباع هذا المنهج وتغليبه على حساب العداوة والتفرّق. كما أنّ سيرة النبيّ محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، زاخرة بالنماذج الكثيرة المشرقة للحوارات والمراجعات المؤدّبة بينه وبين مشركي مكّة، وبينه وبين مسيحيّي نجران.

٤- ينبني على ما سبق بأنّ الإسلام يعترف بالتنوّع العقائديّ عند البشر، ويضع أحكاماً فقهيّة تتعلّق بالعلاقة مع غير المسلمين؛ وهو إذ يؤمن بهذا التعدّد يحارب الفكر المبنيّ على النقاء العرقيّ وعلى أفضليّة شعب وجنس ولون على آخر: يقول الله في القرآن الكريم: «إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم». وجاء في الحديث النبويّ الشريف: «يا أيّها الناس ألا إنّ ربّكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على أعجميّ ولا لعجميّ على عربيّ ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلاّ بالتقوى، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم».

٥- يعترف الإسلام بالكتب السماويّة المنزلة، وبالأنبياء الذين أرسلهم الله في كافّة العصور إلى البشر لهداية الناس وإرشادهم إلى عبادة الله الواحد الأحد. بل وإنّ أركان الإيمان عند المسلم تشمل الإيمان بالكتب السماويّة كلّها وبالتوراة والإنجيل والقرآن، وبالأنبياء الذين اصطفاهم الله جميعاً. فمن أنكر نبيّاً من الأنبياء أو ذمّه، معتقداً بذلك، فقد خرج عن مفهوم الإيمان والإسلام. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: «قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربّهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مُسلِمون». ويقول أيضاً: «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابيين من آمن بالله واليوم الآخِر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

٦- أمر الله تعالى المسلمين بمحاورة أهل الكتاب بأفضل ما يكون به الحوار، معتبراً أنّ الجامع بينهم هو عبادة الله تعالى، وهو نفس الإله الذي يعبده اليهود والمسيحيّون والمسلمون. يقول تعالى في القرآن الكريم: «قلْ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أَلاّ نعبدَ إلاّ الله» وقال أيضاً: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن إلاّ الذين ظَلموا منهم وقولوا آمنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهُنا وإلهُكم واحدٌ ونحن له مُسلِمون».

٧- يحظى المسيحيّون بعلاقة مميّزة مع المسلمين، إذ يؤمن المسلمون بالمسيح عليه السلام كلمة من الله وروح منه ألقاها إلى مريم، وهو من أولي العزم من الرسل، ويؤمنون به حيّاً قائماً إلى الآن في السماء لم يُقتل ولم يُصلب.

٨- يكرّم المسلمون أمّ المسيح مريم عليهما السلام التي يسمّيها القرآن الكريم أيضاً الصدّيقة، ويصفها بأنّها طاهرة وأنّ الله اصطفاها على نساء العالمين وأنّها أفضل نساء العالمين؛ وهذا ما سنتكلّم عنه بعد قليل.

٩- يصف القرآن الكريم المسيحيّين بأنّهم أقرب مودّة للمسلمين، فيقول تعالى في هذا السياق: «وَلَتجدنَّ أشدّ الناس عداوة للّذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنّ أقربهم مودّة للّذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهباناً وأنّهم لا يستكبرون».

١٠- يؤمن المسلمون بعودة المسيح عليه السلام في آخر الزمان وينتظرون عودته لمؤازرته في تصدّيه للمسيح الدجّال الذي ينتظره اليهود، وهم إذ يترقّبون عودته يؤمنون بأنّ المسيحيّين سيصبحون ملّة واحدة مع المسلمين تحت راية المسيح عليه السلام. وهذا أيضاً سوف نتكلّم عنه بعد قليل.

من آداب الحوار في الإسلام

أوّلاً: الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن:

وقد جاء الأمر بهذا الأدب في آية من القرآن الكريم وهي قوله تعالى: «ادْعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن». والجدل بالتي هي أحسن يكون بعدم التحامل على المخالف ولا تجريح آرائه ولا تقبيحها.

ثانياً: التحلّي بمحاسن الأخلاق، وذلك يتأتّى بما يلي:

١- الحلم والصبر: فلا يغضب المحاور أو ينفعل لأتفه الأسباب، وبهذا يقول القرآن: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس».

٢- الصدق: فلا يجوز الكذب في الحوار ولا في غيره مطلقاً. يقول تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وكونوا مع الصادقين».

٣- التواضع: فلا يجوز التكبّر على الآخرين وازدرائهم فإنّ هذا ليس من صفات المؤمنين فضلاً عن أن يكون من صفات الدعاة والمحاورين في دينه.

٤- الرحمة: فالمحاور يلتزم بهذه الصفة ولا يدعو على الآخرين إذا لم يستجيبوا، وقد ورد في الحديث أنّه قيل للرسول عليه الصلاة والسلام أنّ دوساً عصت وأبت فادع الله عليها فقيل هلكت دوس،

بأنّ جبريل بعد ذلك نفخ في جيب درعها، فإذا هي حامل بقدرة الله ومشيئته.

ثمّ يذكر المفسّرون بأنّ مريم حملت المسيح تسعة أشهر، وقال بعضهم بل سبعة أشهر، وقال آخرون أنّها ولدته حين حملت به، والأرجح أنّها مرّت بجميع أدوار الحمل إلى أن ولدته، مع اعتقادنا بأنّ الله قادر على كلّ شيء، علماً بأنّ القرآن الكريم لم يذكر عن تلك الأدوار شيئاً.

ولمّا حان انفصال جنين مريم ألجأها المخاض إلى جذع نخلة في ناحية من نواحي بيت لحم، ويقول أحد المفسّرين بأنّ الوقت كان وقت شتاء والنخلة يابسة، وإنّما كان مجيئها إليها لتستتر أو لتعتمد عليها. وفي هذا المكان وفي هذه اللحظات حسبت مريم ألف حساب وحساب لما هي مقدمة عليه ولموقفها من اللائمين عليها وما سيرمونها به من فاحشة، فتمنّت الموت فناداها جبريل من مكان منخفض من الموضع الذي كانت فيه بأن لا تحزن فقد جعلها الله في موضع نبعة من المياه تكريماً لها ولتغتسل وتشرب، وطلب منها أن تهزّ جذعَ النخلة فيسقط الرطب عليها فتأكل. قد يبدو هذا الطلب غريباً، فكيف يتسنّى لها هزّ شجرة النخل وهي في آلام الوضع علماً بأنّه يصعب على مجموعة من الرجال الأقوياء هزّ هذا النوع من الشجر، وكيف يكون بها ثمر وهي شجرة يابسة في فصل الشتاء؛ فيقول المفسّرون بأنّ الله أراد بذلك أن يسكّن روعتها ويعلمها بأن من أوجد هذا الرطب من النخلة اليابسة في الشتاء، ومن أوجد هذه القوّة في هزّ هذا النوع من الشجر، وأوجد لها الماء في هذا الموضع قادر أن يردّ عنها افتراءات اليهود العائبين. فخاطبها جبريل وهدّأ روعتها وطلب منها أن تقول حينما يشاهدها أحد من الناس بأنّها نذرت لله صوماً عن الكلام، وعندها يتولّى الله البرهنة على براءتها. وهكذا كان. فبعد أم مكثت في مزود ماشية، وهو إسطبل حيث وضعت طفلها المبارك فيه بعد ولادته، رجعت إلى قومها وبيدها ابنها عليه السلام، فارتاعوا لهذا المنظر، وزاد في ارتياعهم ما كانوا يعلمون به من طهارة مريم ونشأتها على التقى والعبادة، فجعلوا يزدرونها ويعنّفوها ويتّهمونها بأفظع الاتّهامات. سمعت مريم الصدّيقة الطاهرة هذا الكلام فاستجابت لنداء جبريل لها بعدم الردّ، ولكنّها أشارت إلى ابنها عليه السلام وهو في المهد مفهمة لهم بأن يوجّهوا إليه الكلام، فقالوا لها مستفسرين ساخرين عن كيفيّة كلامهم مع طفل رضيع، فلم يهملهم عيسى أو يسوع الطفل المعجزة، وبادرهم قائلاً بأنّه عبد الله ونبيّه آتاه الله الكتاب وبارك له في أيّ مكان وجد، وأنّ الله أوصاه بالصلاة والزكاة مدّة حياته، وأنّه سيكون براً بوالدته وسيكون عبداً متواضعاً.

هذه قصّة مريم في القرآن الكريم، وقد أشارت إلى ما بعد فترة ولادتها بعض الأحاديث المرويّة عن سيّدنا رسول الله محمّد، منها ما هو موثّق من جهة صحّته، ومنها ما هو غير موثّق؛ ومن ذلك الإخبار بأنّ الله أنزل سحابة من السماء لاستقلال عيسى بن مريم حينما أراد اليهود أن يمسكوه فوضع عيسى في السحابة (والسحابة قد تكون رمزيّة) فلزمته أمّه وبكت، فقالت السحابة دعيه فإنّ الله يرفعه إلى السماء ثمّ يشرف أهل الأرض عند أوان الساعة ثمّ يهبط إلى الأرض فيكون فيها ما شاء الله ويبدّل الله به أهل الأرض أمناً وعدلاً فسكتت عنه مريم تنظر إليه وتشير بإصبعها ثمّ ألقى إليها برداء فقال هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيامة.

سيّدنا المسيح عليه السلام

وهذا ما يقودنا إلى الحديث عن المسيح عليه السلام؛ فحبّ المسلمين للمسيح وأمّه الطاهرة مريم ينطلق أيضاً إضافة إلى حبّهم لذات المسيح وإلى توجيه القرآن الكريم، من حبّهم للرسول محمّد الذي أحبّ المسيح وناداه بأخي عيسى كما ذكره في أحاديث كثيرة رُويت عنه، فقد قال الرسول محمّد عن المسيح: «وهو خليفتي على أمّتي وإنّه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنّه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين». وذكرت بعض الأحاديث المرويّة عن رسول الله محمّد ما جرى مع المسيح من قصص وأقوال، فروى أبو هريرة عن رسول الله أنّه قال: «رأى عيسى بن مريم رجلاً يَسرق، فقال له: أسرَقتَ؟ فقال: كلاّ والله الذي لا إله إلاّ هو. فقال: عيسى آمنتُ بالله، وكذّبتُ عينيّ». وروي عنه أنّه رأى المسيح في أكثر من مناسبة، فقد رآه ليلة أسري به إلى بيت المقدّس وعرّج به إلى السماء، فورد أنّ رسول الله وصفه لأصحابه وقال عنه أنّه رجل أحمر بين القصير ولاطويل سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنّه خرج من ديماس يعني الحمّام تخال رأسه يقطر ماء. وكذلك رآه رسول الله في منامه إذ روى عبدالله بن عمر قال رسول الله: «أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل أدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال يضرب بلمّته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبيه رجلين وهو بينهما يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا هذا المسيح بن مريم».

ورآه أيضاً حقيقة في مكّة المكرّمة، وهي من معجزات الرسول محمّد أن يراه. ومن معجزات المسيح أنّه يهبط إلى الأرض فيراه رسول الله؛ فقد روى أنس بن ملك قال: «كنت أطوف مع رسول الله حول الكعبة إذ رأيته صافح شيئاً ولا نراه، قلنا يا رسول الله رأيناك صافحت شيئاً ولا يراه أحد، قال ذاك أخي عيسى بن مريم انتظرته حتّى قضى طوافه فسلّمت عليه».

المعصية، أو من العلاقة الجنسيّة مع الرجال، أو طهّرها من الحيض حيث ذكر بأنّ سيّدتنا مريم عليها السلام لا تحيض، أو طهّرها من الأفعال الذميمة والعادات القبيحة، أو طهّرها من كلام اليهود واتهامهم لها وكذبهم عليها، أو يكون التطهير من مسّ الشيطان بها منذ ولادتها وهذا ما ذكره الرسول محمّد حين قال: «كلّ بني آدم يمسّه الشيطان يوم ولدته أمّه إلاّ مريم وابنها عيسى» وسأعود إلى هذا المعنى بعد قليل.

٣- وأمّا الاصطفاء الثاني فقد يكون المراد منه أنّ الله وهب لها ابناً دون أدنى علاقة مع أحد من البشر، أو أنّه جعل المسيح ينطق وهو في المهد ليبرئ ساحة أمّه ويدحض أقوال ومزاعم اليهود، أو أنّ الله جعلها والمسيح آية للعالمين. وقد يكون المعنى أنّ الله جعلها في أعلى المراتب في الجنّة، ويؤيّد هذا التفسير ما ذكره الرسول محمّد في حديث روته زوجته عائشة رضي الله عنها إذ ذكرت بأنّه عندما حضرت لوفاة الرسول محمّد تحدّث مع ابنته فاطمة كلاماً فبكت له فاطمة ثمّ ضحكت، فسألتها السيّدة عائشة عن ذلك، فقالت لها: «أخبرني رسول الله أنّه يموت فبكيت، ثمّ أخبرني بأنّني سيّدة أهل نساء أهل الجنّة إلاّ مريم ابنة عمران، فضحكت».

١. ويقول القرآن أيضاً عنها متحدّثاً عن أمّ مريم: «فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

وسأعود إلى هذه الآية عندما أذكر قصّة ولادتها. ولكن الذي يهمّنا أن نعرف هنا أنّ هذه الآية تشير إلى شيء مهمّ جداً يعتقده المسلمون وهو عقيدة أنّ مريم طاهرة من الدنس منذ ولادتها، وإلى هذا يشير الحديث النبويّ المرويّ عن الرسول محمّد الذي سبق أن ذكرته وهو يقول: «كلّ بنيّ آدم يمسّه الشيطان يوم ولدته أمّه إلاّ مريم وابنها عيسى». وهذه العقيدة اختلفت فيها الآراء لدى المسيحيّين إلى أن أقرّتها الكنيسة البابويّة في روما بتاريخ ٨ كانون الأوّل ١٨٥٤، وهو يوم تحتفل به حالياً الكنيسة الكاثوليكيّة.

٢. ويصفها القرآن بالصدّيقة فيقول: «مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ». ويصفها أيضاً بالتي أحصنت فرجها فيقول القرآن: «وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلعَالَمِينَ».

٣. يرفعها الرسول محمّد إلى أعلى مقام فيقول في حديثه: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة عليهنّ السلام». وقد اعتبر العلماء دلالة تقديمها في الاسم تقديماً لمقامها أيضاً.

قصّة ولادتها ونشأتها في القرآن الكريم

يبتدأ القرآن الكريم بذكر أمّ مريم من دون أن يسمّيها، بل يصفها بأنّها زوجة عمران من أحبار بني إسرائيل، فيذكر بأنّه حملت من زوجها نذرت أن تجعل ما في بطنها محرّراً لخدمة الهيكل، فلمّا وضعت تبيّنت أنّ الجنين الذي ولدته إنّما هو أنثى، وكانت تأمل بأن يكون ذكراً لكي يسمح له الكهنة بالدخول إلى الهيكل وأن يسحر لخدمته، فتوجّهت إلى الله متأسّفة بعد أن سمّتها مريم وسألته أن يتقبّلها منبتاً حسناً، فتقبّل الله مريم للدخول في الهيكل وجعلها في كفالة زوج خالتها زكريّا بعد أن توفّي والدها عمران وهي صغيرة. وزكريّا هو والد يحيى عليه السلام.

وذكرت الآيات قصّة كفالة زكريّا، وأنّه كان عن طريق القرعة. وعلى ما يبدو إنّهم كانوا يلقون أقلامهم على وجه يظهر به امتياز بعضهم على بعض؛ وقد ذكر بأنّهم كانوا يلقون أقلامهم في الماء، فمن جرى قلمه على خلاف مجرى الماء استجيب إلى طلبه..

وقد ذكر القرآن معجزة انفردت بها مريم عن بقيّة الناس جميعاً؛ فقد كان زكريّا يأتيها في صومعتها البعيدة عن الناس وقد قيل بأنّها كانت بلا أبواب إلاّ من باب في السقف، فكان لا يدخل إليها أحد إلاّ من هذا الباب، فيجد زكريّا في كلّ مرّة عندها طعاماً لا وجود له عند الناس في ذلك الوقت، فقيل بأنّه كان يجد عندها فاكهة الصيف في موسم الشتاء وفاكهة الشتاء في موسم الصيف، فيسألها قائلاً: يا مريم أنّى لك هذا فتجيبه: هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب.

وكانت الملائكة تأتيها في هذه الأثناء وتخبرها بأنّ الله اصطفاها وبأنّه طهّرها من الأرجاس والأدناس، وتحثّها على العبادة والقُنوت إلى الله. فنشأت مريم نشأة طهر وعفاف محروسة بعناية الله تعالى؛ وفي يوم كانت في خلوتها إذ جاءها الملك بل ملك الملائكة جبريل عليه السلام بصورة رجل، فأخذها الرعب وظنّته يريد بها سوءاً فاستعاذت بالله منه إن كان بلا تقوى، فأعلمها بأنّه مرسل من عند الله ليبشّرها بولادة كلمة من الله اسمه المسيح وأنّه سيكون وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين، فأصاب مريم العجب من هذا القول إذ كيف يكون لها ولد ولم يمسّها أحد من الناس، فهوّن عليها جبريل هذا الأمر وأحاله على قدرة الله تعالى الخالق الذي لا يعجزه شيء، والذي يقول للشيء كن فيكون. وهنا يقول العلماء بأنّ أمره بين الكاف والنون أي كن، وهذا ما يفهم منه بأنّ المسيح هو كلمة الله. وذكر بعض المفسّرين

حلوى الديموقراطيّة

د. عمر ريفي

هي ليست بحلوى تُقدّم في يوم عالميّ للديمقراطيّة، وهي ليست متوفّرة في الأسواق التجاريّة العاديّة! إنّها، كما رأيت أن أسمّيها، نتاج أجهزة الحكم الذي تقدّمه لشعوبها عند كلّ ولاية جديدة...

رأيت في النتاج هذا حلوى، تماماً كتلك التي تشتهيها وتستلذّ بها الشعوب! بل لعلّها تتمنّاها من حين إلى آخر فلا تجدها غالباً متوفّرة لديها، ما حدا، ويحدو دائماً، بهذه الشعوب إلى أن تبتكر لنفسها وصفاتٍ- بسيطة المواد والتحضير- تسمّيها بالحلوى وتتناولها من حين لآخر!! لن أطيل الحديث أكثر عن حبّ الشعوب للحلوى وأوجه استعمالهم لها، رغم أهميّتها؛ إلاّ أنّني أفضّل أن أركّز مقالتي هذه على طرق التحضير وأنواع الطهاة...

لنأخذ مثلاً على ذلك الحلوى الفرنسيّة. ففي فرنسا مدرسة واحدة فقط، تخرّج مختلف الطهاة الفرنسيّين. الطهاة إذاً لا يعرفون إلاّ طريقة واحدة للتحضير، سيّما أنّ «المعلّم» واحد! ولكن عند تقديم الأطباق، يتفق الطهاة على تغيير أسمائها، مع أنّ المسمّيات هي هي، وذلك بتغيير زينة قوالب الحلوى المقدّمة. وتأتي النّكهات لجميع الرغبات: الحلوى اليساريّة، الحلوى اليمينيّة، وحلوى الوسط، وغيرها... وهكذا يأكل الفرنسيّون، وهذا ما لا يخفى على أحد من أصحاب الذوق الرفيع، لدى كلّ ولاية، «كعكة» جديدة ومختلفة- كما تفرض زينتها الخارجيّة. ولا ريب في أنّ الفرنسيّ يفخر ويشعر- أو يدفع لأن يشعر- بأنّه أختار «الكعكة» التي يحبّ، وبحريّة كاملة. ويشعر كلّ فردٍ هناك بأنّه حصل على قطعة الحلوى التي أراد، فيأكل الجميع بسعادة وارتياح؛ حتّى الطهاة لا يلبثون أن يشاركوا مواطنيهم موائدهم، رغم أنّهم قد تذوّقوا «بعض» الحلوى في كواليس الإعداد التحضيرا...

المشكلة في لبنان هي أنّ المواطن لا يملك أيّ حظّ أو حريّة، حتّى في اختيار الطهاة أنفسهم! بل إنّ الطهاة يتخرّجون سنوياً بأعدادٍ كبيرة من مدارس شتّى، وما من ضيرٍ في ذلك، إنّما الكارثة هي حين يشترك الجميع في إعداد «كعكة» لذيذة لشعبهم الطيّب! وكما نعلم، كثيراً ما تفسد «الطبخة» بسبب كثرة «الطبّاخين»! وفوق ذلك كلّه، طهاتنا شرهون، وهم غالباً ما يلتهمون الحلوى كلّها. كلّ يبلغ به التذوّق حدَّ التهام ما ائتمن على تحضيره، فلا يبقي شيئاً لسواه! وإنْ أبقَ على هذا القليل وذاك الأقلّ، فإنّما نقع على قالب مختلط النّكهات والطعوم فيؤدّي بمن تمكّن من انتزاع لقمته منه إلى الهلاك، ليلحق بإخوانه، الذين لم يحصلوا أصلاً على شيء من الحلوى المُسمّمة، فماتوا جوعاً، وماتوا جميعاً...

ويقف المواطن اللبنانيّ حائراً: هو يريد أن يتنفّس كما يحلو له- من أنفه أو من فمه؛ فكلّها وسائل مشروعة. وهو يرى في كلّ يوم دعوات جديدة- من عالم الديموقراطيّة الخياليّة- تقول بأنّ التنفّس الحقيقيّ هو من الأنف والفم وسائر الوسائل. وهذا ما لا يحلو كثيراً له! ثمّ تأتي دعوات قادته لتخرجه عن صبره، فهي تتركّز على إقناعه بإمكانيّة بل ضرورة التنفّس من الأذن فقط- أو غير ذلك ممّا لا يعقل- بل وتجترئ على أن تسمّيه متنفّساً!!...

نعم، إن كانت هذه حاله، فلا غرابة في أن يتمنّى «الكعكة» الفرنسيّة أو غيرها... فالمهمّ عنده اليوم، بعد كلّ ما يعانيه، قبل أن يفكّر في حريّة اختيار نوع الحلوى، هو أن يأكل من أيّ نوع وأيّاً كان الطاهي، قبل أن يموت جوعاً!...

غير أنّ الإسلام يختلف عن المسيحيّة بأنّه يؤمن بالمسيح بطبيعته البشريّة حصراً، وأنّه مُرسل من عند الله تعالى؛ ويقيس خلق المسيح المعجز بلا أب، بخلق آدم المعجز أيضاً بلا أب ولا أم. كما يؤمن الإسلام بأنّ الله لم يمكّن اليهود من قتله إذ إنّ الله رفعه إليه، وأنّه في السماء حيّ.

وإذا كان المسيح بنظرنا كمسلمين لم يقتل ولم يصلب وأنّه إلى الآن قائم حيّاً في السماء، فإنّنا نؤمن بعودته إلى الدنيا إيماناً راسخاً، حتّى أنّ بعض أصحاب رسول الله محمّد كانوا يتواصون فيما بينهم بهذا الأمر؛ فقد روي أنّ أبا هريرة كان يأتي بالكتاب فيقول للمعلّم مر غلمانك فلينصتوا وليفقهوا ما أقول لهم، فيقول يا معشر الغلمان أيّكم أدرك عيسى بن مريم فإنّه شاب أحمر حسن الوجه فليقرأ عليه منّي السلام. وقد روي عن ابن عبّاس أنّه قال لا تقوم الساعة حتّى ينزل عيسى بن مريم على ذروة أفيق بيده حربة بقتل الدجّال. كما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله «كيف تهلك أمّة أنا أوّلها وعيسى بن مريم آخرها».

وقد تحدّث الرسول محمّد عن عودته ومحاربته للمسيح الدجّال في أحاديث كثيرة؛ وقد جاء في بعض هذه الأحاديث إنّ المسيح الدجّال يخرج من خلّة بين الشام والعراق، وأنّه يلبث أربعين يوماً يوماً كسنة وبوماً كشهر ويوماً كجمعة وسائر أيّامه كأيّامكم وأنّ سرعته في الأرض كالغيث استدبرته الريح وأنّه يأتي على القوم فيدعو عليهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ثمّ يأتي القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء ثمّ يمرّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كأنّها يعاسيب النحل ثمّ يدعو شابّاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزئتين ثمّ يدعوه فيقبل فيتهلّل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله عيسى بن مريم ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين واضعاً كفّيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ ولا يحلّ لكافر يجد ريح نفسه إلاّ مات فيطلب المسيح عليه السلام المسيح الدجّال فيدركه عند باب اللد فيقتله. فإذا أقبل عيسى تضع الحرب أوزارها وكان السلم فيلقى الرجل الأسد فلا يهيجه ويأخذ الحيّة فلا تضرّه وتنبت الأرض كنباتها على عدد آدم ويؤمن به أهل الأرض ويكون الناس أهل ملّة واحدة. أي سيؤمن المسلم والمسيحيّ بالمسيح عليه السلام: فأمّا المسلم فلأنّه ينتظر قدومه كما أشرنا، وأمّا المسيحيّ فلأنّه يعرف بأنّه المسيح الحقّ، وهذا مصداقاً لقوله تعالى في القرآن الكريم: «وإنّ من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به قبل موته». قال الحسن البصري لا يموت أحدهم حتّى يؤمن بعيسى بن مريم، وأنّ عيسى بن مريم يؤمن به أهل الأرض جميعاً حتّى يكونوا ملّة واحدة، وإن شئتم فاقرؤوا هذه الآية، فقرأ: «وإنّ من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به» يعني عيسى بن مريم قبل موته يعني قبل موت عيسى بن مريم.

وفي رواية أخرى بأنّ الدجّال يأتي والبقيّة من المسلمين ببيت المقدّس يخرج الدجّال حتّى يحاصرهم وإمامُ المسلمين يومئذ رجل صالح فيقال له صلّ الصبح فإذا كبّر ودخل في الصلاة نزل عيسى بن مريم، قال فإذا رآه ذلك الرجل عرفه فيرجع يمشي القهقرى ليتقدّم عيسى فيضع يده بين كتفيه ثمّ يقول صلّ فإنّما أقيمت الصلاة لك فيصلّي عيسى وراءه، فيقول افتحوا الباب فيفتحوه، ومع الدجّال يومئذ سبعون ألف يهوديّ كلّهم ذوو سلاح وسيف محلّى، فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص في النار وكما يذوب الملح في الماء، ثمّ يخرج هارباً فيقول عيسى إنّ لي فيك ضربة لن تفوتني بها فيدركه عند باب اللد فيقتله فلا يبقى شيء ممّا خلق الله عزّ وجلّ يتوارى به يهوديّ إلاّ أنطق الله عزّ وجلّ ذلك الشيء لا شجرة ولا حجر ولا دابّة إلاّ قال يا عبد الله بن المسلم هذا يهوديّ فاقتله إلاّ الغرقدة فإنّها من شجرهم.

وتذكر الأحاديث بأنّ المسيح يمكث في الأرض أربعين سنة ثمّ يموت بعد أن يبعث الله ريحاً طيّبة تأخذ أرواح المؤمنين. وأمّا المكان الذي يدفن فيه المسيح، فقد ذكرت بعض الأحاديث المرويّة عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: قلت يا رسول الله إنّي أرى أن أعيش من بعدك فتأذن لي أن أدفن إلى جنبك، فقال وأنّى لي بذلك الموضع ما فيه إلاّ موضع قبري وقبر أبي بكر وقبر عمر وقبر عيسى بن مريم. وقد ذكر بأنّ موضع قبر رسول الله لم يبق فيه إلاّ موضع قبر واحد.

وأختم كلمتي بأنّ المسلمين إذ يؤمنون بعودة سيّدنا المسيح يؤمنون إيماناً راسخاً بأنّ المعركة القادمة هي مع دجّال اليهود الذي ينتظرونه والذي يترقّبون ظهوره، وقد قال كبير حاخاماتهم مؤخّراً بأنّ الحرب ضدّ العراق ستعجّل في ظهور المسيح والذي نعتقد نحن بأنّه دجّال، وأنّ هذه الحرب ستمهّد الطريق لبناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى. لذلك، فإنّ حرب المسلمين لن تكون إلاّ مع اليهود الذين أخبرنا عنهم رسول الله صلّى الله عليهم وسلّم بأنّه لن يبقى ممّا خلق الله عزّ وجلّ يتوارى به يهوديّ إلاّ أنطق الله عزّ وجلّ ذلك الشيء لا شجرة ولا حجر ولا دابّة إلاّ قال يا عبد الله هذا يهوديّ فاقتله؛ وإنّنا كمسلمين نعتقد أيضاً بأنّ المسيح بن مريم سيؤمن به المسلمون والمسيحيّون على السواء وسيصبحون أمّة وملّة واحدة.

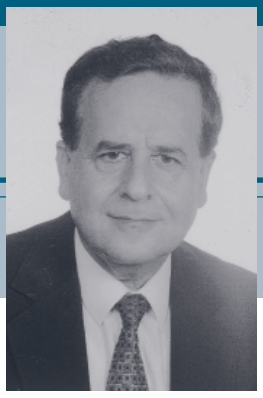

د . عصام الحوراني

الصاعد إلى سعير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون».

هذه الأسماء أطلقها كتبة الكتاب المقدّس على جبل حرمون الذي تغنّوا به في أكثر من موقع، وهناك بعض الاشارات الأخرى التي تدلّ على أنّهم سمّوا أحياناً الجبل باسم (كبرياء الأردن)، نظراً لأنّه كان مصدر نبع نهر الأردن المقدّس، فقد جاء في إرميا ١٢/٥: «**إنْ جريت مع المشاة فأتعبوك فكيف تباري الخيل، وإنْ كنت منبطحاً في أرض السلام فكيف تعمل في كبرياء الأردن**». وجاء في زكريّا ١١/ ١-٣: «**افتح أبوابك يا لبنان فتأكل النار أرزك، ولولْ يا سَرْوُ فإنّ الأرزَ سقط، لأنّ الأعزّاء قد خربوا. ولولْ يا بلّوط باشان (حوران)، لأنّ الوعر المنيع قد هبط. صوت ولولة الرعاة، لأنّ فخرهم خرب. صوت زمجرة الأشبال، لأنّ كبرياء الأردن خربت**». من سفوح هذا الجبل تخرج الأنهر، التي كانت حلم الناس في تلك الفيافي الحارّة، وشوقهم الكبير، فإذا بالنبي إرميا يقول: «**هل يخرج صخر حقلي من ثلج لبنان، أو هل تنشف المياه المتفجّرة الباردة الجارية**». /إرميا١٨/١٤.

من كانوا سكّان حرمون الأقدمين؟ بحسب الفكر الماورائيّ والدينيّ، فإنّ أبناء شيت بن آدم سكنوا الجبل المقدّس (حرمون)، ويقول اليعقوبي في تاريخه: «...حضرت وفاة شيت أتاه بنوه وبنو بنيه، وهم يومئذ أنوش وقينان ومهلائيل ويارد وأخنوخ ونساؤهم وأبناؤهم، فصلّى عليهم ودعا لهم بالبركة وتقدّم إليهم وحلّفهم بدم هابيل ألاّ يهبط أحد منهم من هذا الجبل المقدّس، والاّ يتركوا أحداً من أولادهم يهبط منه ولا يختلطوا بأولاد قابيل الملعون، وأوصى إلى أنوش ابنه وأمره أن يحتفظ بجسد آدم وأن يتّقي الله[٨]. ولقد ذكر المؤرّخ اليهوديّ يوسيفوس (فلافيوس) (٣٧-١٠٠م) أنّ شيت كان ابناً باراً تربّى إلى جانب والده على الفضيلة، وسار أبناؤه على خطاه، وكانوا يعملون في التنجيم، وقد سجّلوا معارفهم على حجر كان ما زال قائماً حتى عصر المؤرّخ كما يذكر. ويردف يوسيفوس بأنّ الملائكة تزوّجوا من بنات من سلالة شيت وأنجبوا سلالة شريرة، كما جاء في سفر التكوين ٦/٢-٤: «... رأى بنو الله بنات الناس أنهنّ حسنات فاتخذوا لهم نساء من جميع من اختاروا... وولدن لهم أولاداً أولئك هم الجبابرة المذكورون منذ الدهر». نذكر هنا، وفي هذا السياق، بأنّه يوجد قرب بلدة حاصبيا على سفوح حرمون مقام باسم (النبي شيت).

أمّا بالنسبة إلى المؤرّخين، فيذكر عدد منهم بأنّ الحويين (Hivites) هم أقدم الشعوب التي سكنت حرمون. ولفظة (حوي) عبرانيّة الأصل تعني القرية أو المخيّم، من مثل (الخواء) بالعربيّة، وكما يقول فيليب حتّي: إنّ الحويين هم أنفسهم الشعب الحوريّ (Horites)، ومنها (خورو) وقد تكون تحريف لكلمة (حوري). ويشكّل الحويّون مع الساميين والحثيين والميتافيين وغيرهم شعب الهكسوس الذين احتلّوا مصر (١٦٥٠-١٥٦٠ ق.م)، وربّما جاء العبرانيّون إلى مصر في ذلك الزمن[٩]. ورد ذكر الحويين في التوراة على أنّم كانوا من أجناس كنعان أو من حلفائهم[١٠]. وإثر سقوط أريحا على يد يشوع بن نون، اضطرب الحويّون فأسرعوا يطلبون العهد، مدّعين أنّهم قادمون من أرض بعيدة، فدعاهم يشوع «وكلمهم قائلاً لماذا خدعتمونا قائلين نحن بعيدون عنكم جداً وأنتم ساكنون في وسطنا» يشوع ٩/٢. ذاقت تلك المنطقة عذابات، وغزوا من قبل (بنهدد) وغيره، وكان النبي أشعيا قد تنبّأ لأهل هذه المنطقة بأنّ غضب الله سيزول عنهم، وسيبصرون نوراً عظيماً، يشرق على أرضهم: «**يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد**» أشعيا ٩/ ١-٧، وقد تحقّقت هذه النبوّة مع مجيء السيّد المسيح، الذي عاش وتنقل في تلك الربوع المجاورة للجبل وعلى سفوحه. نذكر أنّ السيّد أشار إلى هذا الجبل يوم كان في قيصريّة فيليبّس (بلدة بانياس الحاليّة الواقعة على سفح حرمون)، فقال مخاطباً القوم: «...**فالحقّ أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم**». متّى ١٧/٢٠. وانتقل السيّد المسيح من هناك إلى جبل عال. وتبيّن القرائنُ أنّ الجبل العالي الذي تجلّى عليه المسيح كان جبل حرمون[١١]. وجاء في (قاموس الكتاب المقدّس): «إنّ حرمون لم يذكر في العهد الجديد، والأرجح أنّه هو الجبل الذي تجلّى عليه المسيح كما جاء في إنجيل متّى ١٧، ومرقص ٩، ولوقا ٢٨/٩، فهذا الجبل تتجمّع على قمّته السحب التي تتبدّد

حرمون الشاعر والتاريخ

(حرمون)، لفظة ترقى إلى جذر سام، وتعني المنعة، والمكان الذي يحرّم انتهاكه نظراً لقدسيّته، فهو الجبل المقدّس، الذي يشكّل الشطر الجنوبيّ من سلسلة جبال لبنان الشرقيّة، يرتفع منذ فجر التكوين، مشرئبّاً، راوياً قصّة الأزمنة وحكايات الآلهة القديمة. يعلو عن سطح البحر ٢٨٦٢م، لتنحدر سفوحه الشرقيّة نحو نجد حوران، المعروف في الزمن الكلاسيكيّ باسم أورانيتس (AURANITIS)، وعرف في التوراة باسم (باشان). تنحدر سفوحه الجنوبيّة الغربيّة بتكسّر، وتتميّز بمسالكها الصعبة، التي ربّما حملت القائد يشوع بن نون على التوقّف عند حدود هذا الجبل المهيب، الجاثم كالطود العظيم، متوّجاً بالشمسّ مع كلّ صباح[١]. وكما جاء في التوراة (يشوع ٥/١٣): **«وأرض الجبليين وجميع لبنان جهة مشرق الشمس، من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة»**. يمتدّ جبل حرمون مسافة ٤٨ كلم من الشمال الشرقيّ إلى الجنوب الغربيّ، وتعلوه ثلاث قمم، فيه آثار كنعانيّة قديمة وبقايا هيكل للإله بعل. يذكر جورج بوست في (قاموس الكتاب المقدّس) بأنّ المشاهد الموجود على إحدى هذه القمم يستطيع أن يرى «صور، وصيدا، وبحر الروم، وجبل الكرمل، وجرزيم، والتلال التي حول أورشليم، والبحر الميت، وجلعاد، ووادي الأردن، وجنيسارت، ودمشق، ولبنان»[٢]. ينبع من سفوح هذا الجبل نهرا الوزّاني والحاصباني، اللذان يتشكّل منهما نهر الأردن، وذلك بعد أن يمرّا في بحيرتي الحولة وطبريا المشهورة.

أطلق على هذا الجبل أسماء كثيرة، وردت في الكتاب المقدّس، وهي: (آمانة) وتعني هذه اللفظة: الدائم أو الثابت، جاء ذكره في (نشيد الإنشاد) ٨/٤: **«هلمّي معي من لبنان يا عروس، معي من لبنان، أنظري من رأس آمانة من رأس شنّير وحرمون، من خدور الأسود، من جبال النمور»**. وأيضا سمّوه: سريون، وهي لفظة كنعانيّة معناها: الدرع، وتعني أيضاً (المتلألىء)، وقد جاء في سفر (التثنية)٩/٣: **«والصيدونيّون يدعون حرمون سريون، والأموريّون يدعونه سنّير»**. وجاء في المزمور ٥/٢٩-٦: **«صوت الربّ مكسّر الأرز، ويكسر الربّ أرز لبنان. ويمرحها مثل عجل. لبنان وسريون مثل فَرير البقر الوحشيّ»**. وجاء في ملحمة البعل الأوغاريتيّة: **«جاء الحطّابون أرز لبنان- واتجهوا نحو سريون- الأرز أجودُه في لبنان، أجملُه في سريون»**[٣]. ويرى فيليب حتّي أنّ اسم سوريا مشتقّ من سريون، وأطلق على البلاد المجاورة من باب تسمية الكلّ باسم الجزء[٤]. وسمّي هذا الجبل (سنّير أو شنير) وهي لفظة أموريّة، ربّما تعني: (السَنا أو النور)، وقد جاء في سفر التثنية كما أشرنا: «.... والأموريّون يدعونه سنّير». بيد أنّنا نرى أنّ سنّير وحرمون يذكران كجبلين مختلفين، وربّما أرادوا بسنّير قسماً من جبل حرمون، كما يقول حتّي[٥]. وكما ورد في (أخبار الأيّام الأولى) ٢٣/٥: **«وبنو نصف سبط منسّى سكنوا في الأرض وامتدوا من باشان إلى بعل حرمون وسنّير وجبل حرمون»**. وبعل حرمون اليوم هي بلدة حاصبيا، وكما جاء في (معجم البلدان): ... سنّير وجبل حرمون اسمان لقمّتين من قمم هذا الجبل، وعرفه أيضاً جغرافيّو العرب بهذا الاسم[٦]. كذلك فقد ورد ذكره في (التثنية) ٤٨/٤ باسم (سيئون): **«من عروعير التي على حافّة وادي أرنون إلى جبل سيئون الذي هو حرمون»**. وهذه اللفظة عبرانيّة الأصل وتعني (قمّة)، فربّما أطلق هذا الاسم على إحدى تلال حرمون العالية في الجنوب، والمشرفة على أرض العبرانيين يومذاك.

أمّا (لبنان) فقد أطلق كتبة العهد القديم اسمه على جبل حرمون في أكثر من موضع. كان الطود الشامخ أمامهم، يشاهدونه منذ الصباح مع طلوع الشمس: **«إلى جبل حرمون وكلّ العربة نحو الشروق... نحو شروق الشمس من وادي أرنون»** يشوع ١/١٢. كان حرمون يتعالى بقممه بالنسبة إليهم من جهة مطلع نور الحياة، كان الجبل صاحب القدسيّة الخاصّة، فحيثما توجّهوا في مدنهم يرونه واقفاً محدّقاً: **«أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق»** /نشيد الإنشاد ٤/٧. وما لبنان هذا سوى جبل حرمون المنتصب بمهابة وجلال، فنقرأ مع الأب هنري لامنس اليسوعي: «وممّا يستفاد من الكتاب الكريم أنّ لبنان جبل شاهق فخيم في شمال نهر الليطاني، يحد أرض الميعاد من تلك الجهة... وما لا ريب فيه أنّ كتبة العهد القديم إذا ما ذكروا لبنان وأرادوا به الجبل الموازي له إنّما مرادهم فقط القسم الجنوبيّ من هذا الجبل المعروف اليوم باسم جبل الشيخ وذكره كثير في التوراة»[٧]. ونقرأ في سفر يشوع ١٧/١١: **«من الجبل الأقرع**

الترجمة والعولمة

د .أنطوان ي. صفير

مقدّمة

كان من الطبيعيّ أصلاً أن يُدرج قسم الترجمة والترادوكتولوجيّا موصولاً على المستوى الجامعيّ بدائرة تدريس اللغات الأجنبيّة الحيّة: الإنكليزيّة والفرنسيّة والإلمانيّة والإيطاليّة والإسبانيّة، ولمَ لا مستقبلاً الروسيّة واليابانيّة والصينيّة، في حين تفرّدت جامعة سيّدة اللويزة بين الجامعات بإعادة الاعتبار إلى اللغة اللاتينيّة وتدريسها تأكيداً على عبقريّتها الفذّة في تكوين اللغات وصقل الفكر وإثراء الثقافات.[1]

فمن البديهيّات والمسلّمات أن تحمل الجامعات في لبنان هذا الهمّ وتضطلع بمسؤوليّاته، بالنظر لرسالة لبنان في العالم من حيث فرادته الثقافيّة خصوصاً على مطلّ الألفيّة الثالثة وما تتمخّض به البشريّة من مفاهيم التعدّديّة والعولمة والمسكونيّة، في ظلّ ما بات يُعرف بحوار أو صراع الثقافات والحضارات.

ولا يُخفى أنّ امتلاك ناصية اللغات والتمرّس بأصول وتقنيّات الترجمة والنقل من وإلى هذه اللغات، يُضفي على لبنان، إلى جانب الفوائد المهنيّة المتنامية، وعلى ملتقى روافد الثقافتين الغربيّة والشرقيّة، فرادةً ثقافيّة وحضاريّة، عنيتُ بها التعدّديّة اللغويّة Plurilinguisme الآيلة حتماً إلى التعدّديّة الثقافيّة Pluriculturalisme، فالتعدّديّة الحضاريّة التي من المؤمّل أن تصبَّ روافدها في خدمة حضارة إنسانيّة شاملة.

مثل هذه الورشة معقودةٌ ناصيتها على قلّة من الجامعات في لبنان تولي هذا الشأن الخطير جلَّ اهتمامها ورعايتها، لا لأمرٍ سوى لأنّها تتحرّك من ضمن ثوابت التاريخ والجغرافيا والواقع الثقافيّ العام، وتستشرف فوق ذلك مجالات الخدمة الوطنيّة في الآتيات من السنين على صُعُد الثقافة والسياسة والاقتصاد.

استراتجيّات الترجمة والنقل ومفهوم الثنائيّة

نودُّ بادئ ذي بدء، وفي عصر التحوّلات الكبرى، إلقاء بعض الأضواء الجديدة على استراتجيّات الترجمة لدى النقلة والمترجمين مضافةً إلى أنوار مساهمتهم المعرفيّة والمعرفيّة- العمليّة، كما نودّ التركيز على منظور الثنائيّة الثقافيّة التي تمدُّ المترجم بطاقة مميّزة في التوليف والتصويب داخل المجرى التفاعليّ في عمليّة التبادل بين لغتين وثقافتين.

إنّ نصّاً مرشّحاً للنقل والترجمة، يَفترضُ، ما بين نقطة الانطلاق ونقطة الوصول، وجودَ مُشغِّلٍ وسيط يَعملُ كجهاز لاقط أوّل من جهة وكهاتف مرسِل من جهة ثانية، كلّ ذلك في عمليّة جهد واحد مزدوج الاتّجاه، كونُه في آن كينونةً واحدةً أحداً مزدوجة التحرّك، إذ هي في الوقت نفسه ذاتها وهي أيضاً آخر.

كم من المنكبّين على أعمال النقل والترجمة، اختصاصاً وتدريساً ومهنةً، هم واعون مدركون لوجود هذا الشخص الثالث إبّان تصدّيهم ومواجهتهم لنصٍّ أجنبيّ مرصودٍ على مشرحة النقل. هنا، وفي هذه اللحظة، تبدو مهمّةُ المترجِم، ومن ثمّ مسؤوليّتُه مهمّةً شائكة وخطيرة، إذ بات عليه البقاء متأهّباً لالتقاط خاصيّات التطوّر في اللغات والأذواق والعلوم والتكنولوجيّات، هذه التي ترمي في دربك كلّ يوم ألفاظاً وتعابير ومصطلحات لا عهدَ لك بها سابقاً. من هنا لزوميّة اتقان معرفة نقل النصوص العلميّة والقانونيّة، الأدبيّة الفلسفيّة واللاهوتيّة، بالاعتماد على أصول ومنهجيّة الترجمة التي هي في منظورنا مثلّثة الهويّة: **فالترجمة هي علمٌ وفنٌّ وتقنيّة**. أمّا ورشة الترجمة، وقد سفحنا في الجهد عشرات السنين في ولوج شائك شعابها ومشاكلها والتنقّل في أدغالها درساً وتنقيباً ومعاناة عمل، فإنّها في المفهوم الحديث يجب أن ترمي إلى تنشئة جيلٍ من المترجمين المسلّحين بمهارة تقنيّة ومعرفيّة تمكّنهم من مجابهة مختلف الوضعيّات الترجماتيّة، لا أن يكونوا بالضرورة خزّانات معلومات أو جمهرة من الموسوعات الأنسيكلوبديّة المتجوّلة.

(١) راجع: دراسة في عبقريّة اللغة اللاتينيّة- أنطوان ي. صفير- مجلّة Spirit- العددان ٢٥ إصدار ٢٠٠٢ و٢٧ إصدار ٢٠٠٣.

بسرعة»، «وقد تكون الغيوم في مكان دون آخر، فتشاهد في مكان بينما يكون سواه خالياً منها بالكليّة. وهذا ما يذكّرنا بالسحابة التي ظلّلت الرسل... وهناك عدّة أماكن منفردة في جوانب الجبل تناسب مظهر التجلّي، وتنطبق على الأوصاف المقارنة لهذه الحادثة ممّا يرجّح القول إنّ حرمون هو الجبل الذي وقع عليه التجلّي بخلاف تابور كما يؤخذ من التقليد الرهبانيّ». ويقول الرسول بولس في رسالته الثانية ١٨/١ «**ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من إذ كنّا معه في الجبل المقدس**». وأيضاً قد يكون الجبل الذي جرّب فيه السيّد هو حرمون كما جاء في إنجيل لوقا ٥/٤. وأعمال كثيرة صنعها السيّد المسيح على سفوح حرمون.

حرمون، هو الجبل المهيب، الجميل، الملهم، المنتصب أمام الناظرين في تلك الفيافي والقفار والصحارى، فأكثروا في وصف جماله وهيبته ونداه الذي يتصاعد من أعطافه، وإذا بصاحب المزامير يتغنّى به: «**مثل ندى حرمون كالندى النازل على جبال صهيون. إنّه هناك أوصى الربّ بالبركة والحياة الى الأبد**» ٣/١٣٢. ونسمع المزمور ٢/٤١-٦ يناجي صاحبه الربّ قائلاً: «**كما يشتاق الأيّل إلى مجاري المياه كذلك تشتاق نفسي إليك يا الله... والهي تكتئب نفسي فيّ، لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مصعر**». ويرنّم حرمون لاسم الربّ: «**أنت خلقت الشمال والجنوب، لاسمك يرنّم تابور وحرمون**» ١٣/٨٩. كذلك تغنّى الملك سليمان بحرمون/لبنان «**خدور الأسود وجبال النمور**»، فلقد تعالى حرمون أمام الملك بطلعته البهيّة، وينابيعه المتدفّقة، وسيوله، وحلاواته، وإذا هو الحبيبة الهيفاء: «**أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق... ينبوع جنّات بئر مياه حيّة وسيول من لبنان... طلعته كلبنان، فتى كالأرز حلقه حلاوة وكلّه مشتهيات، هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم**». (نشيد الانشاد ٤/٧، ١٥/٤، ١٥/٥). ويرجّح الباحثون أن يكون مصدر خشب الأرز الذي استعان به الملك سليمان في بناء الهيكل في أورشليم كان من حرمون بالذات، الذي كان يحوي غابات من الأرز، ويقول حتّي: «أمّا صيدا وصور فإنّ مصدر أخشابها كانت غابات الأرز والشربين في سفوح جبل الشيخ (حرمون).[١٢]

سمّي (حرمون) لدى العرب: (الجبل الشيخ)، واسمه بالآراميّة: (طور ثلجا)، وعرفه جغرافيّو العرب باسم جبل الثلج. ويرجّح أن أقدّم ذكر له جاء في بيت من الشعر لحسّان بن ثابت:

ملكاً من جبل الثلج إلى
جانبي أيلة من عبد وحُرّ

وقال البحتري:

وتعمّدت أن تظلّ ركابي
بين لبنان طلعا والسنير

المراجع:

(١) جورج بوست، قاموس الكتاب المقدّس، ص ٢٦٧
(٢) المرجع نفسه
(٣) أنيس فريحة، ملاحم وأساطير، ص ١٣١
(٤) فيليب حتّي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١، ص٦٢
(٥) المرجع نفسه
(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط ويستنفلد، مج٣، ليبسك ١٨٦٨، ص ٦٢
(٧) هنري لامنس، تسريح الأبصار... ، مج٢، ص٥/٤
(٨) أحمد اليعقوبي، التاريخ، منشورات بريل، ١٨٨٣. ويراجع أيضا:
يوسف الحوراني، المجهول والمهمل، دار الحداثة، بيروت ١٩٩٩
(٩) المنجد في الأعلام
(١٠) التوراة، سفر التكوين ١٧/١٠، خروج١٧/٣، يشوع ١/٩
(١١) غسّان خلف، لبنان في الكتاب المقدّس، ص ٢٧٤
(١٢) فيليب حتّي، تاريخ لبنان، ص ١٣٦

الحرص، وإن كانت له مبرّراته الجوهريّة، يبدو مع انفلاش العولمة وإسقاطاتها، وكأنّه من التحجّرات السلفيّة وسط ما يداهم اللغات والثقافات من تحوّلات وتداخلات.

في هذا المستوى تطرح مشكلة الشموليّات التعبيريّة «Les universaux»، وربَّ سائل: ألا يمكن أن يكون هناك في اللغة عولمةٌ في التعبير سابقةً للعولمة في معناها المتعارف عليه حتّى اليوم؟

يؤكّد ج. مونان G. Mounin وجود ما يسمّيه «منطقة المصطلحات البيئيّة العامّة»[٤]: البرد، الحرّ، المطر، الريح، السماء، الأرض والتقسيمات الزمنيّة: الليل، النهار، السنة القمريّة، السنة الشمسيّة. ثمّ يضيف إليها المصطلحات العامّة في البيولوجيا متبنيّاً رأي مارتينيه Martinet القائل: «حيث أنّ عامّة البشر يسكنون ذات الكوكب وتجمع بينهم صفتهم البشريّة، فلا مندوحة أن يسير تطوّر اللغات في موازاة بعضها البعض بحيث تتأثّر معاني الكلمات ومدلولاتها بالشحنة الثقافيّة كما وبأنماط المعيشة والعادات والتقاليد، ناهيك عن تطعُّم اللغة بمفردات ومصطلحات أجنبيّة منحولة. خلال إقامتي في موريتانيا ضمن البعثة الثقافيّة الفرنسيّة، اكتشفتُ ألفاظاً منحولة عن الفرنسيّة دخلت اللغة الحسّانية المحكيّة مثل فعل «تتيّا- يتتيّا» المشتقّ من كلمة Thé الفرنسيّة بمعنى احتسى الشاي. كذلك في مقاطعة كيبيك الفرنسيّة بكندا المتأثّرة بهيمنة الثقافة الأنكلوفونيّة يستعملون لفظة patronage بمعنى favoritisme (محسوبيّة)، ولفظة appointement بدل لفظة rendez-vous (موعد). على هذا نرى كيف أنّه داخل وضعيّة وحدانيّة لغة ما unilangue، يتأثّر استعمال المفردات ومعانيها بالثقافة السائدة.

وفي الخلاصة، إن كان لنا أن نستنتج من كلّ ذلك شيئاً ما فهو هذا: إنّ الحضارات، ومن خلال تنوّع الثقافات، وهذه بدورها من خلال تنوّع اللغات، كلُّها تتقاطع في نسيجٍ جامعٍ، لحمته وسداه **نزوعٌ عند الشعوب وتوقٌ إلى ما يجمع لا إلى ما يفرّق**.

أليستْ نزعة الإنسانويّة الجديدة New humanism هي الواجبةُ التجلّي اليوم في عصر العولمة المحموم. ويبقى السؤالُ الجلل في هذا النطاق: أليستْ وظيفة الترجمة ودورها الرائد في عالم اليوم هما في العمل على تقريب الناس من بعضهم والتوليف بينهم عن طريق السماح لهم بالمشاركة ومن ثمَّ تقاسم تراثٍ إنسانيّ جامع مشترك؟

(٤) G. Mounin: Les problèmes théoriques de la traduction, Gallimard- Paris p. 197.

والسؤال المطروح بدايةً: هل الترجمةُ هي أداة تسطيح وتوحيد وقولبة ثقافيّة أحادية النموذج، أم تكون الترجمة دليلاً على الاختلافيّة الثقافيّة؟

«العولمة هي الترجمة»، La mondialisation c est la traduction، عبارةٌ تتردّد اليوم في الغرب على منابر الجامعات وفي المنتديات الفكريّة. حين نقل إليّ بعضهم هذا القول أجبته: ولمَ لا يكون العكس هو الصحيح؟ فنقول: الترجمة هي العولمة. في المعطى الأوّل قد تغدو الترجمة أداةً لنقل أحاديّة ثقافة الآخر الحصريّة، كما يعمل له آباء العولمة في الغرب. وفي المعطى الثاني تكون الترجمة قناةً لنقل ثقافات الآخرين على أنواعها. عن المعطى الأوّل يتولّد في أحسن الحالات صراع الثقافات فالحضارات، وعن المعطى الثاني يتولّد حكماً حوار الثقافات والحضارات.

يقول كلود ليفي ستروَس، وكأنّه تنبّوء سابق بمجيء العولمة: «الإنسانيّة تستقرّ في الثقافة الوحدانيّة؛ فهي تتهيّأ لإنتاج الحضارة بالجملة، تماماً [كإنتاج] الشمندر. ولا تتضمّن لائحتها اليوميّة سوى هذه الوجبة».

"L'humanité s'installe dans la monoculture. Elle s'apprête à produire la civilisation en masse comme la betterave. Son ordinaire ne comporte que ce plat". Claude Lévy Strauss.

في مطلع الألفيّة الثالثة المشحون بعوامل العولمة وتداعياتها يجدر بنا النظرُ بما ستؤول إليه ظاهرة التثاقف Acculturation، التي حفل بها الربع الأخير من القرن الماضي، ولم تأتِ أُكُلَها حتّى داهمها طوفان العولمة في شبه إعصار مزلزل. في هذا الحيّز ليس من المبكر جداً- وقبل أن تستشريَ حمّى هذه الظاهرة سلباً أو إيجاباً- أن تُبحَثَ تداعيات العولمة على خريطة الثقافات وأن يُحدَّد دورُ النقل والترجمة في هذه المعمعة.

هل تكون الترجمة في الآتيات من السنين أداةً للتسطيح أو التجريف وطمس الفرادات والخصوصيّات لحساب العولمة، أم إنّها على العكس ستكمّلُ من حيث وصلت مسيرة التثاقف إلى تزكية وإثراء التنوّعيّة الثقافيّة؟

إنّ الإنسان ككائنٍ اجتماعيّ في الأصل، نقول اليوم ككائن اجتماعو- ثقافيّ- اقتصاديّ مفطورٌ على التواصل مع بني جنسه بعبوره الحدود المغروسة حاجزاً بدربه للوصول إلى كنوز الحضارات والثقافات. هذه النزعة الطبيعيّة للخروج من الذات ومن البيئة الفرديّة الخاصّة. هذا الجهد والرهان في الترحلّ الدائم نحو الآخر كان يتمُّ على مرّ العصور عن طريق حركة النقل والترجمة، من عهد سومر وبابل ومصر القديمة وتراجمة الإسكندريّة في عهد البطالسَة، إلى الفرس فاليونان فالرومان فتراجمة الأديرة في العهد الوسيط، إلى العرب وبيت الحكمة أيّام خلافة المأمون.

في هذا المناخ المسكونيّ من إلغاء الحواجز بين الناس، وتقريب المسافات والاتصالات تتجلّى فرادة دور الترجمة في اكتشاف الآخر والتقرّب منه للتحاور فالتواصل فالتفاعل وتبادل منافع كنوز المعرفة والفكر، ومن ثمّ الإقرار والرضى بمبدأ الآخريّة altérité والتنويع الثقافيّ .Différenciation Culturelle من هنا، وتأسيساً على ذلك، يحمل لبنان، بحكم موقعه الجغرافيّ وتراثه الإنسانويّ التاريخيّ، رسالةً فريدةً بين الشعوب في أن يكون المفاعل الترجمانيّ الأوّل في المشرق العربيّ.

على ضوء هذا المنظور تبدو عمليّة الترجمة موصولةً ليس فقط بالعصب الثقافيّ لكلّ ثقافة على حدة، بل وبعنصر التثاقف المتعاظم دوره اليوم، وذلك لأمرين: الأمر الأوّل لزوميّة تثبيت التثاقف كفعلٍ متزامن مع تثبيت العولمة. والأمر الثاني كون التثاقف كفعلٍ ليس في النتيجة مجرّد اتّصال بين فكرين وثقافتين- الثقافة في المطلق ليست سوى أُفهومٍ تجريديّ- إنّما التثاقف يقول بعضهم «هو محصّل مجموعة الظاهرات الناجمة عن الاتصال المباشر والمستمرّ بين مجموعات من أفراد ذوي ثقافات مختلفة يتفاعلون حياتيّاً في ما بينهم»[٢]. في هذه الحال **تكون الترجمة أداةً فضلى بين أدوات العولمة في عمليّة التوحيد الثقافيّ في العالم.**

وما تجدر ملاحظته في هذا السياق، تلك الخطورة المتمثّلة بتداعيات العولمة وتأثيراتها في الحيّز الاقتصاديّ والماليّ على مساحة الكرة الأرضيّة، من دون أن يترافق ذلك مع حركة توحيدٍ لغويّ، وذلك عائدٌ إلى كون اللغة لدى الشعوب الحيّة تمثّل خطّ الدفاع الأخير عن هويّتها الثقافيّة. يقول ناصر الدين الأسد، وزير التربية السابق في المملكة الأردنيّة الهاشميّة: «اللغة هي الهويّة. ومن فقد لغته فقد هويّته»[٣]

وهذا كان موقف دول منظّمة الاتّحاد الأوروبيّ التي ارتضت كلٌّ منها التخلّي عن عملتها الخاصّة لحساب عملة عامّة هي اليورو، ولكن رافق ذلك فوراً موقف متصلّب في ما خصَّ الشأن الثقافيّ، سيّما من قِبل فرنسا حرصاً منها على سلامة وحدة اللغة الفرنسيّة؛ إنّما مثلُ هذا

(٢) American Anthropology N0 38. «Memorandum of the study of Acculturation» R. Redfield, R. Liton et M. j Herskovitz

(٣) تلفاز الجزيرة- برنامج: بلاحدود- مقابلة أجراها د. أحمد منصور- الثلاثاء ٢٠٠٤/٤/٢٧.

الذات الانسانيّة بشكل أكثر صفاء، بعيداً عن الضغوط التي يولّدها الصراع بين القديم والحديث، أو بين المجدّدين الثائرين والمحافظين المتمسّكين بأفكارهم وعاداتهم. لذلك، نجد لدى جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأمين الريحاني انطلاقات متقدّمة جداً في دفع المرأة نحو الوعي الذاتيّ لنفسها. فرواية «الأجنحة المتكسّرة» لجبران نموذج من الثورة الرومنسيّة الحالمة لشخصيّة امرأة تجد الحبّ البريء الى جانب حبيب غير زوجها، تربطه بها مثاليّة طوباويّة لا تتعرّف إلى عناصر الجسد والجنس، فيتكرّس حبّهما في ظلّ فتى الأجيال المصلوب الذي يشهد لبراءة هذه اللقاءات المرفوضة من المجتمع، لأنّها خروج على التقليد الزوجيّ وسيادة الرجل الزوج، وهي طعن بالكرامة الذكوريّة «**في هذا الهيكل المجهول كنت ألتقي سلمى كرامه مرّة في الشهر، فنصرف الساعات الطوال ناظرين إلى الصورتين الغريبتين مفكّرين بفتى الأجيال المصلوب فوق الجلجلة...**»[١]

وأمين الريحاني في كتابه «خالد» يجسّد وجهاً آخر من براءة الحبّ، بعيداً عن العلاقة الجنسيّة. فخالد يعيش مع ابنة عمّه المتزوّجة التي هربت معه، مع طفلها، إلى الصحراء، حالة من الحبّ الصوفي الذي يرسم طريق النبوّة أكثر ممّا يمثّل وجه الأرض. «**هنا توجد الأفراح المتنوّعة للروح المتعبة والقلقة والمضطهدة: فرحة أن يكون معك أعزّ صديق لك ورفيق، وفرحة الاسهام في استعادة صحّة وسعادة المرأة الأعزّ إلى قلبك، وفرحة حبّ يتبرعم جمالاً وغزارة**»[٢]. أمّا في روايته «خارج الحريم» فإنّنا نلحظ دعوة للمرأة المسلمة كي تتحرّر فتدعو نفسها: «ابنة الثورة» وكما يقول الريحاني: «**لكي تناضل من أجل أن تقاوم كفر الرجل وطغيانه في الشرق والغرب معاً حتى تولد روح العالم الجديد**»[٣]

أمّا زمن التوهّج الروائيّ الذي برزت فيه الرواية اللبنانيّة في اتّساع عطائها وتشعّبها، وتنوّع موضوعاتها، وعديد الروائيين والروائيّات، فقد امتدّت حدوده الزمنيّة ما بين نهاية الحرب العالميّة الثانية و مطلع السبعينات، إذ بلغ في هذه الفترة آفاقاً واسعة جداً.

لقد شهدت هذه الفترة أعمالاً روائيّة ناشطة على أيدي أدباء وأديبات، وكانت شخصيّة المرأة البطلة هي العصب الرئيس فيها، فنكاد لا نقع على رواية، مهما كان موضوعها، إلاّ ونجد قضيّة المرأة عنصراً بارزاً فيها. ويضيق المجال هنا لبحث واسع للأسباب التي دفعت المرأة إلى هذه الحركة، لكن لا بدّ من ذكر عناصر متعدّدة أسهمت إلى حدّ بعيد في هذه الطروحات المتحرّرة إلى حدّ الثورة.

فمن العوامل الأساسيّة الفاعلة في حركيّة التفاعل الاجتماعيّ واضطرابه وقلقه، انفتاح القرية المحافظة بعاداتها وتقاليدها على المدينة الآخذة بعناصر التحرّر، ممّا أدّى إلى حالة من التفكّك تهتزّ بقوّة تحت وطأة جواء حريّة شاملة، في التعليم، والصحافة، والتواصل، والاختلاط، والحوارات الساخنة والباردة، والندوات، ونشاط المطابع ودور النشر والانفلاش السياحيّ. يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي: «**وأصبح للمرأة دور كبير في هذه الروايات لا يقلّ في أحيان كثيرة عن دور الرجل، كما أصبح للثقافة والتعليم أهميّتهما في شخوص هذه الروايات النسويّة منها والرجّاليّة... وقيل كذلك في روايات هذه المرحلة إنّها ثمرة من ثمرات امتزاج الفكرين الشرقيّ بالغربيّ الأوروبيّ، وانفتاح هذين الأفقين، وتفاعلهما شتّى أنواع التفاعل، تفاعل الغزو، تفاعل السيطرة، تفاعل الاتّجار، تفاعل الدين، تفاعل الثقافة، تفاعل الرحلات، تفاعل الصداقة.. إلى غير ذلك من أنواع الصلات المتعدّدة**»[٤]

لقد خاضت المرأة الروائيّة في هذه المرحلة معركتها بنفسها إلى جانب الرجل، حتى أنّها فاقته كمّاً ونوعاً في هذا المجال، فكانت الرواية أفقاً رحباً لكي تتفلّت فيه البطلة المتحرّرة من الانضباط في المعايير التقليديّة لأخلاقيّات المجتمع المحافظ، والانخراط القسريّ في لعبة الحياة الرتيبة. فالتحرّر يعني الانطلاق بعيداً خارج القدسيّات الجامدة، خارج العبوديّة في وجهيها: الأوّل، سلطة الأب والثاني، سلطة الزوج، يضاف إليهما غطاء ضاغط تكرّسه سلطة المجتمع، فتقدّس هذا النمط الاستعباديّ، وتجعل من التطاول عليهما خرقاً سافراً للتاريخ والحضارة والتشريع. «**والشيء المشترك بين هذه الروايات هو صحوة الوعي لدى النساء. فالنساء يحلّلن وينتقدن الواقع الاجتماعيّ والسياسيّ، ويستحضرن رؤيا جديدة تضع الأسس من أجل إعتاق كلّ من الرجال والنساء، من أجل البقاء السياسيّ والازدهار المستقبليّ للأمّة العربيّة بكاملها**»[٥].

أمّا الأدباء والأديبات الذين حملوا لواء هذه الثورة فهم كثر، وهنّ كثيرات، وإن ركّزت في بحثي على بعضهم فيكون ذلك من باب الحصر و الايجاز لأنّ المجال يضيق في تعداد الجميع. غير أنّ العناوين التي يمكننا أن نتحدّث عنها في عمليّة النضال والثورة تبرز أفكاراً أطلقها أوّلاً الرجل الكاتب عندما وعى الذات النسوية الأخرى،

شخصيّة المرأة الثائرة في الرواية اللبنانيّة

زمن التوهّج

د. منصور عيد

في إطار المؤتمر النقديّ الأدبيّ السابع الذي عقد في جامعة جرش الأهليّة- الأردن بتاريخ ١٣/١٥ نيسان ٢٠٠٤ تحت عنوان: «الحركة الأدبيّة في الوطن العربيّ والتحدّيات المعاصرة»، والذي جمع باحثين من البلاد العربيّة: الأردن ولبنان وسوريا والجزائر والعراق وليبيا ومصر وتونس وعُمان والسعوديّة والسودان وقسم الدراسات الشرقيّة في جامعة بولونيا، قدّم الدكتور منصور عيد- جامعةسيّدة اللويزة- بحثاً بعنوان: «شخصيّة المرأة الثائرة في الرواية اللبنانيّة- زمن التوهّج».

في مقدّمة البحث أكّد الدكتور عيد أنّ موضوع الديموقراطيّة والمرأة وحريّتها ما زال عنواناً أساسيّاً في تحدّيات «الأمّة العربيّة» في عصرنا هذا، على الرّغم من الدعوات التحرّريّة التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر، وقد استشهد بأحد البنود التي كانت مطروحة في مؤتمر القمّة العربيّة المؤجّل، وهو يتناول هذا الموضوع. وقال:

شكّلت الرواية اللبنانيّة مظهراً من مظاهر التعبير الواعي عن الذات الانسانيّة العربيّة، منذ نشأتها في مطلع القرن الماضي، وبشكل خاص، في زمن التحدّيات الكبرى التي واجهت الأمّة العربيّة. تلك التحدّيات منها ما نتج عن واقع تكوينيّ في ذات المجتمع المنتمي إلى حضارة الشرق العربيّ، والمنفعل بالجدل الطويل الصعب بين التمسّك بالعادات والتقاليد العربيّة المحافظة من جهة، والانفتاح على معطيات العصرنة من جهة ثانية. ومنها ما كان نتيجة لعمليّة تفاعل حضاريّ مع مؤثّرات المجتمع الغربيّ الذي دخل بقوّة على العرب من خلال عدّة أبواب: طبيعيّة تطويريّة ناتجة عن الانفتاح الكونيّ والتمازج الحتميّ بين الحضارات، أو اصطناعيّة هادفة نتجت عن نزعة الاستعمار القديم، بجميع وجوهه السياسيّة والعسكريّة والثقافيّة. وقد تكرّست هذه النزعة الاستعماريّة من خلال الهجمة الصهيونيّة التي مزّقت الكيان العربيّ، وجعلته جسماً نازفاً باستمرار. وقد أنتجت هذه العوامل مجتمعة، خروقات ثقافيّة واجتماعيّة في الكيان العربيّ، بلغت حدود التمزّق الذاتيّ الفرديّ للانسان العربيّ، والقلق والفوضى في الأمّة العربيّة، كما في السياسة والأنظمة.

ومن أهمّ الموضوعات التي طرحتها الرواية اللبنانيّة- و تلك التي صدرت في لبنان، مستغلّة مناخ الحريّة والانفتاح الاجتماعيّ والتواصل الحضاريّ مع الغرب- موضوع المرأة ونضالها من أجل المساواة بالرجل، وتكريس دورها الطبيعيّ والاجتماعيّ في حركة التطوّر الكونيّ المستمرّ.

هذا النضال الذي ظهر في بدايات القرن الماضي، بأشكال متنوّعة شملت الندوات والمحاضرات والمؤتمرات والمقالات الصحافيّة، أصبح له مع التطوّر الاجتماعيّ وجه أدبيّ فنيّ متخصّص في منتصف القرن، حين برز من خلال فن القصّة بأشكالها المتنوّعة.

لقد كان للأدباء اللبنانيين المهجريين دور أساسيّ في إطلاق الحركة الأولى لهذه النهضة، فقد أتاحت لهم الأجواء الغربيّة المجال ليعوا

وتتكوّم على نفسها، وتنطوي على ذاتها، تئنّ ويضيع صدى أنينها في أعماق البئر».[١٦]

أمّا الوجه الآخر القائم على النزعة الثوريّة الخارجة عن المألوف في التقاليد الشرقيّة، فقد ظهر من خلال الاندفاع غير المنضبط نحو الحريّة الجنسيّة. فقد شكّلت عمليّة التحرّر الجنسيّ نموذجاً لدعوة ثوريّة اعتبرتها المرأة المجال الرئيس لتحدّي الطبيعة الانثويّة، وتحدّي الاستبداد التاريخيّ اللذين جعلا المرأة أسيرتهما.

هذه الثوريّة الجنسيّة برزت من خلال مجموعة من الأعمال الروائيّة التي فجّرت الكبت الاجتماعيّ لدى المرأة العربيّة. فعقدة الشرف شكّلت أزمة في حياة المرأة، وحاجزاً يقف في وجه ممارسات اجتماعيّة طبيعيّة، وفي وجه طموحاتها للنجاح في مجالات عدّة، لذلك أصبح التفلّت الجنسيّ عنواناً للثورة، فجعلت المرأة من فقدان عذريّتها منطلقاً لتحرير نفسها. وقد تمثّلت هذه الاندفاعة الثوريّة في شخصيّة «سارة» بطلة «فرس الشيطان» للكاتبة حنان الشيخ. **«لن تكون سارة بعد اليوم لقمة سائغة! ولا ورقة في مهبّ الريح! ستقاوم.. ستنتقم... ستتمرّد... ستثور... ستتحرّر... ستخلع النير، ومعه التنوّرة الطويلة والايشارب والكلسات، وترميها في البحر... ستبقى عارية.. تظهر صدرها وذراعها وبطنها وفخذها... ستعيش حرّة، حياتها ملكها، ومن حقّها أن تتصرّف بها»**[١٧].

ثالثاً: دعوة الرجل إلى معرفة المرأة في كونها وجوداً انسانيّاً معادلاً لوجوده في المشاعر والعقل، وليست **«صفقة في عمليّة البيع والشراء»**[١٨]. تقول ميرا بطلة «الألهة الممسوخة»: **«أعرف أنّني بالغت في العطاء، لكنّ الرجال يا صديقتي، الرجال يأخذون دوماً أكثر ممّا يعطون.. إنّه، أي الرجل، إله هو، وأنا عبدة، جبلها بيديه الساحرتين»**[١٩].

رابعاً: دعوة المجتمع إلى معرفة المرأة من خلال نضالها الاجتماعيّ والانسانيّ ومقدرتها على التوسّع أكثر إلى آفاق النضال السياسيّ والقوميّ على اعتبار **«أنّ تغيير الموقف الاجتماعيّ هو الشرط الأساسيّ لأيّ تغيير اجتماعيّ أو سياسيّ... فإنّ ما سعت النساء إلى تحقيقه ليس السلطة أو التفوّق على الرجال بل مكاناً يتمكّن به من ممارسة حياتهنّ، ومن المساهمة بشكل إيجابيّ، بكلّ الفعاليّات الحياتيّة»**[٢٠]

وفي هذا المجال نتحدّث عن «ريّا» بطلة رواية «شجرة الدفلى» للروائيّة إملي نصرالله. لقد فرض المجتمع القرويّ على هذه الفتاة اليتيمة الأب أن تكون سجينة عاملين اجتماعيين: الأمّ المستضعفة وشخصيّة «بو دعّاس» الرجل السلطويّ الذي يكتسب قوّته من خضوع مجتمعه لنزواته الشخصيّة. تحاول «ريّا» أن تتحرّر من سلطة الرجل وضعف المرأة، فترفض ما خطّط لها، وتقدّم على حبه قدرها فتتزوّج من «مخّول» الشخص الذي لا تحبّه، بل ترغب من خلاله في ممارسة لعبة التحدّي لإرادة الآخرين. لكنّها بعد الزواج أدركت خطأها وعلمت أنّها امرأة وأنّ الحقيقة أقوى منها، فهي عاجزة عن مواجهة مجتمعها. وهي ليست إلاّ نعجة في القطيع النسائيّ، بل عليها أن تكون كذلك وإلاّ تعرّضت للضرب **«جرّها من شعرها، وطرحها فوق السرير، وقبل أن تلملم نفسها، كانت كفّاه تلعبان فوق وجهها وجسمها وفي كلّ مغرز إبرة في جسدها»**[٢١]. واستسلمت المرأة لإرادة زوجها التي هي إرادة المجتمع بأسره. غير أنّ استسلامها، وانضمامها للقطيع، كان مرحلة لثورة جديدة على الوجود كلّه، فانفجر الجسد الضعيف تحت ثقل الرغبة الجامحة في الرفض، و التحرّر والثورة، وماتت «ريّا» **«لتغرز مغرزاً في نفوس بنات جنسها، توجع فيهنّ القلب كي لا يعشن في خدر الاستسلام الذي جعلهن نعاجاً في القطيع.»**[٢٢]

غير أنّ تحدّي المجتمع قد اتّخذ وجهاً جديداً عند كلّ من إملي نصرالله و ليلى عسيران، فقد جاءت بطلاتهما امتداداً نضاليّاً لشخصيّة «تميمة» بطلة «طواحين بيروت»، فإذا هنّ يشاركن في النضال الاجتماعيّ والسياسيّ والعقائديّ والقوميّ، ويشكّلن نموذجاً للفتاة الشابّة التي حرّرها العلم وأطلقها تناضل مع الشبّان جنباً إلى جنب، بل تتقدّم التظاهرات الطلاّبيّة، كما تحاور، وتصرخ، وتواجه التحدّيات في الجامعات والشوارع. تقول إملي نصرالله في رواية «تلك الذكريات»: **«أحاول أن أقنع الزملاء بأنّ هناك عبوديّة عميقة تكبّل كيان صديقتي، وتكبّلنا جميعاً نحن الذين نعيش في هذا الزمن الرديء... فإذا سارت حنان في المظاهرة، فهي تفجّر قلقها، وتوقها الشخصيّ إلى التحرّر، وتحوّله إلى رافد يصبّ في المجرى العام... ومثلها المئات، بل الآلاف من الشباب الواعي»**[٢٣]

أمّا ليلى عسيران فقد ألقت بطلاتها بعيداً في الثورة القوميّة. أرادت أن تعيش المأساة الفلسطينيّة، فانتقلت إلى فلسطين وأمضت فيها فترة بين المبعدين واللاجئين، ثمّ نقلت تجربتها في روايتين: «عصافير الفجر» و«خطّ الأفعى». ثمّ نراها تعمّق تجربتها الوطنيّة في

من منطلق بعيد عن العلاقة الجنسيّة التي حصر المرأة فيها زمناً طويلاً، وجعلها لعبة ذهبيّة تسكن في قفص للملذّات، يدنو منه متلطّفاً، ثمّ ينتهك حرمته كلّما أراد الاستمتاع بوهج الذهب.

شخصيّة المرأة الثائرة في أدب الرجل الروائيّ

هذا الوعي الجديد للذات الأخرى نجده عند عبدالله حشيمي في روايته «ورقة رزنامة»، في شخصيّة بطلته «لطيفة» الفتاة القرويّة المتعلّمة التي عاشت دوّامة من التحدّي؛ فهي تغادر القرية إلى بيروت على الرغم من ممانعة الأم وتختار المهنة التي تريدها، والحبيب الذي يهتف قلبها له. وتعيش حياتها كما تشاء، حتى إذا فشلت في فهم الرجل، أو وجدت فيه الرجل العادي الذي هربت منه أصلاً، قرّرت أن تواصل التحدّي والنضال وتعلن التمرّد والثورة: «**أخشى أن يكون تمسّكي بحريّتي سبباً لخلاف يأتي، ومع ذلك فأنا ماضية في طريقي ولن أتراجع مهما تكن العقبى**»[٦]

ويقول حليم بركات على لسان بطلته: «زينب» «**إلى متى وإلى أيّ حدّ تستطيع المرأة أن حاول وتحاول وتنتهي في كلّ مرّة ضحيّة، منذ الطفولة تعدّ وليمة للرجل**»[٧]. أمّا توفيق يوسف عوّاد في روايته: «طواحين بيروت» فيجسّد في بطلته «تميمة» أكثر من رؤية واحدة لثورة المرأة. هو يراها ثائرة على أمّها وأخيها والمجتمع من خلال مسلك متحرّر تماماً من قيود الجنس حتى حدود الاستهتار، والسخرية من شرف العائلة، وقدسيّة التقاليد، وحرمة الشرائع التي ليست إلاّ أوهاماً وطلاسم وخرافات شدّت على عنق الانسان حتّى أفقدته نعمة الحياة. «**أفضّل أن آتيك امرأة صادقة من أن آتيك عذراء كاذبة. من قطف عذريّتي؟ أيّ أهميّة؟**»[٨]. ولكنّ «تميمة» عندما وعت ذاتها انطلقت في ثورة قوميّة أكثر تعبيراً عن حتميّة النضال الذي يلهب مشاعر الشباب العربيّ. فابنة القرية المحافظة تغرق في مفاهيم المدينة، بيروت، وتشارك في الصخب والفوضى والتظاهرات الطّلابيّة المسلّحة وتصاب في رأسها وفي صميمها، فيندمل الجرح الأوّل ويتفاعل الجرح الثاني في صراعات بيروت وحركاتها الثوريّة ليدخلها في النضال الوطنيّ والقوميّ، وتأخذ قرارها: «**سأحارب تحت كلّ سماء ضدّ كلّ الشرائع والتقاليد التي ارتضاها المجتمع وأطعنها بيدي لأن باسمها- تحت سماء بلادي- أُنكر عليّ حقّ الحياة**»[٩]

شخصيّة المرأة الثائرة في أدب المرأة الروائيّة

أمّا شخصيّة المرأة البطلة في أدب المرأة الروائيّة فعناوينها متنوّعة.

أوّلاً: إدراك المرأة ذاتها الحرة، ووعيها لإنسانيّتها بعدما عانت الكثير من قهر المجتمع وعبوديّته، وبعدما أقنعتها- كما أقتنع زوجها- أجيال الجهل والاقطاع، وعمليّة التطبيع الاجتماعيّ بأنّها: «**وسيلة لإنجاب الاطفال وإشباع رغبة الزوج الجنسيّة... وإنّها عبء على المجتمع مع تأكيد دونيّتها بالنسبة للذكور**»[١٠]. وكأنّ المرأة، في هذا الواقع، تخضع لحتميّة قدريّة تعجز عن تبديلها، وتقف أمامها مغلوبة على أمرها. وفي روايات الكاتبة املي نصرالله نماذج كثيرة من هذه الحتميّة السالبة لإرادة الفتاة التي لم يتسنّ لها أن تتزوّج بمن تحبّ. والحبّ هو أبسط حقوقها في الحياة. فـ«مرسال» أحبّت «راجي» ولكنّها تزوّجت بـ«جون»، و«نجلاء» أحبّت «كمال» ولكنّها تزوّجت بـ«سليم»[١١]، و«ريّا» أحبّت «ناجي» ولكنّها تزوّجت بـ« مخّول»[١٢]، و«رانية» أحبّت «مروان» ولكنّها تزوّجت «نمرود»[١٣]، و«حنان» تزوّجت بـ«فادي» ولكنّها لا تحبّه. تقول مواجهةً أمّها التي فرضت عليها هذا الزواج على الرغم من انتمائها إلى مجتمع المدينة: «**آه لو تدرين يا أمّي؟ لو تدرين أنّي لم أحبّ زوجي لحظة واحدة**»[١٤].

لكنّ «لينا» بطلة «أنا أحيا»[١٨] للروائيّة ليلى بعلبكي، تحاول أن تكتشف حقيقة ذات المرأة عندما تعبّر عن قناعتها بأنّ الذنب ليس على الرجل فحسب بل على النساء أنفسهنّ: «**فالنساء يسبّبن استمرار وضعهنّ من خلال رضوخهنّ لأدوارهنّ المعطاة كدمى ومستهلكات يهتمّون للأزياء.**»[١٥]

ثانياً: دعوة المرأة إلى ممارسة حريّتها كما تراها هي وبالطريقة التي تتوافق مع إرادتها وليس كما يتوافق مع رغبات الرجل وإرادة الأب والزوج والمجتمع. من هنا، ترافقت الدعوة إلى الحريّة بعدّة مفاهيم منها ما تصبّ في الاعتدال حتى التسليم بأمر مكتوب كما في شخصية «حنان» بطلة رواية «تلك الذكريات» للكاتبة املي نصرالله. لقد عاشت «حنان» حياة المدينة محاولة الابتعاد عن ضغوط التخلّف وعبوديّة التقاليد. مع ذلك بقيت محشورة بعبوديّة الطبيعة الأنثويّة. فما زال الرجل رجلاً يمارس عليها إرادته وما زالت المرأة امرأة هاربة منه تارة، وهاربة إليه تارة أخرى. «**هربت صديقتي من زواجها الأوّل، ثمّ من أمّها، ومن وطنها، وها هي تمارس الهرب من وجهها،**

المعلّم بطرس البستاني والصّحافة

د. جوزيف الياس

لم يكن المعلّم بطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣) صحافيّاً محترفاً بالمعنى الذي كان عليه صديقه وزميله الأصغر خليل الخوري (ولد سنة ١٨٣٦) صاحب «حديقة الأخبار». ونقول «الأصغر» لأنّ المعلّم يكبر صاحب الحديقة بسبع عشرة سنة، ولأنّ هذا كاد يكون من جيل ابنه سليم (ولد سنة ١٨٤٨). لكنّنا، إذ نقول هذا في المعلّم الصّحافيّ، نسمح للنّفس بالتّساؤل: «وهل استطاع خليل الخوري أن يكون الخطيب والمربّي والمصلح الاجتماعيّ واللّغويّ والموسوعيّ في آن واحد؟».

لا ينتظرنَّ القارئ منّا أن نتحدّث عن مئات الافتتاحيّات التي دبّجها قلم المعلّم بطرس كصحافيّ محترف؛ فالمعلّم الكبير ليس كاتب افتتاحيّة، ولا محرّر خبر بالمعنى المهنيّ الصّرف. بيد أنّ للمعلّم بطرس اهتمامات كثيرة، واختصاصات متعدّدة عوّضت الاحتراف الصّحافي؛ ومع ذلك، فالمعلّم بطرس كان أوّل من أصدر نشرة في صفحة واحدة ومقالة واحدة ملتزمة كلّ الالتزام هي «نفير سورية». ثمّ ساعد ابنه سليماً، بعد عشر سنين، على إصدار ثلاث دوريّات، هي مجلّة «الجنان» وجريدتا «الجنّة» و«الجنينة». أمّا قول طرّازي، في الجزء الأوّل من تاريخ الصّحافة العربيّة (ج ١، ص ٤٥)، إنّ «أعمال الجمعيّة السّوريّة» التي نشرها المعلّم الكبير سنة ١٨٥٢ هي أوّل مجلّة تصدر على الأرض العربيّة، فقول مردود لأنّ «أعمال الجمعيّة السّوريّة» محض كتاب لا أكثر. ودليل ذلك تراجع طرّازي عن هذه المقولة في فهارسه التي نُشِرت بعد زمن غير قليل في الجزء الرّابع من تاريخ الصّحافة العربيّة.

نفير سوريّة

رأى المعلّم بطرس ما خلّفته أحداث سنة ١٨٦٠ من ويلات، فَهالَهُ الأمر وهو داعية الوحدة الوطنيّة، فأصدر في ٢٩ أيلول ١٨٦٠ صحيفته المعروفة بـ«نفير سوريّة». وهي نشرة تقع في صفحة واحدة ومقالة واحدة كتبها المعلّم بقلمه، وعرض من خلالها آراءه الوطنيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة. ومقالة النّفير هذه أشبه برسالة يفتتحها الكاتب بنداء «يا أبناء الوطن» ويختتمها بتوقيع «من محبّ للوطن».

في الأعداد الثّلاثة الأولى، تحدّث البستاني بلغة حزينة منكسرة لا تخلو من دهشة ورعب، فتوقّف عند هول المصيبة وصداها محلّيّاً وخارجيّاً، وأثنى على المراحم السّلطانيّة ودور الوزير فؤاد باشا، وفي رأيه أنّ الدّيانة الصّحيحة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وكلّ ديانة ليست لها هذه المزيّة لا تستحقّ أن تسمّى ديانة، ومن فضل الدّيانة المسيحيّة على ما عداها أنّها تأمر بمحبّة الأعداء.

في العدد الرّابع، حدّد البستاني حقوق المواطن وواجباته، ما لَهُ وما عليه. ثمّ تحدّث عن الوطن، فعرّف وطنه ومواطنيه، فإذا سوريّة المشهورة ببرّ الشّام وعربستان هي وطنه، وسكّان سوريّة على اختلاف مذاهبهم وهيئاتهم وأجناسهم وتشعّباتهم هم أبناء وطنه.

في العدد الخامس، تحدّث البستاني عن الحرب الأهليّة وشرورها، وشكا وحشاً كبيراً هو الغرض. ومن شأن «هذا المبدأ الخبيث أن يتلوّن في كلّ دور بلَون، وينتمي إلى ذات معتبرة، كقَيسيّ ويمنيّ، ثمّ جنبلاطيّ ويزبكيّ. ومن أشنع هيئاته وأقبحها الهيئة التي ظهر فيها في هذه السّنين القريبة العهد، التي انتحل بها ألقاباً قديمة مقدّسة عند أهلها، كنصرانيّ، ودرزيّ، ثمّ مُسلم ومسيحيّ...».

في الأعداد الخمسة التّالية، أي من السّادس حتّى العاشر، تكلّم البستاني على خسائر الوطن وأرباحه، فخصّص الأعداد السّادس والسّابع والثّامن لخسائر الوطن الماديّة والأدبيّة، والعددين التّاسع والعاشر لأرباح الوطن الأدبيّة. وفي هذين الأخيرين بدت نزعة علمانيّة واضحة، إذ دعا الكاتب إلى فصل الدّين عن الدّولة، وطالب بصراحة بإقامة «حاجز بين الرّياسة أي السّلطة الرّوحيّة والسّياسة أي السّلطة المدنيّة».

وفي العدد الأخير الذي صدر في ٢٢ نيسان ١٨٦١، توقّف البستاني عند التّمدّن، فعرّفه، ثمّ عدّد وسائطه وأبرزها ثلاث هي: «الدّيانة، الحكم السّياسيّ، وسائط اكتساب الآداب».

يمكننا حصر المحاور الفكريّة التي دارت عليها مقالات النّفير في ستّة، هي:

١- الوطن: تعريف الوطن والمواطن، والتّأكيد أنّ «حبّ الوطن» فوق كلّ اعتبار.

٢- الألفة الاجتماعيّة سبيل إلى الوحدة الوطنيّة.

٣- الحرب الأهليّة والغرض الذي تزيّا بأزياء

روايتها «جسر الحجر» إذ تنتقل إلى الجنوب اللبنانيّ الذي يعاني الاعتداءات الاسرائيليّة المتواصلة، حيث تتعاظم المآسي. وتحاول الكاتبة أن تجسّد الروح الوطنيّة النضاليّة في شخصيّة «أمّ قاسم» التي تعيش تجربة الأرض والأمومة. «ومع ليلى عسيران لم تعد بطلات الثورة النسائيّة شابّات ينظرن الى المستقبل برؤى التغيير العبثيّ فحسب، بل إنّ الشخصيّة الثائرة هي المرأة الناضجة المتجذّرة في تربتها الوطنيّة حتى الشهادة، فتسقط أم قاسم شهيدة في سبيل إيمانها بأرضها، لتحمل ابنتها «سكينة» راية الجهاد، وتواصل مع حبيبها وزوجها المقاوم طريق النضال».

الخلاصات

تقول الكاتبة إملي نصرالله على لسان «حنان» بطلة «تلك الذكريات»: **«إنّ الجيل القادم لديه رسالة عليه أن يحقّقها. إنّه جيل الصغار الذين سيقولون كلاماً يختلف عمّا قاله الآخرون»**[٢٤]. في هذا الكلام أصداء لما قاله جبران خليل جبران في خاتمة كتابه «دمعة وابتسامة» **«جئت لأقول كلمة، وسأقولها. وإذا أرجعني الموت قبل أن ألفظها، يقولها الغد، فالغد لا يترك سرّاً مكنوناً في كتاب اللانهاية. جئت لأكون للكلّ وبالكلّ، والذي أقوله الآن بلسان واحد يقوله الآتي بألسنة عديدة»**[٢٥]

إنّ الآتي الذي تحدّث عنه أدباؤنا وأديباتنا منذ نصف قرن هو الأمس البعيد والقريب، وما برح هو اليوم، وسيكون أيضاً في الغد. ونحن ما زلنا في مجتمعنا وفي قضايانا نتواصل مع ذلك الزمن ولم ننقطع عنه، بل إنّنا ما زلنا نعاني أزمات مستمرّة منذ النهضة الأولى التي أطلق فيها قاسم أمين وجيله دعوات التحرّر. وما زال أمامنا الكثير لكي نحققّه في هذا الزمن الذي تتكاثر فيه التحدّيات وتتعولم الثقافات والطموحات والابداعات، وتحيط بنا المصاعب، ونحن نصارع ونصارع باحثين عن موقع لنا نضع فيه أقداماً ثابتة غير مضطربة، لنؤكّد وجودنا الثقافيّ والحضاريّ بعيداً عن التزمّت والتحجّر والهروب إلى الماضي، وبعيداً عن التهوّر والقفز نحو مستقبل نجهله، و لا نحاول بشكل واع وجديّ، أن نضع له تصوّراً في حساباتنا.

مراجع الدراسة

(١) جبران خليل جبران– المجموعة العربيّة الكاملة ص: ٢٢٢
(٢) أمين الريحاني– كتاب خالد– ترجمة الدكتور أسعد رزوق– المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر– الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٦ ص: ٣٣٧
(٣) في الجهود الروائيّة ما بين سليم البستاني ونجيب محفوظ– المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر– الطبعة الثانية ١٩٨١– ص: ٥١
(٤) د. عبد الرحم ياغي– في الجهود الروائيّة ما بين سليم البستاني ونجيب محفوظ– المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، الطبعة الثانية ص: ٧٢
(٥) د. بثينة شعبان– المرجع السابق، ص: ١١٣
(٦) عبدالله حشيمي– ورقة رزنامة– دار الكتاب اللبنانيّ– بيروت ١٩٧١ ص: ١٤٠
(٧) حليم بركات– بين السهم والوتر– منشورات المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر– بيروت
(٨) توفيق يوسف عواد– طواحين بيروت– مكتبة لبنان– الطبعة الثامنة ٢٠٠٢ ص: ٢٥٨
(٩) توفيق يوسف عواد– المرجع السابق ص: ٢٦٩
(١٠) سمير عبده– المرأة العربيّة بين التخلّف والتحرّر– دار الآفاق الجديدة– بيروت ١٩٨٠ ص: ٨١
(١١) أبطال طيور أيلول
(١٢) أبطال شجرة الدفلى
(١٣) الرهينة
(١٤) إملي نصرالله– تلك الذكريات– مؤسّسة نوفل، الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٠ ص: ٦٧
(١٥) ليلى بعلبكي– أنا أحيا – المكتب التجاريّ، بيروت ١٩٥٨
(١٦) د. بثينة شعبان– المرجع السابق– ص: ١٠٠
(١٧) إملي نصرالله– تلك الذكريات– المرجع السابق– ص: ١٥٠
(١٨) حنان الشيخ– فرس الشيطان– بيروت ١٩٧٥
(١٩) نوال السعداوي– المرأة والصراع النفسيّ– بيروت ٩٧٧ – ص: ٧
(٢٠) ليلى بعلبكي– الالهة الممسوخة– المكتب التجاريّ– بيروت، ١٩٦٠ ص: ٤٧
(٢١) إملي نصرالله– شجرة الدفلى– مؤسّسة نوفل– الطبعة الثالثة– بيروت ١٩٧٩، ص: ١٨٦
(٢٢) الدكتور منصور عيد– قضايا إنسانيّة في روايات إملي نصرالله– دار الكتاب اللبنانيّ– بيروت ١٩٩٥ ص: ١٥١
(٢٣) تلك الذكريات– المرجع السابق– ص: ١٠٠
(٢٤) تلك الذكريات– المرجع السابق– ص: ٥٤
(٢٥) جبران– دمعة وابتسامة– المجموعة الكاملة– ص: ٣٤٩

روّاد الحركة المسرحيّة اللبنانيّة في مصر

الفرق التمثيليّة

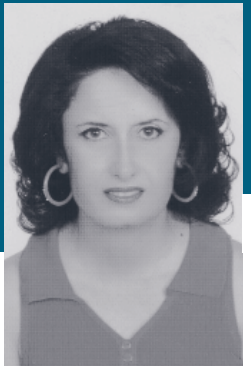

د. سوزان عكّاري

إنّ أوّل فرقة لبنانيّة قصدت أرض الكنانة، كانت فرقة سليم النقّاش الذي أعدَّ لهذه الرحلة عدّتها من المسرحيّات. فنقل معه مسرحيّات عمّه مارون الثلاث: البخيل وأبو الحسن المغفّل والحسود السليط، وترجم أوبرا عايدة عن الإيطاليّة، وحافظ على طابعها الغنائيّ.[١]

وقد جاء في جريدة (Le moniteur Egyptien) عن هذه الفرقة أنّها تتألّف من اثني عشر ممثّلاً وأربع ممثّلات، وتقدّم عدداً من الروايات باللغة العربيّة على مسرح زيزينيا.[٢]

يُفهم من سياق الكلام، أنّ فرقة سليم النقّاش ساهمت في خلق مسرح عربيّ الاتجاه، لأنّها اعتمدت اللغة العربيّة وسيلة للوصول إلى الناس. وقد نوّعت هذه الفرقة في نمط المسرحيّات المقدّمة، فكانت هناك المسرحيّة الهزليّة، والمأساويّة، لتراعي كلّ الأذواق. ومن بين المسرحيّات التي تتألّف منها حصيلة هذه الفرقة، نجد بعض المآسي المترجمة عن الفرنسيّة، ومنها: هوراس لـ كورناي وميتريدات لـ راسين، ثمّ الأوبرا الجديدة عايدة. والتمثيليّات التي تقدّمها الفرقة هي من الأوبرا الفكاهيّة، أو الأوبرا أو المأساة، أو التمثيليّات العصريّة.[٣]

ثمّ استدعى سليم النقّاش صديقه أديب اسحق من لبنان حيث كان قد ترجم وهو في بيروت مسرحيّة أندروماك عن راسين، إجابة لطلب قنصل فرنسا فيها. فلبّى أديب دعوة صديقه، ونقّح مسرحيّة أندروماك، وأضاف إليها أبياتاً جديدة من الشعر. وترجم في الإسكندريّة مسرحيّة ثانية هي شارلمان.[٤]

وسرعان ما تحوّل أديب اسحق إلى السياسة والأدب، وحذا حذوه سليم النقّاش، تاركَين الفرقة وأعمالها إلى زميل لهما هو يوسف خيّاط الذي وسّع دائرة عمله وضمّ إليه بعض الممثّلين المصريّين، واستهلّ أعماله بتمثيل مسرحيّة صنع الجميل بتياترو زيزينيا[٥]. وفي يوم الأحد ٩ من فبراير (شباط) ١٨٧٩م، مثّل في الأوبرا مسرحيّة الظلوم. وتدّعي المراجع أنّ الخديوي شهد هذه الحفلة، وظنّ أنّ في المسرحيّة تعريضاً به، وبأسلوب حكمه للبلاد، فاستاء من الخيّاط كثيراً وأمر بإخراجه من مصر.[٦]

وكان لغضب الخديوي أثره السيّء على مسيرة الفرقة، فما لبث أن توقّف الخيّاط عن نشاطه بعد محاولات صعبة للاستمرار.[٧]

وينقطع بعد ذلك نشاط الخيّاط، فترة من الزمن، ليعود سنة ١٨٨٥م فيمثّل في مسرح زيزينيا ودار الأوبرا. وقد صحبه آنذاك الشيخ سلامة حجازي. ثمّ قام بعد ذلك بجولة في الأرياف المصريّة. وبعدئذ انقطع عن التمثيل إلى الأعمال الأدبيّة والتجاريّة، إلى أن وافته المنيّة، فانتقل زمام المسرح إلى فرقة سليمان القرداحي الذي كان أحد أعضاء فرقة يوسف خيّاط، ثمّ انشقّ عنها، وألّف فرقة خاصّة به في الإسكندريّة، وكان ذلك في مطلع سنة ١٨٨٢م[٨]؛ وهكذا قام ليحمل المشعل عنه أحد أعضاء فرقته، تماماً كما حدث له.[٩]

مختلفة، فالوحش هو الغرض، والغرض ينفي المبدأ.

٤- الخسائر والأرباح: بعد الحرب الأهليّة، ثمّة خسائر ماديّة ومعنويّة باهظة، وثمّة أرباح معنويّة محدودة أبرزها استخلاص الدّروس والعِبَر.

٥- النّزعة العلمانيّة وفصل «الرّياسة عن السّياسة»، أي فصل الدّين عن الدّولة.

٦- التّمدّن: قارن البستاني مراراً بين الشّرقيّين والغربيّين، لكنّه كان يشخص ببصره إلى الغرب، داعياً إلى مجاراة الغربيّين في الفنون والمعارف الحديثة من دون تقليد أعمى.

«الجنان»

وفي مطلع سنة ١٨٧٠، أصدر المعلّم بطرس وابنه سليم مجلّة فكريّة ثقافيّة جامعة هي «الجنان» نصف الشّهريّة. فكانت أوّل مجلّة موضوعيّة رصينة تصدر في بيروت. وصحيح أنّ محرّر «الجنان» الرئيسيّ هو سليم، لكنّ فضل رعايتها والإشراف كان للمعلّم بطرس. وفي قلم الابن أثر واضح لقلم الأب وقبس من نفسه وروحه، ولاسيّما في المقالات الإصلاحيّة التي بلغت العشرات. أمّا كتابات المعلّم بطرس في «الجنان» فنادرة، وليس من السّهل تمييزها لأنّها جاءت خلواً من التّوقيع. ولعلّ أطرف ما قرأنا للمعلّم على صفحات الجنان مقالته في «المدرسة الوطنيّة»، وهي مقالة كتبت في الذكرى العاشرة لتأسيس المدرسة، فجاءت في ثماني صفحات منها أربع لصور المدرسة وأجنحتها (مج ٤، ج ١٨، ١٥ أيلول ١٨٧٣، ص ٦٢٦).

«الجنّة» و«الجنينة»

في ١١ حزيران ١٨٧٠، أصدر سليم البستاني صحيفة سياسيّة أسبوعيّة، ثمّ نصف أسبوعيّة هي جريدة «الجنّة»، فكانت عين المعلّم بطرس ساهرة على هذا الإصدار، تباركه وترعاه، وتمدّ له يد العون عند الحاجة. وفي أوائل سنة ١٨٧١ أصدر سليم صحيفة سياسيّة ثانية هي جريدة «الجنينة» التي سارت مع «الجنّة» جنباً إلى جنب. وبصدور «الجنينة» حقّق البستاني الابن لصحافته السياسيّة دوريّتها اليوميّة. فراحت «الجنّة» تصدر مرّتين في الأسبوع، و«الجنينة» أربع مرّات في الأسبوع، فإذا بهما تؤلّفان مجتمعتين صحيفة يوميّة. وهذا فَتْح في عالم الصّحافة يومئذ لم يُسبَق إليه البستاني، فأنّى ذلك لسليم، و«الجنان» ما زالت تصدر نصف شهريّة، لولا مساعدة المعلّم الكبير ورعايته.

أمّا إذا بحثت عن قلم المعلّم بطرس على صفحات «الجنّة» و«الجنينة»، فليس لك أن تقول الكثير، لأنّك لا تقع فيهما على مقالة له موقّعة. بيد أنّ «الجنّة» أتحفتنا في أحد أعداد سنة ١٨٧٠ (العدد ١٦، ٣٠ آب ١٨٧٠) بافتتاحيّة حملت عنواناً مثيراً، قرأنا أمثاله قبل عشرٍ خلت، وهو «الوطنيّة الثّانية عشرة». وفي هذا العنوان دلالتان: الأولى أنّ المعلّم الكبير هو كاتب الافتتاحيّة أو المقالة، لأنّه صاحب «الوطنيّات» المشهورة، والثّانية هي أنّ «وطنيّات» سنة ١٨٦٠ كانت إحدى عشرة لا أكثر، وثمّة لغط قديم جديد حول العدد.

وفي ١٣ أيلول ١٨٧١، بدأت «الجنّة» تنشر وقائع رحلة قام بها المعلّم بطرس في بلاد كسروان، واستمرّت في حلقات حتّى تشرين الثّاني ١٨٧١. وكان ذلك آخر ما وقعنا عليه للمعلّم الكبير على صفحات جريدة «الجنّة».

خاتمة

كان المعلّم بطرس شعلة نشاط، فقد تشعّبت اهتماماته، وتنوّع عطاؤه، فراوح بين التّعليم والدّين واللّغة والآداب والصّحافة والتّرجمة وشؤون المجتمع، حتّى لكأنّه دائرة معارف حيّة وعمليّة، فهو معطاء ومستمرّ في العطاء من سنّ الشّباب حتّى آخر أيّام حياته، لذا استحقّ لقب معلّم، وكان بحقّ أجدر معاصريه بهذا اللّقب ذي الدّلالة البعيدة، على الرغم ممّا ألبسه بعضنا من ابتذال في اللّغة اليوميّة الشّائعة.

والمعلّم بطرس شغوف بالوطن ناسك في محرابه، ولكلمة «الوطن» دلالة واضحة عنده، وعذوبة خاصّة على شفتيه، ووقع مميّز في مسمعه، بشكل لم نعهده عند معاصريه من الروّاد، فلطالما ردّد كلمة «الوطن» بحنان في خطبه ومقالاته، وبخاصّة في «نفير سوريّة». وقد رأينا كيف اتّخذ لمجلّة «الجنان» شعاراً هو «حبّ الوطن من الإيمان». فهل كان ذلك دليل إحساس كيانيّ يمهّد للنّزعة الاستقلاليّة في ما بعد؟

حسبُ المعلّم بطرس أنّه كان واحداً من قلائل أنشأوا أوّل جمعيّة ثقافيّة في الشّرق العربيّ، وكان أوّل من أصدر صحيفة (أو نشرة) ملتزمة كلّ الالتزام هي «نفير سوريّة»، وأوّل من أصدر مجلّة «سياسيّة علميّة أدبيّة تاريخيّة» جامعة، وأوّل من فتح مدرسة وطنيّة بحتة، وأوّل من وضع نصّاً في الدّفاع عن المرأة والدّعوة إلى تعليمها، وأوّل من وضع معجماً عصريّاً مطوّلاً ومرتّباً على حروف الهجاء باعتبار الأوائل، وأوّل من ألّف دائرة معارف حديثة.

وفي الختام، إن شئت أن تختصر المعلّم بطرس، فلا تقل فيه إنّه فيلسوف، أو لاهوتيّ، أو ثائر، أو سياسيّ، أو زعيم وطنيّ، أو ذو «عقيدة بستانيّة» متميّزة. فهو بكلّ بساطة كاتب ولغويّ ومصلح اجتماعيّ، نزوع إلى التّغيير أو التّجديد (التّحديث) بوسائل سلميّة، وبوسائط وعظيّة إرشاديّة، ضمن إمكانات عصره ومن دون أُطروحاتٍ جذريّة.

ومع ذلك، تبقى بصمات المعلّم الكبير واضحة على دفاتر التّراث، وعلى وريقات الفكر العربيّ في القرن التّاسع عشر، فمن يدري؟ لعلّه كان ديك الفجر الذي أيقظ النّيام، ومنبّه الصّبح الذي نبّه الشّرقيّين من غفلتهم.

اللغة العربيّة إلى أين؟

د. الياس رزق

من المسلّم به، أنّ اللّغة العربية – لغتنا الرسميّة في لبنان – هي الأبرز بين أخواتها في الأصل والمنبت. ونحن لا نقلّل من أهميّة اللّغات السامّية الأخرى كالسّريانيّة والأشوريّة، والعبريّة والآراميّة وغيرها؛ ولكنّ الدّارسين والباحثين يدركون جيّداً الفارق، ويعرفون الأسباب التي أسهمت في خلق هذا الواقع وتكريسه. وما لا يختلف عليه اثنان هو أنّ اللغة العربيّة لغة غنيّة وجميلة وحيّة، ولغة قادرة على مواكبة حركة التقدّم والتطوّر، وقادرة على استيعاب العلوم والفلسفة والتقنيّات الحسابيّة والالكترونيّة، وكلّ ما قد يهتدي إليه العقل البشريّ من معارف وعلوم؛ ولنا في العصر العبّاسيّ خير مثال على ما نقول. ألم تتحوّل بغداد يومها إلى عاصمة العلم والفكر والأدب والترجمة والتدوين والنشر؟! أولم يبرع فيها كبار العلماء في الرياضيّات والفيزياء والكيمياء والطبيعيّات وعلم الفلك والحساب وعلم المنطق والفلسفة والفقه – وجميع هؤلاء كتبوا باللغة العربيّة – لغة التأليف الرسميّة في عاصمة الخلفاء العبّاسيين، وهم ليسوا جميعهم عرباً، بل خليط من فرس وروم وسريان، درسوا العربيّة وبرعوا بالكتابة والتأليف فيها أكثر من العرب أنفسهم؟!

كلّ ذلك يقودنا إلى التأكيد أنّ اللغة العربيّة هي حقّاً لغة حيّة وقادرة على مواكبة التطوّر، شريطة أن تكون المجتمعات الناطقة بها مجتمعات حيّة وفاعلة وحاضرة في صنع التاريخ، وأن تكون الأوطان والدول والحكومات التي تتّخذ من العربيّة لغة رسميّة لها، مؤثّرة في حركة التطوّر التي تنطلق بسرعة هائلة من دون أن تنتظر أحداً، أو تستأذن أحداً.

نطرح هذه المشكلة، لأنّ ثمّة علامات استفهام ترتسم حول واقع اللغة العربيّة الفصحى ومصيرها في مواجهة الهجوم الكاسح للغة العولمة؛ والجميع يعرف أنّ اللغة الانكليزيّة تكاد تصبح اللغة الرسميّة الوحيدة للنظام العالميّ الجديد، هي لغة العالم الذي تحوّل إلى قرية كونيّة ممسوكة بشبكة اتصال وتواصل، جميع رموزها ومفاتيحها التعبيريّة موحى إليها بالانكليزيّة.

ونطرح المشكلة، خائفين على لغتنا العربيّة الفصحى من التّلاشي والضّعف كما حصل في عصور الانحطاط، وخائفين من أن نكون على أبواب عصور انحطاط جديدة تعمّ مختلف الأوطان والمجتمعات الناطقة باللغة العربيّة.

ونطرح المشكلة لما يعتري لغتنا الفصحى من ضعف ووهن على مختلف المستويات في المراحل التعليميّة الأساسيّة والثانويّة والجامعيّة، بحيث أنّ فئة قليلة من الطلاّب تتقن القراءة الصحيحة والكتابة السليمة، والخطّ العربيّ. وقلّة هم الطلاّب الذين يندفعون إلى مطالعة الكتاب العربيّ. والمناهج العربيّة المسمّاة حديثة تفتقر إلى التّشويق، وقد أهملت القسم الأكبر من التراث الأدبيّ المكتوب عبر العصور. والجامعات ومراكز الأبحاث والمجامع العلميّة واللغويّة والأدبيّة قاصرة عن مواكبة حركة التطوّر بلغة عربيّة متحرّكة ومتجدّدة.

نطلق الصّرخة من هذا المنبر الجامعيّ اللبنانيّ، صرخة التنبيه؛ لعلّ الهمم تتحفّز، والمبادرات تنطلق. ومن أولى من الجامعات ومراكز الأبحاث، ومن أولى من اللبنانيين في احتضان اللغة العربيّة، ودفعها لمواكبة عربة التطوّر المتوثّبة بشكل مخيف؟! فهلمَّ بنا جميعاً نفكّر بهدوء ورويّة ووعي لنتبصّر ونرى بوضوح المصير الذي ينتظر مجتمعاتنا وأوطاننا الناطقة بلغة الضاد.

وقد أوردت الأهرام خبر هذه الفرقة، فجاء فيها، بعد حديث عن فوائد التمثيل وعن أثره في المجتمع: هذا وقد قام إلى إحياء هذا الفن الجميل في لغتنا العربيّة جناب النشيط سليمان أفندي قرداحي، فاختار من الروايات أجملها وألطفها ومن المشخّصين والمشخّصات أفضلهم وأبرعهم، وكلّهم وطنيّون.[١٠]

ومرّة أخرى نفهم أنّ التمثيل العربيّ، نما على يد الفرق اللبنانيّة، التي عملت ما في وسعها، على اعتماد اللغة العربيّة، في إرساء دعائم هذا الفنّ وتطويره، وأصبح التمثيل على أيديهم هواية وفنّاً، يتقنه أهل البلاد، بعد أن كان حصراً على الأجانب- كما في عهد حملة بونابرت- وقد قدّم القرداحي مسرحيّات عدّة موضوعة، ومترجمة. ومثّل على مسارح القاهرة والإسكندرية. وقام بجولات فنيّة في الأرياف، كما قام برحلة إلى سورية. وفي أواخر سنة ١٩٠٧م، غادر القاهرة إلى شمال إفريقيا، ومثّل في تونس والجزائر ثمّ استقرّ به المقام في تونس، حيث أسّس مسرحاً عربيّاً، لاقى فيه كلّ إقبال وتشجيع. وقد أنعم عليه الباي بنيشان الافتخار مع لقب بك.[١١]

وقد أثارت هذه الفرقة اهتمام التونسيّين المهتمّين بفنّ التمثيل، والإمكانات الكبيرة التي يحملها، من النواحي الأدبيّة والثقافيّة والفنيّة، وأيضاً، كوسيلة للرقيّ بالوطن، والحفاظ على اللغة العربيّة والثقافة العربيّة في وجه محاولات الاستعمار الفرنسيّ لمحق هذا كلّه.[١٢]

من هنا، نتبيَّن دور الروّاد الذين وفدوا من لبنان إلى مصر، التي كانت تنعم بجوّ نسبيّ من الحريّة، ساعد على خلق نهضة مسرحيّة، عربيّةِ اللغة والاتجاه.

من بين أولئك الروّاد جورج أبيض الذي ولد في ١٥ أيّار ١٨٨٠ م، في فندق صغير يقع في جوار مسجد الخضر في بيروت واسمه فندق السعادة.

وكان لجدّ الطفل اسم آخر، جرجس حاتوني، من قرية دلبتا؛ ولسبب اللون الأبيض الناصع لبيته لقّب أبيض على لقب حاتوني. ويقال إنّ السبب الحقيقيّ هو بياض قلب الجد الطيّب.[١٣]

وقد تلقّى أبيض علومه في مدرسة الحكمة، ونال شهادتها سنة ١٨٩٧م. ثم عُيّن في بعض الوظائف، ولكنّه لم يستقرّ فيها طويلاً، إذ غادر لبنان إلى مصر حيث حلّ في الإسكندريّة، في أواخر سنة ١٨٩٨م. وكان فيه عمّه، وبعض أهله وذويه[١٤]. وكان منذ صغره ميّالاً للتمثيل، فكان يشترك في المسرحيّات التي تمثّلها مدرسة الحكمة في نهاية العام الدراسيّ.[١٥]

وقد انضمّ إلى إحدى فرق الهواة، وهي فرقة نادي خرّيجي مدارس الفرير. وكان يساهم في نشاطها التمثيليّ، ويشترك في حفلاتها السنويّة. ثمّ عرض على أسرته أن يسافر إلى باريس ليتلقّى أصول هذا الفنّ، ولكنّه لم يجد موافقة تذكر. إلاّ أنّه ظلّ يلجّ عليها ويتّصل بأولي الأمر، حتّى أتيح له أن يسافر إلى فرنسا، مبعوثاً على نفقة الخديوي عبّاس حلمي، وهناك تقدّم جورج إلى امتحان الكونسرفاتوار، ودرس على يد الممثّل الكبير سيلفان، ثمّ قضى مدّة طويلة في فرنسا يتدرّب على هذا الفنّ، ويشاهد الفرق الكبيرة، حتّى كوّن ذخيرة فنيّة حيّة، رجع بها إلى مصر، ليسهم بدوره في الحركة المسرحيّة. فعن طريق جورج أبيض، عرف التمثيل العربيّ في مصر تقنيّات جديدة، من ناحية الإلقاء، وتدريب الصوت، وتقمّص الشخصيّات. وقد قدّم مسرحيّات عدّة باللغة الفرنسيّة، بادئ الأمر، إلى أن طلب إليه سعد زغلول ـ وكان آنذاك ناظراً للمعارف ـ أن يعنى بالتمثيل العربيّ، فلبّى طلبه، وألّف فرقة ضمّ فيها نخبة من الشبّان المثقّفين.

أستهلّ أبيض نشاطه التمثيليّ العربيّ بمسرحيّة جريح بيروت، وهي مسرحيّة شعريّة، من فصل واحد، لـ حافظ ابراهيم. ثمّ قدّم مسرحية أوديب بعد أن ترجمها له فرح أنطون عن سوفوكليس، بالإضافة إلى العديد من المسرحيّات المترجمة عن اللّغتين: الفرنسيّة والإنكليزيّة. وقد كان صاحب فضل مع فرقته، التي حوت نخبة من شباب مثقّف، بتقديم الآثار العالميّة إلى الجمهور العربيّ، إضافة إلى مسرحيّات عربيّة خالصة ألّفها فرح أنطون مثل مصر الجديدة ومصر القديمة وبنات الشوارع وبنات الخدور. ويعدّ الطور الذي قدّم فيه أبيض مسرحه أوّل خطوة حقيقيّة نحو إيجاد فنّ صحيح مبنيّ على الدّراسة الأصوليّة، متّصل بتراث المسرح الأوروبيّ العتيد.

وهكذا نتبيّن دور الروّاد اللبنانيين الذين هاجروا إلى مصر، وساهموا في تطوّر الحركة المسرحيّة، منذ منتصف القرن التاسع عشر.

(١) نجم، محمّد يوسف: م. س. ص ٩٥
(٢) نجم، محمّد يوسف: م. س. ص ٩٥
(٣) نجم، محمّد يوسف: م. س. ص ٩٥
(٤) نجم، محمّد يوسف: م. س. ص ١٠٠
(٥) م. ن. ص ١٠٣
(٦) م. ن. ص ١٠٤
(٧) محفوظ، عصام: م. س. ص ٨٤
(٨) نجم، محمّد يوسف: م. س. ص ١٠٧
(٩) محفوظ، عصام: م. س. ص ٨٤
(١٠) م. س. ص ١٠٧
(١١) نجم، محمّد يوسف: م. س. ص (١١١ ـ ١١٢)
(١٢) الراعي، علي: «المسرح في الوطن العربيّ». عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، ع ٢٥، صفر/ربيع الأوّل ١٤٠٠هـ ـ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠م، ص ٤٩٧.
(١٣) محفوظ، عصام: م. س. ص ١٠١
(١٤) نجم، محمّد يوسف: م. س. ص ١٥٢
(١٥) نجم، محمّد يوسف: م. س. ص ١٥٢

وأنَّ بياضَ اللفتِ حِمْلاً بدرهمِ

وأنَّ بياضَ العينِ عارٌ على الفتى

وأنّ العيونَ السُّودَ ترمي بأسهمِ

حُسْنُ الاختيار

قال أحد الأعراب يوماً لأولاده: والله لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا.

قالوا: لقد عرفنا أنّك أحسنتَ إلينا صغاراً وكباراً، فكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟

قال: تخيّرتُ لكم من الأمّهات من لا تُعَيَّرون بها.

لسانك حصانك

الكلام في وثاقك ما لم تتكلّم به، فإذا تكلّمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهنك. فربَّ كلمة سلبت نعمة، وجلبت نقمة.

عاد بخُفَّي حُنين

كان هناك إسكافيّ يقال له «حُنين»، أتاه أعرابيّ فساومه في خفّ، واختلفا على الثمن حتى غضب «حنين» فأراد كيد الأعرابيّ. فأخذ الخفّ وطرح منه فردة في طريق الأعرابي، ثمَّ ألقى الفردة الأخرى على مسافة منه في الطريق. وكَمَنَ بينهما بحيث لا يراه الأعرابيّ وهو في طريق عودته. فلمّا مرَّ الأعرابيّ بأحد الخفّين قال: ما أشبه هذا بخفّ «حنين»! ولو كان معه الآخر لأخذته؛ ومضى. فلمّا انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأوّل. فعقل ناقته وأخذ الخفّ ورجع في طلب الآخر. فخرج «حنين» من الكمين وأخذ الناقة وما عليها ومضى؛ فلمّا عاد الأعرابيّ إلى قومه سُئل: بماذا أتيتَ من سفرك؟ فقال: بخُفَّي حُنين.

لهذا خلق الله الذباب

حُكي أنّ المنصور كان جالساً، فألحّ عليه الذُباب حتّى أضجره. فقال: انظروا مَنْ بالباب من العلماء؟ فقالوا: مقاتل بن سليمان، فدعا به ثمّ قال له: هل تعلم لأيّ حكمة خلق الله الذُباب؟ قال: ليُذِلَّ به الجبابرة. قال: صدقت، ثمّ أجازه.

فطنة وذكاء

كان العَالِم نصير الدين الطُوسيّ قد تنبّأ بخسوف القمر قبل حدوثه، وذلك أيّام هولاكو المغوليّ الذي حكم بغداد منذ ما يَزيد عن سبعماية عام؛ فأرسل هولاكو في طلبه وأمر بقتله إذا كان كاذباً، ثمَّ أودعه السجن بانتظار موعد الخسوف. وفي ذلك الموعد حصل الخسوف. لكنّ هولاكو كان نائماً، ولا يجرؤ أحد على إيقاظه. وأتى الناس إلى الطوسيّ في سجنه يخبرونه بنوم هولاكو. لكنّه استنفر ذكاءه، وأشار إلى الناس أنّ الحوت هو الذي ابتلع القمر وأكله، وأنّه لن يلفظه إلاّ إذا قرعوا الطبول وضربوا بالعصيّ على أواني النحاس، ونادوا بأعلى صوتهم ليطلق الحوت القمر.

وقد كان ذلك، حيث عَلَتِ الجلبة والضوضاء، وارتفع الصراخ، فاستيقظ هولاكو وقام من نومه، ورأى خسوف القمر، وتأكّد من صدق الطوسيّ وصحّة تَنَبُّئِه، وأطلق سراحه.

عانده الحمار.. فذكر حبيبته

لمع السيف في يد عنترة في إحدى معاركه، فذكر حبيبته وقال:

ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ

منّي، وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي

ووَدَدْتُ تقبيلَ السيوف لأنّها

لَمعَتْ كبارقِ ثغرِكِ المتبسِّمِ

فقرأ أحد الظرفاء هذه الأبيات، وبينما كان يجرّ حماره على السكّة الحديد، عانده الحمار وتوقّف عن المسير، والقطار آتٍ من بعيد، فذكر حبيبته وكتب يقول:

ولقد ذكرتُكِ والحمارُ معاندي

فوقَ الحديدِ وقد أتى البابورُ

ووددتُ تقبيلَ الحمارِ لأنَّهُ

في طَبْعِهِ خُلُقٌ إليكِ يُشيرُ

محاسن الطرب في بدائع العرب

د. سوسن النجّار

على الرّغم من السمة التي صبغت لغتنا العربيّة، وخصوصاً في عصرنا الحاليّ، والتي طرحت اللغة العربيّة بين أقرانها كمثال للّغة الجامدة الصعبة التي تستحيل عبئاً على الدارس المتلقّي، وعلى الملقّن، في آن معاً، في بعض الأحيان؛ وعلى الرّغم من تلك الغصّة التي تتّقد في يراع كلّ محبّ ومتذوّق للّغة، وكلّ فكر يلتقي على أثير التراث، والهويّة... والجماعيّة... وعلى الرّغم من تلك الأوحال من التداعي والانحطاط التي سقطت فيها لغتنا، إلاّ أنّ اللغة العربيّة كانت ولا زالت تموج بألوان مختلفة من النماذج التي تصدّت لمحاة الزمن التي أوشكت أن تمحو من ذاكرتنا أطياف الصحراء والشعر ومعلّقات امرئ القيس، وروائع المتنبيّ، لتبقى «أشهر من نارٍ على علم»، ولتكون سفينة تبحر إلى حيث «لا يُخفى القمر!»، يلتقي على متنها «شَنٌّ وطَبَقَة»، في رحلة من الألحان اللغويّة وجمال الكلمة، وقوّة الديباجة والسبك، نتماثل بها دون وعي منّا... اللهمّ، فقط، كونُها دخلت في اللاوعي الإنسانيّ لدينا، وحُفرت في ذاكرتنا الجَماعيّة الكبرى التي، حاشا أن تدركها أيدي النسيان بغبار الاندثار...

وعليه، كان لي هَمٌّ اختيار بعض نفائل العرب من طرائف وبدائع لأضعها بين الأسطر المكتوبة، وفيها ما فيها من المتعة في القراءة والإفادة اللغويّة والمسلكيّة، للقارئ الكريم، لكي لا ننسى... ولكي تبقى لنا هويّة...

فصاحة

سأل هشام بن عبد الملك فتىً أعرابيّاً عن عمره، فقال له: كم تَعدُّ يا فتى؟

الفتى: أَعدُّ من واحد إلى ألف وأكثر.

هشام: لم أرد هذا، بل أريد أن أسألك كم لك من السنين؟

الفتى: السنون للخالق عزَّ وجلّ.

هشام: أقصد، ما سنُّك؟

الفتى: سنّي من عظم.

هشام: إنّما قصدت ابن كم أنت؟

الفتى: ابن اثنين طبعاً، أب وأم.

هشام: أريد أن أسألك كم عمرك.

الفتى: الأعمار لا يعرفها إلاّ الله.

هشام: لقد حيّرتني، فماذا أقول؟

الفتى: قل، كم مضى من عمرك؟

ما أحسن هذه الكناية

وقفت عجوز على قيس بن سعد، فقالت: أشكو إليك قلّة الجرذان؛ فقال: ما أحسن هذه الكناية! املأوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً. وقال بعض القصّاص في قَصَصِه: اللهمَّ أقِلَّ صبياننا وأكثر جرذاننا.

سمراء وبيضاء في حضرة الحجّاج

التقت في حضرة الحجّاج جاريتان، واحدة بيضاء، والثانية سمراء؛ وراحت كلّ واحدة منهما تفاخر بنفسها أمامه. قالت البيضاء:

ألم ترَ أنّ البدرَ لا شيء مثله

وأنّ سوادَ الفحمِ حِمْلاً بدرهمِ

وأنّ عباد الله بيضاً وجوهُهُم

وأنّ الوجوه السُّودَ حَشوُ جهنّمِ

فأجابت السمراء:

ألم ترَ أنّ المسكَ لا شيءَ مِثْلَه

د. أمين الريحاني

بخور مريم

قَضَيْتُ العُمْرَ أَبْحَثُ لا أفْهَمْ
وُجُوْدَ الله يَكْتُبُهُ حَنانُ الأُمْ
طَوَيْتُ الدَّهْرَ أُرِيْدُ أنْ أَعْلَمْ
سِرَّ اللهِ يَرْسُمُهُ ضِيا مَرْيَمْ

***

أَعْتَرِفُ لَكِ يا أُمَّ الله
كَيْفَ يُتَمْتِمُ ظِلُّ الشِفاه
بَقايا صَلاةٍ عَبَثِيَّة
كَيْفَ يُنِيْرُ سِرُّ الإله
ظُلْمَةَ عُيُوْنٍ بَشَرِيَّة.
ورَغْمَ فُصُوْلِي الوَثَنِيَّة،
رَغْمَ حُرُوْفِي الزَّمَنِيّة
أُرَدِّدُ: سِرَّ الله، أُمَّ الله.

***

قَضَيْتُ العُمْرَ ...

... ...

***

أُمَّ الله، أُمَّ الحنان،
عَيْنَ الله، عَيْنَ الزَّمان،
انفُخِي فِي أَضْلُعِي رُوْحَ الله،
بَرِّدِي بِأَدمُعِي جَمْرَةَ الأَحْزان.
يا أَمِيْرَةً أَدْرَكَتْ سِرَّ الصَلِيْب
يا مَلِيْكَةً أَشْرَقَ فِيْها وَجْهُ الحَبِيْب
أَشْرِكِي حَرْقَتِي بِظِلِّ ابْنِ الإنْسان.

***

قَضَيْتُ العُمْرَ ...

***

دَمْعُكِ البِكْرُ لا يَجِفّ
وَجْهُكِ جَفْنٌ لا يَرِفّ
قَلْبُكِ كَوْنٌ لا يَسْأَمْ
نَبْضُكِ زَهْرُ المَسِيْح
يُلَوِّنُ الأَرْضَ، لا يَنْقَمْ.
عِطْرُكِ دَهْرٌ فَصِيْح
يُحْيِي رَمِيماً، يَسْأَلُ، لا يَكِفّ
كَيْفَ يُزَيِّنُ العُمْرَ، مَدَى العُمْرِ
بِخُوْرُ مَرْيَمْ.

***

قَضَيْتُ العُمْرَ ...

***

التّذكير في ألقاب الإناث

د. جوزيف الياس

سمعت مذيع إحدى المحطّات الإذاعيّة يعلن عن لقاء سيُعقَد وحوار سيدور بين السّيّدة مقدِّمة أحد البرامج وكلّ من «الأمينة التّنفيذيّة للّجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغربيّ آسيا» (الإسكوا) الدكتورة ميرفت تلاّوي، والمديرة العامّة لوزارة الشّؤون الاجتماعيّة الدكتورة نعمت كنعان. ولدى تقديم كلّ من السّيّدتين، كنت أُباغَت وأحسب في البداية أنّ تغيّراً طرأ على المنصب، لأنّ اللّقب الرسميّ أو الوظيفيّ كان يُقرَأ مذكّراً، كأن يقول المعلن «الأمين التنفيذيّ للإسكوا» و«المدير العامّ» لوزارة الشّؤون الاجتماعيّة. لكنّ المباغتة والدّهشة انقلبتا إلى انزعاج من هذه البدعة التي كانت بدايتها مع «النّائب» بدل «النّائبة»، وطوّرها الإعلام اللبنانيّ لتصبح ظاهرة مرَضيّة خطيرة لا علاج لها إلاّ بالمواجهة الجريئة، وبالتّصدّي لبعض الإعلاميّين العابثين باللّغة.

قلت إنّ هذه البدعة بدأت مع «النّائب» بدلاً من «النّائبة» لمن يكون لها شرف تمثيل المواطنين في المجلس النّيابيّ، و«النّائب» اسم فاعل يؤنَّث بالتاء. لكنّ بعض المتحذلقين طوّر هذه البدعة، فقاس عليها، وذهب بها في مذاهب شتّى، فإذا بأسماء وصفات كثيرة يبقى مؤنّثها في صيغة التّذكير نحو «الوزير، والمدير أو المدير العامّ، والرّئيس، والمفتّش، والقاضي، والنّائب العامّ، والمدّعي العامّ، والأمين العامّ، والسّفير، والمُحامي...». وتأنيث هذه الكلمات بالتّاء واجب.

لقد آن للإعلاميّين اللّبنانيّين من صحافيّين ومذيعين أن يعرفوا أنّ كلّ مشتقّ في العربيّة يقبل التأنيث بالتّاء في آخره، إلاّ ما كان منه على وزن «أَفعَل» الذي يؤنَّث على «فَعْلاء»، و«فَعْلان» الذي يؤنَّث على «فَعْلى»، و«أَفعَل» (اسم التّفضيل) الذي يؤنَّث على «فُعْلى»، وما كان ممّا استوى فيه التّذكير والتّأنيث كبعض مبالغات اسم الفاعل[1]، وأنّ الاسم المنسوب يؤنَّث بالتّاء أيضاً (لبنانيّ لبنانيّة، قَرَويّ قَرَويّة). وقد يوصف بالجامد من الأسماء، فيستوي فيه التّذكير والتّأنيث ككلمة «عضو» التي نقول فيها «رجل عضو وامرأة عضو في الجمعيّة». أمّا ما كان من الأسماء أعجميّاً معرَّباً (الأستاذ، الدكتور...) فيستوي فيه الأمران، أي التّذكير والتّأنيث مع المؤنّث، لكنّ تأنيثه أَوْلى. وفي رأيي أنّ الاسم الأعجميّ المعرَّب قديماً بات أشبه بالأصل العربيّ.

وقد عالج هذا الموضوع، بشيء من التّفصيل في الماضي، زميلان (وصديقان) أوّلهما الأستاذ أحمد حاطوم في مقالة له في «النّهار» يوم ٢١ كانون الأوّل ١٩٩٢، وثانيهما الدكتور مصطفى الجوزو في مقالتين له في «النّهار»، نُشرت أولاهما في ٢٤ آب ١٩٩٣، والثّانية في ١٨ كانون الثّاني ١٩٩٤. فمن شاء المزيد فليعدْ إلى المقالات الثّلاث.

فلو استمرّ أصحاب البدع في ضلالهم هذا لَوجب أن نقيس على أحكامهم ونعمِّم، فيزول، مع الزّمن، تأنيث الصّفة بالتّاء من لغة الضّاد زوالاً تامّاً، ويصبح لزاماً علينا أن نقول في الأنثى: « المعلّم، المربّي، الفلاّح، العامل، الكاتب، الشّاعر، الأديب، الطّالب، التّلميذ، الرّاعي، التّاجر، البائع...». وإنّي لأرى أخيراً أنّه سيكون على السّيّدة المذيعة نفسها (مقدِّمة البرنامج)، حين تقصد مدرسة الأولاد، أو مدرسة «الأحفاد» يوماً ما، أن تخاطب رئيسة المدرسة، إن كانت راهبة، بالقول «حضرة الرّئيس الأخت فلانة...»، وتخاطب مديرة المدرسة، إن لم تكن راهبة، بالقول «حضرة المدير السّيّدة فلانة...». فأرجو أن يحسب الكتّاب بعامّة، والإعلاميّون بخاصّة، حساب هذا المنزلق الخطير الذي ينزلقون فيه، والذي يدفعون باللّغة العربيّة إليه. فما يفعلونه ليس تجديداً في اللّغة، ولا توليداً للفظ، بل هو إفقار للّغة إن لم يكن قتلاً لها. كما أرجو أن يحذر القرّاء الاستجابة للدعوات «المشبوهة»، التي يدعو إليها بعض الإعلاميّين ممّن يريدون أن يقولوا: «نحن هنا، وقد أتينا بجديد». ولي عودة إلى جديد هؤلاء وتجديدهم.

ألا فليعلم هؤلاء الذين يذكّرون المؤنّث أو ينعتونه بوصف المذكّر، أنّهم يعانون ضعفاً أو مركَّب نقص إزاء العربيّة. ولا عجب، فهم قد ركّبوا ألسنة اصطناعيّة، وأصبحوا لغويّين أو ألسنيّين، وبات التّصرّف في اللّغة طوع بنانهم. ولِمَ العَجَب بعد أن أصبح بعض الإعلاميّين لغويّين، وأصبح اللّغويّون تلامذتهم؟

وإنّي لآملُ أخيراً أن يعي الإعلاميّون عظم المسؤوليّة، فما يتكلّفون موقفاً مصطنعاً، ولا يشترون حضوراً لغويّاً زائفاً، ما دام غرضهم صوغ الخبر وإبلاغه القارئ (أو إفهامه إيّاه) بلغة عربيّة سهلة وسليمة.

(١) ذكر اللّغويّون من هذا النّوع بعض الصّفات التي هي بمعنى «مفعول». وثمّة صفات مختصّة بالنّساء تلازمها حالة التّذكير، نحو «حامل وحائض وطالق ومُطفِل».

ذاتُ الذكريات

جورج مغامس

هو: أجلسُ إلى عينيك، يا هَنَايَ بعد هذا السَّفر.

هي: تعودُ إلى بيتكَ. يضمُّكَ حبّي.

هو: يلوذُ الشَّوقُ بحنانك.

هي: ضفّتان أنا، وشجري عليك قصيدةُ الورد.

هو: أُنشدُك في مَدَايَ. فيضُ قلبي أنتِ في نَجاوى المزامير. وحناجرُ العصافيرِ من مسافاتِ أطيافك السَّعيدة.

هي: يا الجالسُ في سُكوني وجُنوني، امنحْ جمالي مجدَ رضاك.

هو: لمجدِ جمالك حياتي. وصلاتي: إكليلُ الكرامة على جبينك، العمرَ كلَّه.

هي: أنتَ جبينُ عمري. وعمريَ القربانُ لعمرك. ويا ما أحلاها أيّامُنا كنخلةٍ تخطُّ قامتَها فوق تاريخِ الرَّمل.

هو: يا زهرةَ الرّمل أنت، ليكن الليلُ والنّهارُ باباً لك ونافذةً إلى الرَّحبِ من الغبطةِ في الوَجْدِ العميق.

هي: في الوجدِ العميق وطني.

هو: في الوجدِ العميق وطنُنا.

****

هي: ما أدراكَ ما في رياحي من لواعجَ وصَبَوات، لكأنّما هي البحرُ يتدثّرُ بالصحراء أو الصحراءُ تندسُّ في البحر.. ويحيا عناقٌ قديم.. يأتلفُ التوأمان في الرَّحمِ الأولى!

هو: مباركٌ كلُّ أوّل. وأوّلُ ما كنّاهُ إشراقةٌ: فظُنَّ أنَّ العطرَ صارَ زهرةً أو نجمة. ولولا نَبْضٌ في الدَّمِ شاهقٌ لَمشيناها خُطىً حتّى الانخطاف..

هي: وإنّا، تَذكرُ، على الشَّاهقِ أرسينا غدَنا، ورفعنا مَناكبَه إلى حدائقِ الأنوارِ مباهجَ-مناهج.

هو: عصفورا حبٍّ نحن في الحدائقِ تلك، نَنسجُ في براعمها حَكَايانا؛ فنحن إذاً حَكَايَاها في سُنْدُسِ الألوان وعَبَقِ النَّشَوات.

هي: ولن تُحْبَسَ أختامُ الطِّيب. فالضَّوءُ سيرةٌ، والضَّوعُ مسيرةٌ. بنا نملأُ الفضاءَ. يصيرُ فضاءَنا: من نداءِ عيونِنا ورَقَصِ الأنفاس.

هو: من فضائنا، صارت السَّماءُ كتابَ الأزرقِ، بيتَ الأسرارِ وكلُّ قمرٍ مسافرٍ في الأحلام.

هي: في الحُلمُ أنتَ يا قمري، يا مَساحةَ الرَّجاء في مَدَاراتِ الأحزانِ التي تُريقُ رُوَاءَ هذا العالَم.

هو: لولاك ما كان عالمي! ما كانت الحياة؟!

****

هي: هاأنذا البخورُ، صعِّدْني دعاءَكَ الزكيَّ من تأجُّجِ جمرك، وَلْيلبسِ الشِّعرُ وشاحَ روحي المضمَّخةِ بروحك.

هو: دون روحك أصيرُ وحشةَ الغربة، والقَفْرَ النّاحبَ، وعَبَثَ السَّراب.

هي: لا تَقُلْ! أنا لكَ البرجُ والمنارة، ومرساةُ الشّاطئ، وزادُ المَعَاد. وأنا كِسْرةُ الخبزِ، والدِّفءُ، وقهوةُ الصّباح، وهَدْهَدَةُ المساء...

هو: من فجريَ إلى فجريَ أنت. أنت الفجرُ الدّائمُ في ارتحالي صوبَ مَرَاقي الحياة. وهي شمسُك تُشرقُ في غاباتي، وتُشيعُ في عروقي عذبَ الينابيعِ وهُنَيهاتِ غناءِ الطَّيرِ والشَّجر...

هي: أَسْكِنّي بَعْدُ غاباتكَ. أَسْكِنّي الطَّرَب. اجترحْني صوتَكَ، النّايَ من جُرحِ القَصَب.. جرحِ العَصَب.. وأَسدِلْ عليَّ جفنيكَ: آه ما آمَنَ ما أنا! ما أنبلَ مَرتعَك!!

هو: فيَّ: أنت أنا. كلانا الجوهرُ والوجودُ. كلانا وجودُ الجوهر، وجوهرُ الوجود. كلانا..

هي: كلانا واجبُ الوجودِ للآخر. فظُنَّ خيراً، ولا تَسَلْ عن السَّبب...

****

هو: لَهَفي عليك، كيف أنتِ تَنزحين، كلَّ يومٍ، يوماً، إلى أعماقي! صرتِ فيَّ السِّنين، تكدَّستْ على السِّنين. تقدَّستِ المُعتَّقاتُ!!

هي: أَتَنامى فيكَ جبلَ الطِّيب من رسوخِ أعمقَ إلى شموخِ أرفعَ.. وأَتَهادى المُتَوَّجةَ في رحابِ هيكلك!

هو: أيَّتُها الرَّحبةُ، ما أرحبَ قامتَك في هوايَ ورُؤاي! أنتِ امرأةُ الرؤيا.. امرأةُ التجلّيات الكبرى.. امرأةُ الوصول..

هي: أيُّها الرَّجلُ، يا آخرَ المطاف.. أطوفُ بأبعادكَ أنا تَوْقاً إلى أقاصيك، إلى الأقصى فيك، إلى الكُلّيِّ الصّفاء..

هو: نَرتقي.. نَلتقي. إلى الصَّفاءِ نَرتقي. في الصّفاءِ نلتقي. إنّنا اللقاءُ يَصدحُ في ضميرِ الحياة!

هي: أنتَ الصريحُ والمُضمرُ في ما أنا.. أصرِّفُك فعلَ الحضورِ في واقعي ومُرتجاي، وأُسندُ ذاتي الوديعةَ إلى ذاتكِ الأثيرة.

هو: أستودعُك ذاتي. لا شيءَ أغلى أستودعُك بَعد. بلى، ما لنا من ذكريات...

هي: تُراها الذّكرياتُ.. ذكرياتُنا.. تاريخُ حياتنا.. أغلى من الذّات؟!

هو: وهل نحن، بعد انقضاءِ العمر، إلاَّ ذاتُ الذّكريات؟!...

كأنْ أسقطتِ ذاكرتي

ريمون شبلي

من بينهنَّ.. وكانَ الإختيارُ كما
شاءَ التّمنّي.. وصرتِ الوردةَ الأغلى
وحولي الوردُ أطيابٌ ملوَّنةٌ
ولونُ عطركِ في عينيْ هو الأحلى
أشعلتِ قلبي حنيناً صامتاً، وهَوىً،
على طُمأنينةٍ من صَمْتِه، صَلَّى
غيَّرتِ عينيَّ.. صارَ اللونُ مُنفتِحاً
على الرَّبيعِ.. فشَفَّ الكونُ واحْلولى
غَدوتِ أُغنيّةَ الآتي على وَتَرٍ
من غِبْطَةٍ لم تكنْ، أو تكتملْ قَبْلا

***

نَسيتُهنَّ.. كأنْ أسقطتِ ذاكرتي
كأنّكِ امْرأةٌ من طينةٍ مُثْلى
سَكنتِ عينيكِ يُغريني ربيعُهما
بأخضرٍ مُطمئنٍّ يَنشرُ الظّلاّ
سَكنتِ بالي وأشواقي وأزمنتي
سَكَنْتِني وردةً تَرتدُّني طِفْلا.

تحت مدى القلب

قصائد قصيرة

إيلي مارون خليل

I

إنّي أعلنُ – الآن – حكايتي:
إنّي أحبُّك
أحبُّك، بعدُ
أحبُّك، بعدُ، أكثر
شُرْفَتُك مَطارُ قلبي
بَيْتُك مدارُ طُرُقي الشّاعره
ولا تذبلُ بسمةُ روحك الهادره
ولا تيبسُ إشراقةُ قلبِك في الذّاكره
لا
ولا أنسى غرفتَك الهادئةَ العاصفه
ولا ملامساتك الخصيبةَ، اللّهيفةَ، الرّاجفه
أنتِ... البعيده
أنتِ... القصيده
أللاّتزالُ، في قلبي،
حائرةً، دائره.

II

أختفي فيكَ
أُطلُّ من عينيكَ
أُسدلُ وقتاً بيننا!
أمحوهُ..
أدخلُ حُلمَكَ
أقفزُ منه إليكَ
أدخلكَ
أنغلقُ عليكَ
أغمرُ غيابكَ
وفيه أذوبُ..
أطفرُ منكَ..
نسيماً بين ذراعيكِ

III

أشمُّكِ أشمُّك
فإذا جسدي عطرُكِ
أبوسُكِ أبوسُك
فإذا شفتايَ جسدُكِ
أتذوّقُكِ أتذوّقُك
فإذا جسدنا اشتعالُ الحلمِ
ونشوهُ الذّاكره

VI

بوَجْهِ مَفاتنكَ
أُشْهِرُ جسدي
إحْتَفِ به
ولْنبدأ مَراسِمَ الشِّفاه

V

معاً سألْنا:
ما نُسَمّي ما بيننا!؟
هَتَفَ الحبُّ سعيداً:
سمّيْتُ ما بينكما:
الإقامة
في قلب القصيده!

من مجموعة بعنوان:
متناثراً في كلماتي
– تصدر قريباً –

أرسانيوس الفاخوري

- هو فارس بن يوسف الفاخوري
- ولد في بعبدا ١٨٠٠
- أُرسل إلى روما ١٨١١ لتلقّي علومه في المدرسة المارونيّة
- عاد ١٨١٤ ليدرّس اللاهوت في مدرسة عين ورقه
- ١٨٢٦ سامه البطريركيوسف حبيش كاهناً واتّخذ اسم أرسانيوس، وعيّنه في السنة التالية (١٨٢٧) أميناً لسرّه
- توفّي في ٢٧ تشرين الأوّل ١٨٨٣

من أعماله الأدبيّة

- روض الجنان في المعاني والبيان
- الميزان الذهبيّ في الشعر العربيّ
- زهر الربيع في فنّ البديع
- الروضة اللبنانيّة في شرح البديعيّة
- شرح ديوان المطران جرمانوس فرحات
- شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي
- كفاية الطلاّب في التصريف والإعراب
- قواعد اللغة السريانيّة
- قصائد مختلف.

«قال ناظم هذه القصيدة الخوري أرسانيوس الفاخوري واصفًا ثمرة الحبّ الإلهيّ متخلّصًا إلى مدح القسّ نعمة الله الحرديني الراهب اللبنانيّ الطوباويّ الذي توفيّ منذ خمس سنوات في دير كفيفان واشتهر في عمل العجائب. حرّر في ٢٥ تشرين أوّل سنة ١٨٦٣.»

لَقيّة

مدح الحردِيني
للخوري الفاخوري

وهذا برهانٌ جديد على القول القائل «اثنان أنقذا العربيّة القرآن ولبنان»، بل زد وقل «رهبان لبنان»!

تبدّت لنا الصهباءُ ليلاً فما ألطفْ
منزّهةٌ عن لحظ كلِّ نواظرِ
لقد عبقتْ فيه روايحُ فضله

أَرَتْنا شعاعًا في الدياجي فما أظرفْ
وهل يُلحظُ العاري من المأنف الأكثف
ونَمَّ به عَرفٌ لأنف الورى عَرَّف

فطرّفني في الأفقِ مطلعُ غرّة
صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هواءٌ
وغبَّ جهادٍ في سبيلِ فضايلِ

بجبهة ليلٍ قلتُ اعجبْ بما طَرَّف
ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا مألف
فرقّاه مولاه إلى رَبعه الأشرف

تمدُّ الدراري والبروجَ أشعّةً
بها غادرَ الأترابَ والصحبَ ناسكٌ
وفي الأرضِ أبدى مجدَه بعجايبٍ

فمنها غدت بالحسن أشكالُها توصف
وقَسٌّ وذو زهدٍ ومَن للدُعا يَعكف
على يده تبدو وضمنَ السما يُتحف

فمالكةٌ خُلُقاً يُجلُّ بقدره
وودَّ بها عشّاقُها حالةَ الفنا
فطوباكَ يا مولاي يا مالكَ السنا

وكنهُهُ من كنه الملا والورى أشرف
وكانوا بلونٍ عن غرامهم عُرّف
أسألُكَ بُرءًا لسَقَمي أنا المُدنَف

وأقدمُ عهداً مِنْ أَلَسْتُ بربّكم(١)
وفرَّ محبّوها إلى القفرِ والتجوا
عليك اتّكالي لا تَكلْني على سوا

فليس لها بدءٌ ولا مُنتهىً يُعرف
إلى نَفَقٍ مستصحبين البَهَا الألطف
كَ يا مَن حيا جَدواك طَامٍ فلا يَنشف

يبرّد غلَّ الصبِّ رشفُ كؤوسها
ورادوا لهم كهفًا وغاراً به اختفَوا
ركايبُ آمالي إليكَ أسوقُها

ويضرمُ قلبًا باردًا ذلك المرشف
وراموا أفاحيصًا فكانت لهم مَكنف
فمَن علّق الآمالَ فيك فلا يَضعف

تُبادُ المساوي والمكارهُ والأسى
بها ربحوا ربحًا جزيلاً بوزنة
أنا المبتلي قد جئتُ جُودَك راجيًا

بجاماتها الملأى ومن صرفها تُصرَف
ونالوا جزاءً من إله لهم أنصف
شفاءً من البلوى فمَن جاءَهُ يُسعَف

سناها أفاد اللبَّ خلّةَ حكمة
ومن نعمة الله العليِّ وفضله
أيا منهلاً حلوًا كثيرًا زحامُه

وللجهل عن قلبِ الأنامِ السَنى حرَّف
أَصبْنا نوالاً لا يُحدُّ ولا يوصف
فكم صادرٍ كم واردٍ عادَهُ يَرشف

تفوقُ شذًا تَربى على المسكِ نفحةً
فيا نعمةَ الله الأبَ المصطفى فَجُدْ
أيا موردًا يُروى الظَمى من زُلاله

وتسمو على اللذّات أجمعَ ذي القَرقف
عليّ بها إنّي إلى وصلها أَكلف
وعنه انثنى الصادي وعقدُ الثنا مُتحف

فناهيكَ من راحٍ إلهيّةٍ علَت
فهذا الذي أسكرتْهُ مُدامةٌ
أديرَ كفيفان فُديتَ لكَ البقا

مقامًا وللأسماعِ ذكرٌ اسمها شَنّف
إلهيّةٌ قد كان من كاسها يَرشف
ففيك لمحتاجٍ ذخايرُ لا تَتلَف

فكم أوقدتْ نيرانَ حبٍّ لخالقٍ
وهام بعشقِ الله منذ صبائه
ويَجذَلُ لبنانٌ لأنّه لم يزَل

بقومٍ وهذا الحبُّ للسكرِ قد آلف
وفي حبّه للجسمِ من نُسكه أضعف
يرى من بنيه مَن إلى ربّه يَزلف

وكم فرقةٍ باتوا سكارى بحرّه
له تركَ الأهلين والأمَّ والقُرى
فمن فضل أمِّ الله مريمَ وابنها

وغابوا عن الدنيا ومنهم لهم أتلف
وخلّى أبًا مع كلّ شيءٍ له خَلّف
أصاب مقامًا ساميًا في الحمى الأظرف

وكم من أصاحيبٍ أراقوا دماءَهم
وفي دير رهبانيّةٍ عاشَ راهبًا
ومن لاذ بالعذراء نال كرامةً

فيا لَدمٍ للاثمِ نقّى كذا نَظّف
يرنّمُ باسمِ الله واللفظُ مُستطرَف
ويَغنمُ مجداً مَن إلى حضنها يَزحف

تُردَّدُ يدُ الأفهامِ عن وصف سرّها
يَهذُّ نهارًا ثمّ ليلاً بفرضه
عليها سلامٌ كلّما هبّت الصَبا

وهل يوصفُ السرُّ الخفيُّ عن الأعرف
يكدُّ ببرٍّ بالاماتةِ مُستردَف
عليها سلامٌ طالما ناظمٌ فَوَّف

* لمزيد من المعلومات، تُراجع مجلّة المشرق، السنة ٣ (١٩٠٠)، صفحة ٦٠٠- ٦١٦

شـهّـل يـا قيصـر

أنور صابر

«ضيعة قنّوبين» قرية نسيها الزمان، ففقت من دون حراك على جانب طريق التاريخ، ولم يوقظها حتّى أهلها، فتركوها وهاجروا إلى بلاد الله الواسعة.

تقع «ضيعة قنّوبين» في عمق وادي قاديشا، وتنتشر بيوتها العتيقة وجلولها على سفوح ذلك الوادي المهيب، وبين صخوره المعلّقة بين الأرض والسماء، كأنّها كتاب مؤلَّف من صفحة واحدة، أو لوحة قديمة رسمها فنّان مُلْهَم، فاستراحت على الحائط منذ مئتي سنة.

لم يكن يخطر ببالي، في زيارتي إلى دير سيّدة قنّوبين، أنّ أحداً يسكن تلك البيوت. وكنت أعتبر، مقتنعاً، أنّها ضيعة مهجورة منذ أكثر من مئة سنة، لأنّ طريق السّيارات لا تصل إليها، ولأنّ طريق الحافر، التي تتراءى إليك من بعيد، تبدو وعرة المسالك ومحفوفة بالمخاطر. فمن يمكنه العيش هناك في زمن الغنج والدلال وفي عصر المرسيدس وبيار كاردان؟

.. إلى أن أُخبرتُ أنّ بضع عائلات لا تزال تعيش هناك.

وتمرّ الأيام، وأنزلُ ضيفاً مكرّماً على الأب منير فخري، رئيس دير مار اليشاع في بشرّي. (فهذا الراهب الفاضل لم يكن يدري ماذا كان ينتظره عندما أعطاني مفتاح إحدى الغرف مبتسماً وقائلاً: «يا أهلا بأنور». فقد حلّ أنور ضيفاً شبه أبديّ، ثابتاً غير متزحزح، ناصباً خيمته طوال أشهر الصيف والخريف من العام ٢٠٠٠.)

في إحدى الأمسيات الخريفيّة، في مسامرة ضمّت أيضاً الأب برنار يزبك، قلت للأب منير:

– أين تقع سيّدة الكرم؟

فنظر إليّ متعجّباً وقال:

– أَوَتكون متخصّصاً بكنائس العذراء ولا تعلم؟

– لا!

– ولا أنا!

فنظرت إلى الأب يزبك مستوضحاً، فقال لي بدعابته المعهودة:

– مش حارقلي قلبي إلاّ إنّي أعرف من وين بتجيب هالخبار.

فقلت له:

– يخبر ابن بلدتك حصرون، سمعان عوّاد، الذي كان كاتم أسرار البطريرك اسطفان الدويهي، قبل أن يصبح هو بطريركاً، أنّه كان بمعيّة البطريرك اسطفان عندما كانا منحدرَين من بلدة الحدث إلى دير سيّدة قنّوبين، وأنّهما مرّا وصلّيا في كنيسة سيّدة الكرم....

فقال الأب منير:

– إذاً، هذه الكنيسة يجب أن تكون في وادي قنّوبين.فَلْنسأل.

وأمسك الهاتف وتكلّم مع أحد معارفه، ولم يلبث أن قال:

– سيّدة الكرم هي كنيسة قائمة في «ضيعة قنّوبين»....

قلت:

– هل تعرف أحداً يمكنه أن يكون مرشدي للوصول إلى هذه الكنيسة؟

– بالتأكيد. قيصر. إنّه ابن ضيعة قنّوبين ويسكن في حصرون.

وأمسك هاتفه من جديد، وبعد دقائق قليلة كان لي موعد في الغد مع قيصر.

****

وصل قيصر في صباح اليوم التالي إلى باحة الدّير وهو يقود جرّارته الزراعيّة، وصاح بأعلى صوته الراعد:

– وين بوقّف هالتراكتير يا بونا الريّس؟

فضحك الأب منير وقال لي: ليك قدّيشو صاير لبق.

لم ينتظر قيصر أيّ جواب، فأوقف جرّارته، ونزل منها قافزاً كالغزال، بقامته الهائلة الضخامة وشاربيه العظيمين، وتوجّه صوبنا مُحيّياً بأعلى صوته:

– صباح الخير بونا الريّس. حضرتو السايح؟

فأكمل الأب منير ضحكته وقال:

– هيدا هو. بعدو جايي من باريس. اهتمّلنا فيه.

– عا راسي إنت وكلّ ولاد باريس.

****

جلس قيصر في السيّارة حشراً، بعد أن أرجعت له الكرسيّ إلى الآخر.

– سوق يا أستاذ.

– عالوادي؟

– عالوادي. جبت معك موي؟

– لشو الموي، ليش رايحين عا حلب؟

– متل ما بدّك.

وانطلقنا نزولاً في شعاب طريق وادي قاديشا حتّى قعره، وسلكنا الطريق الترابيّة التي توصل إلى مقربة من دير سيّدة قنّوبين، تلك الطريق التي تمتدّ لأكثر من خمسة كيلومترات.

ترجّلنا من السيّارة، ووقف قيصر كالنسر على حافّة الوادي قائلاً لي:

– معك عصا؟

– لا

– انتبه على كلّ حال....

وقلت لقيصر بشيء من التردّد والريبة:

– قدّيش بدنا تا نوصل؟

– ما تعتل همّ كا إستاذ. فشخة.

– يحرق بيّ هالفشخة. كيف بيكونوا التلات فشخات لَكَان؟

تنحدر الطريق إلى قعر الوادي انحداراً شبه عموديّ، بين الصخور وأدغال السنديان، بما لا يقلّ عن الكيلومتر، فتصل إلى مجرى نهر قاديشا، ثمّ تبدأ بالصعود الذي يشبه التسلّق، على اللحف الجنوبيّ، باتّجاه الغرب، بما لا يقلّ عن الكيلومترين، حتّى تصل إلى أوّل البيوت

الفضيلة: كذبة!

الأب بطرس بو ناصيف ر.م.م

وحده يطير من دون أجنحة، من يظنّ نفسه بأنّه يطير!...

فمن هو الطائر؟ ومن هي الأجنحة؟ ومن يظنّ نفسه بأنّه يطير؟

الطائر هو أنا، والأجنحة هي أنت، ومن يظنّ نفسه بأنّه يطير هو أحد الاثنين منفرداً.

الفضيلة كذبة كبيرة، فيها تظهر الحقيقة مشوّهة فيُحْتَرَمُ العَادِمُ بالعَدَمِ. الفضيلة قاتلة السعادة وساكبة السمّ في أكواب مذهّبة بمصالح خاصّة. الفضيلة وهْمٌ لأنّها تكذب على ذاتها وتدعو الآخرين إلى اتّباعها. الفضيلة رجاء المتعالين، وكبرياء الفارغين، ولباس المهرّجين... نعم إنّها أفضل أنواع الفضيلة في الذين يدّعونها ويفاخرون بامتلاكها، وهم بأثواب فضيلتهم يسترون غاياتهم ويبيّتون مراميهم.

قد يعاتبني البعض بأنّني استعملت كلمة «الفضيلة» في غير محلّها، وإنّي لأوافقهم الرأي لأنّ الفضيلة لا تستطيع أن تكتسي إلاّ بالجمال والإيجابيّة، ولكن كيف نستطيع أن نكلّم أشخاصاً لا يعرفون استعمال القيم والكرامات والجمالات إلاّ ليبرزوا خمر سكرهم في كؤوس من قيم، وهشاشة أرواحهم في بسمات مزيّفة، ودناءة نفوسهم المستترة بعزّة النفس. لذلك، فالفضيلة بالنسبة لهم ليست نتيجة قناعة وقيم، إنّما تصميم مسبق على إبراز ما ليس بحقيقة... فالكلام مع هؤلاء يكون صعباً إذا خاطبتهم بغير خطابهم، ولكن عندما تكلّمهم بالفضيلة ولو كانوا لم يسمعوا بها، فإنّهم يستمتعون بوقع حروفها الطنّانة، مع أنّهم لا يتوانون أبداً عن استعمال مضمونها على طريقتهم الخاصّة. وبذلك لعلّهم يجدون في عكس ما يفكّرون نوعاً من الجمال، ولو كان غريباً عن فضائلهم، فيرتدعون، أو أقلّه قد يفكّرون في تغيير مسلكهم.

يا مدّعي الفضيلة، لا أستطيع أن أطلب منك أن تنظر حولك وإلى نفسك، لأنّك لا تدرك ما حاجة النظر الذي ينقلك من الواقع إلى الخبرة والتفكير والتحليل والحكمة، فكلّ شيء بالنسبة لك هو لسان من دون عقل، وقناعات من دون قيم، وأحكام من دون مضمون؛ فأحكامك ليست سوى انعكاس لما في داخلك.

إذا قلت لمدّعي الفضيلة، ناضل!!! فإنّه يهبّ مندفعاً في خدمة ما لا يستحقّ النضال، فيبني مجده على جثث الناس، وحكمته على سرقة ما فاضت به العقول، وعاطفته على حنان يخفي أنياب الليوث.

وإذا قلت له أحبب!!! فيجيبك أنّ حبّ نفسه فخر، وحبّ الآخر وسيلة.

وإذا قلت له تواضع!!! برّر نفسه بمركزه، وعبّر أنّ المركز يتطلّب كبرياءه، مع أنّه نسي فرشاة التبييض والتحمير والتخضير التي استعملها ليصل.

وإذا قلت له كن حنوناً!!! لبس، فوق أظافره الناتئة المقرفة المتوحّشة، أكفّاً، وظنّ أنّ الغباء كاف لعدم رؤية ما وراءها.

وإذا قلت له كن عادلاً!!! أجابك بفخر غير موجود سوى في نفسه: إنّ العدل خادمي، والحقيقة أَمَتي، والحياة قراري.

فالأفضل أمام واقع نصادفه كلّ يوم أن نحاول تغيير ما يشرّعه واقع أصحاب العباءات المقصّبة، التي تلبسهم ولا يلبسونها، أي لأصحاب الفضيلة التي تنام صباحاً، وتعمل ليلاً، وتطير بأجنحة الآخرين، وعندما تصيح ديوكها تظنّ بأنّها هي مصدر الصباح الآتي.

الفضيلة هي حاجة عالمنا اليوم، ولكنْ أيّ فضيلة؟

الفضيلة التي ترتكز على قيم سماويّة، وليس على أحاسيس شخصيّة؛ فهي عالم من الحبّ، يذوب متواضعاً كلّما تفاعل مع الحياة. صاحب الفضيلة يظلّ فضيلاً طالما لم يدّعِ امتلاكها، وعندما تسمع أحداً يقول لك أنا صاحب فضيلة سلّم على روحه ونفسه وبشّره بأنّ الفضيلة عنده هي رداء يستر الكبرياء. فصاحب الفضيلة يجهلها في ذاته، ويعرف أنّها حاجة قلبه الدائمة، فيكون مثل الظامئ إلى الحقيقة الذي لا يرتوي أبداً. الفضيلة هي انعكاس لصورة الله ومثاله الكامنة فينا، وهي جوهرة يزيد جمالها وتألّقها كلّما تعرّضت لنور الحقيقة الإلهيّة. الفضيلة هي نتيجة لحياة داخليّة متصوّفة، تقرأ الحياة بعين إلهيّة وأخرى إنسانيّة. وعندما تصبح الفضيلة غاية بذاتها تضيع في عالم التفتيش الذي يتقن القشور ولا يعرف عشق الجوهر. إنّها كلمة تحمل مضامين ثمار الرّوح القدس «المحبّة والفرح والسّلام والصّبر واللطف وكرم الأخلاق والإيمان والوداعة والعفاف. وهذه الأشياء ما من شريعة تتعرّض لها» (غلاطية ٥: ٢٢-٢٤)

فيا أخي الذي تتقن فنّ إبراز الفضيلة، حاول أن تتقن مضمونها.

قطاف... قطاف...قطاف...

شوقي عيد

إذا كنت في حاجة لأن تنقّى

اقرأ، ثمّ اقرأ الكتاب المقدّس. إنّه مصباحك في كلّ وقت.

أنتَ حزين وقلق؟ اقرأ يوحنّا ١٤

خبث العالم وشرّه يخيفانك؟ اقرأ المزمور ٢٧

ضميرك يتعبك؟ اقرأ المزمور ٥١

المستقبل يخيفك؟ اقرأ متّى ٦، ١٩-٣٤

أنت في خطر؟ اقرأ المزمور ٩١

أنت مكتئب ومهموم؟ اقرأ المزمور ٣٤

تشعر أن الله بعيد؟ اقرأ المزمور ١٣٩

تشمئزّ من الحياة؟ اقرأ أشعيا ٤٠

تشعر بالوحدة وأنّك مرفوض؟ اقرأ المزمور ٢٣

لا تعرف كيف تشكر الربّ؟ اقرأ المزمور ١٠٣

تتساءَل لماذا الدّين والإيمان؟ اقرأ العبرانيّين ١١

أنت على حافّة اليأس؟ اقرأ الرومانيّين ٨، ٣١-٣٩

لا تتحلّى بشجاعة كافية لمجابهة الحياة؟ اقرأ يشوع ١عن Almanac

NDU

How can anyone fail to show some love to a site that is the object of the maternal affection of the Blessed Virgin Mary?

It s a site deeply bonded to the glorious name of Mary and it was built on the solid foundations of the reverend fathers piety for the Queen of the Universe.

It is a place that is occupied by many souls deeply devoted to Mary.

Louaizé has always been a marial source and the Virgin has given it inspiration.

الصّفدة... مَثَلٌ يُقتدى

أتمنّى لكلّ إنسان أن تكون له حكمة الاقتداء بالصّفدة التي تنتج اللؤلؤة. عندما تتسرّب حبّة رمل إلى داخل الصّفدة، تنزعج هذه وتتضايق. ولمّا كانت لا تستطيع إخراجها، تطوّقها بإفرازات تحوّلها إلى حجر ثمين.

أفهل تستطيع أفعال الصبر والمحبّة والغفران عندنا أن تتحوّل إلى جواهر، ويكون الذي ضايقنا وأزعجنا مصدَر سعادتنا وسببَ خلاصنا؟

عن **Messager de St. Antoine**

If the New Testament is the book of Christians, the life of Christians should be the book of pagans.

Mozart gave us the smile of God,

Beethoven gave us the power of God,

Bach gave us the word of God,

God gave us MUSIC to pray silently.

Almanac

المسكونة.
قلت لقيصر وأنا ألهث:
– فشخة؟
فضحك قيصر وقال:
– هلّق بترتاح، روق. هيئتك خسِع.
كانت قد مرّت ساعة على بداية سيرنا المُضنِك، حين اقتربنا من أحد البيوت القائمة على شير صخريّ عظيم، كأنّه وكر نسور، فصاح قيصر بصوت دوّى كقصف الرعد:
– حطّي الركوة يا مَرين.
فسمعنا صوتاً نسائيّاً يجيب من علُ:
– حطّك ببوز مدفع. وينك مقطوعة خبارك يا مضروب؟
وصلنا بعد طول عناء وارتقاء إلى بيت مرين، فاستقبلتنا بالترحاب.
هي امرأة في العقد السادس، قويّة البنية، غامقة الملامح، تتقمّط منديلاً على الطراز القديم، مربوطاً بعقدة فوق جبينها. شربنا الماء والقهوة في جوّ من الفرح والدعابة، وهممنا بمتابعة المشوار.
– حيّدوا بالرجعة، قالت مرين، بيكون رجع فرج الله.
بعد بيت مرين، أصبحت الطريق مستوية قليلاً. وقف قيصر متطلّعاً إلى معالم الوادي الرائع الجمال وقال لي:
– مش حرام يا إستاذ هالضيعة؟ هودي ولاد مرين هاجروا. كلّ الضيعة مش باقي فيها أكتر من عشرين ختيار وختيارة، ولادن شي ببيروت وشي بحصرون وشي مهاجر. عنّا بأوسترالیا وحدها ألفين نفس مهاجرين من الضيعة.
لم أعلّق على كلام قيصر، متذكّراً ما أعرفه عن تصنيف الأونيسكو لوادي قاديشا تُراثاً عالميّاً، ما يمنع أيّة إنشاءات وشقّ طرقات فيه، وما يجعل الحياة في الضيعة تبقى كما كانت في القرن التاسع عشر وما قبل.
مررنا ببيوت مهجورة عديدة قبل الوصول إلى التجمّع الأساسيّ للقرية، حول سيّدة الكرم.
– هِه. هيدي الكنيسة. تا نجيب المفتاح من عند ديب.
وصاح قيصر كعادته:
– وا ديب. جبلنا مفتاح الكنيسة وقلاّ لمرتك تحطّ الركوة.
– شو باك نازل ركوه وقهوة يا زلمي؟
– روق يا أستاذ. هودي بيزعلوا إذا ما شربنا عندن قهوة.
أتى ديب بالمفتاح قائلاً لقيصر:
– يعطينا بركة صلاتك، قدّيشك تقي، اسم الله عليك.
– وإنت دَخْلَك قدّيشك صاير مهضوم. هيدا الإستاذ بدّو يفوت يصوّر الكنيسة. ووقاف إنت حدّ المذبح، بركي بيحسّبوك تمثال مار الياس.

****

ديب سبعينيّ صلب. يعتمر لبّادة ويرتدي الثياب الكاكي. البسمة لا تفارق وجهه النحاسيّ الجميل.
وصلنا إلى دارته وجلسنا على السطيحة.
– أهلاً بالإستاذ.
– فيك التأهيل. فرصة سعيدة.
– هيئتك مهذّب. شو مخلّيك ترافق هالمنزوع؟
أجاب قيصر:
– ما حدا نزعني غيرك، عاشر القوم أربعين يوم... شو أخبار هالولاد بأوستراليا؟
– مناح. شغلن ماشي. رايح لعندن بعد جمعتين.
– شو باك عامل متل ابن بطّوطة. كم مرّة صرت رايح وجايي عا أوستراليا؟
– تلات مرّات وهيدي الرابعة. ما قدرت عيش هونيك يا زلمي.
فتأمّلتُ ديب بتعجّب. مَن يتصوّر أنّ هذا القرويّ البسيط يسافر إلى أقاصي الأرض ويعود ليعيش هذه الحياة البدائيّة؟
طال الحديث وكثرت الأخبار؛ وبعد القهوة بدأت زوجة ديب تحمل الطبق تلو الطبق وتضعه أمامنا:
– من حواضر البيت، لا تواخذونا.
– شو عم تعملي يا ستّ، نحنا بدنا نفلّ.
– ولو يا إستاذ، معقول؟
وعلّق قيصر:
– بدّك تفلّ وما تدوق عرقات أبو يونان؟
ثمّ استوى وبدأ شرباً والتهاماً وكلاماً.
– تفضّل يا إستاذ.
– دوق عرقات أبو يونان.
ذقت العرق. عرقٌ جيّد فعلاً. والمآكل البلديّة لذيذة المذاق.
كأس، فثانية، فثالثة، اكتفيتُ بعدها.
– شو باك يا أستاذ، قال قيصر بفم ملآن. زِيد.
– شكراً. لا تنسَ أنّ مشواراً بعيداً ينتظرنا.
– ولا يهمّك. زِيد.
وأكمل قيصر ورشته، وأمّ يونان تأتي بالطبق تلو الطبق.
– يا قيصر لازم نفلّ، بَرَد الهوا ورح تشتّي.
– ولا يهمّك، ما فيه شتي.
واستمرّ الرجلان يأكلان ويشربان ويتحادثان أكثر من ساعة.
– شهّل يا قيصر دخيلك.
– شو صاير عليك يا أستاذ، شو كلّ يوم رح تجي لعند أبو يونان؟
بعد الغداء الماراتوني، جاء دور القهوة مجدّداً. وأخيراً هوّنها الله واكتفى قيصر.
ودّعنا أهل البيت وغادرنا، وعدنا إلى معاناة المشي. وفي منتصف الطريق، بدأ المطر ينهمر.
– ما فيه شتي آه؟
– بسيطة وك يا إستاذ، شو رح نتشّ؟
وازدادت زخّات المطر قوّةً، ولا مكان نحتمي به.
– هلّق بْتصحا.
ولم يتوقّف المطر قبل وصولنا إلى السيّارة.
نظرتُ إلى قيصر فرأيته كالصوص المرنّخ، فضحكتُ خصوصاً على شاربيه اللذين تدلّيا فوق فمه، وقلت له:
– انفلش جلدك عليك؟ نِزْلِتْلَك لِيِّه؟
فأجابني من خلال شاربيه:
– معك حقّ وك يا إستاذ. بسّ ما تقلّي إنّو عرقات أبو يونان ما بيستاهلوا هالترنيخه.

مريم العذراء في فكر القدّيس أفرام السريانيّ

مع تعريب

لأناشيد في الطوباويّة مريم العذراء منسوبة إلى القدّيس أفرام

يُقسم الكتاب إلى قسمين: الأوّل دراسيّ حول حياة القدّيس أفرام ومؤلّفاته، وبالأخصّ حول مخطوط أناشيد مريم من خمس زوايا: أفرام والكتاب المقدّس، مريم في الكتاب المقدّس، مريم ونظريّة التألّه الشرقيّة، العقائد المريميّة في فكر القدّيس أفرام، ولاهوت أفرام المريميّ في الفكر الكنسيّ.

أمّا القسم الثاني فيضمّ ترجمةً لعشرين نشيداً في الطوباويّة مريم العذراء.

فهذا المؤلّف، كما جاء في تقديم الأباتي فرنسوا عيد، «هو مساهمةٌ جادّة في إكمال مسيرة مضيئة، بدأها كبار في العلم والمعرفة لنشر الآداب السريانيّة وتراثاتها... فكتاب الأب بيار نجم يقدّم، للمرّة الأولى، مترجمةً إلى اللغة العربيّة، مجموعةً من عشرين نشيداً، منسوبةً إلى القدّيس أفرام السريانيّ، مع مقدّمة بحثيّة تاريخيّة ولاهوتيّة وكتابيّة وافية، ما يحمل القارئ على فهم المعلّم المريميّ».

المؤلّف: الأب بيار نجم ر.م.م.

طبعة: ٢٠٠٤

اللغة: العربيّة والسريانيّة

عدد الصفحات: ٢٣٤

The Virgin Mary in the Thought of Saint Ephraem the Syriac:

Hymns Dedicated to the Holy Virgin Attributed to Saint Ephraem

This book is divided into two major parts. The first part is a biographical examination of the life of Saint Ephraem and a study of his most important writings, especially the hymns dedicated to the Holy Virgin; this part is in itself is divided into five chapters: Ephraem and the Holy Bible, Mary in the Holy Bible, Mary and the Eastern Theory of Deification, Marian dogmas in the thought of Saint Ephraem, and the Marian theology of Ephraem in ecclesiastical thought.

The second part of the book includes translations of twenty hymns dedicated to the Virgin Mary.

As introduced by Abbot Francois Eid, this book is "a serious contribution to the illuminating journey that began with eminent and learned scholars to spread Syriac literature and heritage…The book of Father Pierre Najm presents, for the first time, twenty hymns attributed to Saint Ephraem the Syriac translated into Arabic and annexed with a historical, theological and literary introduction that helps the reader to understand the Marian teacher."

Author: Father Pierre Najm R.M.M.
Edition: 2004
Languages: Arabic & Syriac
No. of Pages: 234

The Summit of Johannesburg for Continuous Development:

Facts and Aspirations

This is a small booklet that deals with the preparations, discussions, suggestions and recommendations of the Summit of Johannesburg for Continuous Development, the role played by Lebanon in it and the outcome of such participation in view of the interests of Lebanon.

Co-authors: Dr. Georges Abou Jaoude, Dr. Berj Hadjian, Dima Al Khateeb, Dr. Antoine Karam, Malek Ghandour.
Edition: 2004
Languages: Arabic & English
No. of Pages: 70

قمّة جوهانسبرغ للتنمية المستدامة ما لها وما عليها

كتيّب، من القطع الصغير، يدور على ما كان من تحضيرات ومناقشات واقتراحات وتوصيات في قمّة جوهانسبرغ للتنمية المستدامة، ومدى ما كان من مشاركة للبنان في هذه القمّة، وما يتوقّعه من تأثيراتها عليه في حدود اهتماماته ونشاطات الهيئات الفاعلة فيه.

المشاركون: د. جورج أبو جودة، د. بيرج هتجيان، ديما الخطيب، د. أنطون كرم، مالك غندور.

طبعة: ٢٠٠٤

اللغة: العربيّة والإنكليزيّة

عدد الصفحات: ٧٠

الجـامعـة توقّـع كتبهـــا

تعمد دار النشر في جامعة سيّدة اللويزة إلى المشاركة في مختلف معارض الكتب الكبرى في لبنان، للتأكيد بالأخصّ ليس على حضورها النوعيّ المطّرد فحسب، بل على إيمانها أيضاً بما للكتاب من دور بالغ الأهميّة في تفعيل حيويّة المجتمع وتنميتها، ولاسيّما متى كان هذا الكتاب على غرار العديد من الكتب التي تصدرها دارنا، والتي هي آراء مؤتلفة ومختلفة في العديد من المسائل اللبنانيّة الملحّة.

ومن الكتب التي تمّ توقيعُها في معرض الحركة الثقافيّة- أنطلياس، كتاب «**على درب المدينة**» (جزءان) للدكتور الباحث عبدو القاعي، وهو مجموعة أبحاث في المواطنيّة والمدنيّة والشأن العام على مدى عشر سنوات في نطاق سلسلة مؤتمرات الجامعة حول الشأن العام في قضايا الناس؛

ثمّ كتاب «**الجبل الملهم**» لشارل قرم، الذي يصدر للمرّة الأولى مترجماً إلى الإنكليزيّة بقلم الدكتورة كارول كفوري.

وكتاب «**جان عزيز: الانسان والديوان**»، وهو عمل للدكتور معين رحّال، الذي له فضلُ جمع القصائد وتحقيقها ثمّ التعريف العام بصاحبها.

فكتاب «**الأسواق الناشئة، تمويل المؤسّسات الصغيرة والمتوسّطة والنموّ الاقتصاديّ: دراسة الحالة اللبنانيّة**» للدكتورة فيفيان نعيمة، وهو بالفرنسيّة.

... ومن حفلات التوقيع، تلك التي جرت في فرع الجامعة ببرسا الشمال، احتفاءً بالجزء الرابع من موسوعة: **العذراء مريم في لبنان- منطقة الكورة** للأستاذ أنور صابر. وقد جاء هذا التوقيع إثر كلمات للمطران الياس قربان والمونسنيور يوسف سويف ممثّلاً المطران يوحنّا فؤاد الحاج والمؤلّف، في حضور رئيس الجامعة الأب بطرس طربيه والأساتذة والموظّفين وجمهور المدعوّين.

المطران قربان، وبعد أن تحدّث عن الأيقونات وما تمثّل وطرق رسمها، توجّه بالشكر إلى «الجهد الكبير الذي قام به المبدع أنور صابر وكلّ من عاونه في إتمام هذا العمل».

والمونسنيور سويف الذي وصف الكتاب بأنّه «كتاب- دليل، يشكّل من الناحية العلميّة والأكاديميّة مدخلاً إلى دراسات معمّقة ومتخصّصة في العلوم الإنسانيّة واللاهوتيّة»، انتهى إلى القول «يأتي كتاب الأستاذ صابر ليساهم في تنمية الحسّ الفنيّ الإيقونوغرافيّ واللاهوت المصلّى عبر الأيقونات فنواصل نحن أبناء اليوم ما ورثناه في كنائسنا من هندسة وفنون وجدرانيّات وأيقونات تحمل اختبار الآباء العميق وتحمّلنا مسؤوليّة نقل هذه التجلّيات الإيمانيّة والجمالات الايقونوغرافيّة فنجيب نعم على مثال العذراء مريم وندلّ بأيدينا وشهادة حياتنا الناسَ إلى الكلمة- الحقّ فنساهم في بناء حضارة المحبّة في لبنان والشرق».

وكان، في الختام، كلمة للمؤلّف «زلمة العضرا» على ما يسمّيه أصدقاؤه، بيّن فيها طرائقَ عمله ووسائلَه ومتاعبَه، ما راعى من شروط علميّة وموضوعيّة، منوّهاً وشاكراً بالتالي لجهود وأيدٍ ذاتِ بصمات في إخراج هذا المشروع المريميّ إلى النور...

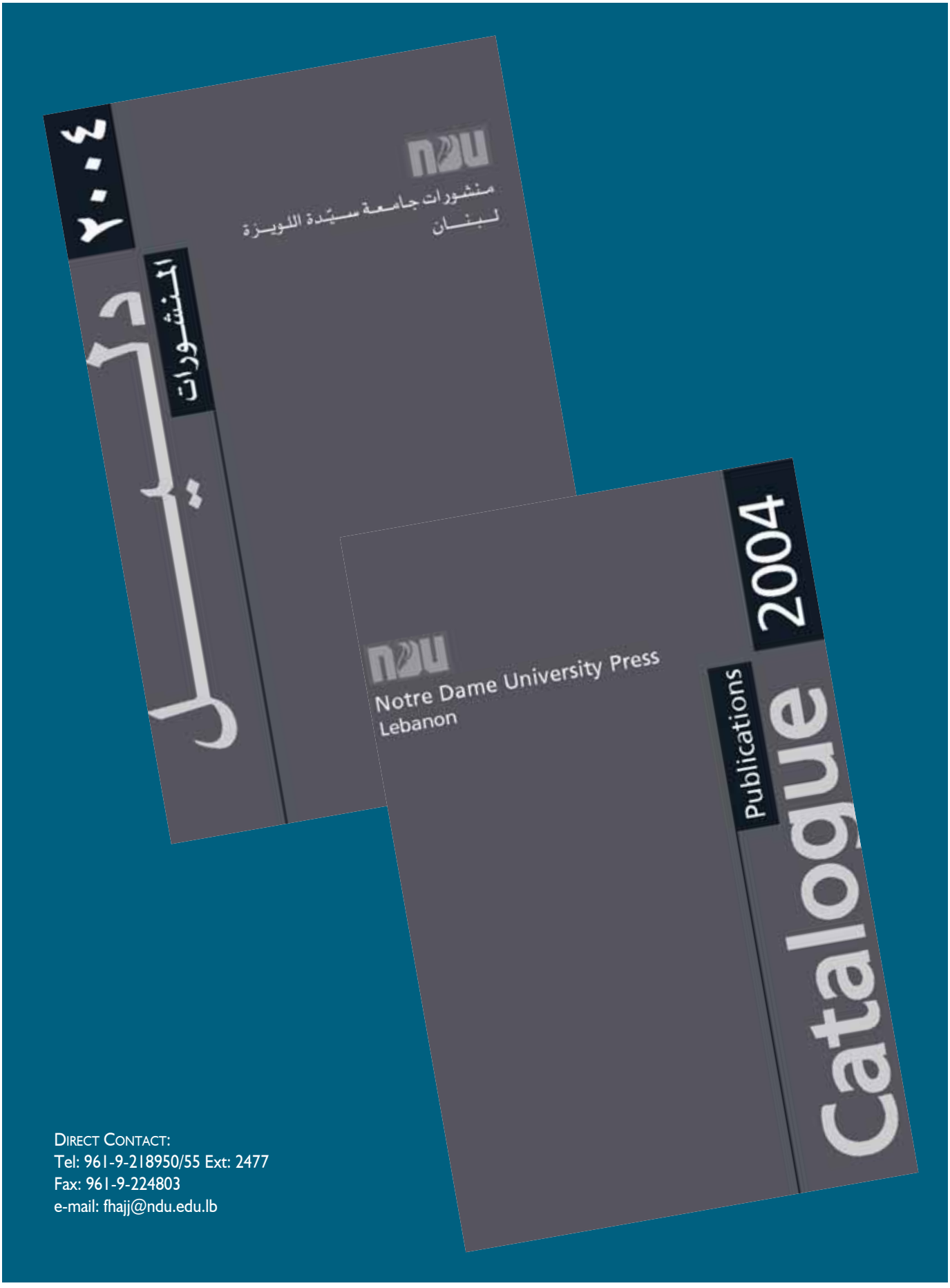

DIRECT CONTACT:
Tel: 961-9-218950/55 Ext: 2477
Fax: 961-9-224803
e-mail: fhajj@ndu.edu.lb

O My Friends!

O My Friends! is an Arabic literary journey from 1991 to 2004, covering books and authors, on various occasions and friendly gatherings. There are some eighty texts concerning about seventy personalities, speaking from heart to heart in delicate style, shedding light on their subject in a light and sensitive language, and showing what the fine art of expression can be.

Author: Suheil Matar
Edition: 2004
Pages: 334

أيّها الأصدقاء

«أيّها الأصدقاء» رحلةُ قلم، من مطلع العام ١٩٩١ إلى مطلع العام ٢٠٠٤، في كتب وكتّاب، وفي احتفالات ومناسبات وإخوانيّات... فإذا الكتابُ في حوالى ٨٠ كلمة في نحو ٧٠ اسماً، كلُّه من القلب إلى القلب، بما هو عليه من صراحة أنيقة، وإشارات مضيئة، وطَبعيّة هيّنة ليّنَة، ولغة رشيقة مُثيرة... فيُهدى ويُهدى إليه في كيف يكون فنُّ القول الجميل...

الكاتب: سهيل مطر
الطبعة: ٢٠٠٤
عدد الصفحات: ٣٣٤

To You, My Lord, I Pray.

Thirty-three roses from the heart and from the journey of a lifetime presented by Suheil Matar to "all those who forget to pray, those who are shy to pray, those who have never learned how to pray…" These are a series of soliloquy prayers he recited to himself, to people and to God simply and spontaneously. It is his true self stripped of all masks. Nor does he forget in his prayers those who loved him and those he loved from the smallest corner of his existence to its macrocosmic dimensions.

Edition: 2004
Language: Arabic
No. of Pages: 170

إليك يا ربّ أصلّي

ثلاث وثلاثون زهرة من القلب.. من مشوار العمر، يقدّمها سهيل مطر «إلى الذين ينسون أن يصلّوا، إلى الذين يخجلون أن يصلّوا، إلى الذين لم يصلّوا بعد...». فهي صلوات صلاّها أمام نفسه، وأمام الناس، وأمام الله.. بطبعيّة، وبساطة وعفويّة. إنّها هو بكلّ ما فيه.. في حقيقته الخالية من المساحيق والأقنعة. ولا ينسى من أحبّوه، ومن أحبّهم.. من أضيق دائرة في الوجدان إلى أوسع دائرة...

الكاتب: سهيل مطر
طبعة: ٢٠٠٤
اللغة: العربيّة
عدد الصفحات: ١٧٠

National Interest concerning Pope John Paul II's Apostolic Exhortation "New Hope for Lebanon"

This book is an insight into what the believer and the citizen should know concerning his national duties and his rights and what motivates him to participate in the political, public and national life or at least to become interested in the affairs of his nation.

Besides the national aspirations in the first part of the book and the conclusions and recommendations in the last, the book is divided into five main chapters: Building the Lebanese Society (which political, economic or educational system?) - National Commitment (participation, liberties, human rights) - National Dialogue (who will participate in the dialogue? What are the methods of dialogue, a dialogue of dogma or a dialogue of life?) - From the Document of National Consent of the Apostolic Exhortation up till Today (was the National Consent document implemented? Where are we today regarding the National Consent document and from the Exhortation?) - Solidarity with the Arab World (one fate, common cultural heritage, human advancement, etc...).

Co-authors: Father Boutros Tarabay - Archbishop Roland Abou Jaoude - Patriarch Mar Nasrallah Boutros Sfeir - Suheil Matar - Boutros Harb - Riad Salameh - Issam El Khoury - Issam Fares - Saoud Al Mawla - Shakeeb Qortbawi - Nayla Mouawad - Rabab Al Sader - Archbishop Beshara Al Rai - Samir Franjieh - Monah Al Solh - Fadia Kiwan - Abdo El Qai.
Edition: 2004
Language: Arabic
Pages: 156

الشأن الوطنيّ في الإرشاد الرسوليّ «رجاء جديد للبنان» للبابا يوحنّا بولس الثاني

ما ينبغي على المؤمن وعلى المواطن أن يعرفه بشأن واجباته الوطنيّة وحقوقه، وما يحفّزه على الانخراط في الحياة السياسيّة والعامّة والوطنيّة، أو أقلّه الاهتمام بالشأن الوطنيّ... هو ما يمكن تحصيله، على الجملة، من هذا الكتاب.

فالكتاب، فضلاً عن التطلّعات الوطنيّة في البداية، والخلاصات والتوصيات في النهاية، يتوالى في خمسة محاور أساسيّة: بناء المجتمع اللبنانيّ (أيّ نظام سياسيّ، واقتصاديّ، وتربويّ؟) - الالتزام الوطنيّ (المشاركة، الحريّات، حقوق الإنسان) - الحوار الوطنيّ (المتحاورون وأساليب الحوار، حوار العقيدة أم حوار الحياة؟ ما هي غاية الحوار؟) - من وثيقة الوفاق الوطنيّ إلى الإرشاد الرسوليّ إلى اليوم (هل طبّقت وثيقة الوفاق الوطنيّ؟ أين نحن اليوم من وثيقة الوفاق الوطنيّ ومن الإرشاد؟) - التضامن مع العالم العربيّ (المصير الواحد، التراث الثقافيّ المشترك، الترقّي الإنسانيّ).

المشاركون: الأب بطرس طربيه - المطران رولان أبو جودة - البطريرك مار نصرالله بطرس صفير - سهيل مطر - بطرس حرب - رياض سلامة - عصام الخوري - عصام فارس - سعود المولى - شكيب قرطباوي - نايلة معوّض - صلاح حنين - ميشال إدّه - محمّد السمّاك - عبّاس الحلبي - جورج افرام - ألبير منصور - رباب الصدر - المطران بشارة الراعي - سمير فرنجيّه - منح الصلح - فاديا كيوان - عبدو القاعي.

طبعة: ٢٠٠٤
اللغة: العربيّة
عدد الصفحات: ١٥٦

من منشورات الجامعة

سلسلة الشأن العام

سلسلة الشأن العام

تشكّل هذه السلسلة منذ انطلاقتها في العام ١٩٩٤، سجلاً وثائقيًّا للحلقات الدراسيّة التي ينظمّها مكتب العلاقات العامّة في الجامعة حول قضايا الناس وشؤونهم الحياتيّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة.
ومن مزاياها أنّها تجمع، إلى الأبحاث التي يتولاّها الباحث عبدو القاعي أو استطلاعات الرأي التي تجريها مؤسّسة "ريتش ماس" بإشرافه، أهل الاختصاص إلى أهل الإدارة وذوي المسؤوليّات السياسيّة لمناقشة الهموم الشعبيّة المطروحة.
وذلك يشمل البُنى التحتيّة في لبنان، وقضايا التربية، والصحّة، والمواصلات، والطاقة المائيّة والكهربائيّة، والحريّات السياسيّة، والانتخابات النيابيّة، والديمقراطيّة، إلى جانب الشؤون الثقافيّة ودَور الجامعة في معالجة هذه القضايا خدمةً للأجيال الصاعدة من اللبنانيين. وتتوالى هذه الإصدارات، مع كلّ ندوة أو مؤتمر أو حلقة دراسيّة، بحيث باتت تشكّل سجلاً نابضًا بالآراء والرؤى، مُعزّزاً بالإحصاءات، وذلك حول مختلف شؤون الحياة اللبنانيّة وشجونها في السنوات العشر الأخيرة.

General Public Interest Series

Since its first publication in 1994, this series has formed a documentary register for all the seminars and workshops organized by the Public Relations Office at the University, dealing with the concerns of the public and their daily, social, political and economical problems.
One of its advantages is that it gathers researches supervised by Dr. Abdo Kahi, or surveys of public opinion undertaken by Reach Mass Institute under his supervision as well. Also, it gathers specialists with managers, administrators and politicians to discuss the current popular concerns: infrastructure, education, health, transportation, water and electricity, political freedom, parliamentary elections and democracy.
This is in addition, of course, to cultural issues and the role of the university in treating these issues in the service of the upcoming Lebanese generations. These publications are issued with each seminar or conference or workshop and have become a vibrant register of thoughts and visions, which covers an extensive range of studies on of the different aspects of Lebanese life and its problems during the past ten years.

سلسلة الانسانيّات

بدأت هذه السلسلة تسجيلاً لنشاطات جامعيّة في مناسبات أدبيّة، وفكريّة، وثقافيّة، ووطنيّة. ثمّ تطوّرت لتشمل مؤلّفات في الشأن الفلسفيّ، والدينيّ، والتاريخيّ، والعلميّ، والتكنولوجيّ. فلم تعد مقتصرة على الآداب وحدها، أو العلوم دون سواها، بل اتّسع أفقها تدريجيّاً إلى رحاب العلوم الإنسانيّة على اختلاف ضروبها وتداخلاتها. وقد حاولنا أن نوزع هذه المنشورات في الإنسانيّات إلى فئات تفصيليّة تضمّ كلّ باب على حدة، فوفّقنا في بعضها ولم نُوفّق في بعضها الآخر لأنّه يضمّ أكثر من غرض واحد من الآداب والفنون. ففي بعض هذه الكُتُب شيء من التاريخ، وشيء من الأدب، وشيء من الدين. وفي البعض الآخر شيء من السياسة، وشيء من الاقتصاد والاجتماع. لذا، آثرنا أن نُبقيها ضمن التصنيف العامّ في باب الإنسانيّات، الذي يشمل جميع هذه الأغراض منفردة ومتداخلة.
ومن مزايا هذه السلسلة أنّها لا تقتصر على الشأن المحليّ، بل تتجاوزه إلى مواضيع فكريّة تتخطّى حدود الزمان والمكان، وتناقش وجوه المعرفة على غير معيار من معايير العقل والفنّ والجمال.

Humanities Series

This series was established in order to record all the university activities taking place in literary, intellectual, cultural and national events. It developed to include works of philosophy, religion, history, science and technology. Hence, it is no more confined to belles-lettres, or sciences alone. Its horizon has gradually widened to encompass the human sciences – Humanities – in all their aspects and facets. In the beginning, we tried to divide the publications in this series into detailed categories set distinctly apart. We succeeded with some and failed with others because there was more than one kind of literature and art. Some books deal with history, literature and religion; others, with politics, economics and society. That is why we deemed it appropriate to group them under one general category, "Humanities" which includes all topics individually and collectively.
Among the features characterizing this series is the fact that it is not confined to public interest but rather surpasses it to include intellectual topics that transcend spacio-temporal limitations and discusses the facets of knowledge via different aspects of thought, art and aesthetics.

سلسلة المخطوطات اللبنانيّة

يوم قرّرت جامعة سيّدة اللويزة المباشرة في نشر مخطوطات لبنانيّة، منذ القرن السابع عشر حتى اليوم، كانت تدرك أنّ هذا العمل الريادي يتطلّب الجديّة والتعمّق والنَفَس الطويل. لكنّها تغلّبت على أسباب التردّد لقناعتها بأهداف متعدّدة لهذا المشروع الكبير. من تلك الأهداف توجيه بعض الأبحاث الجامعيّة باتجاه إحياء التراث الفكريّ على اختلاف وجوهه الفلسفيّة، واللاهوتيّة، والأدبيّة، والسياسيّة، والتاريخيّة. ومنها إعادة الاعتبار والتقويم للحركة التنويريّة النهضويّة، والعودة إلى جذورها التاريخيّة في القرن السابع عشر وحركة التأليف التي انطلقت من لبنان إلى المشرق العربّي على أيدي علماء وباحثين من رجال دين ودنيا نذروا أنفسهم في سبيل البحث عن المعرفة والحقيقة وأسباب العلم والإيمان.
وخوفاً من ضياع هذا التراث، كانت المباشرة بنشر مخطوطات مختارة في مواضيع مختلفة لا يجمعها سوى البحث عن دور العقل الخلاّق في سلوك الدروب الفكريّة المنتهية إلى الله عن طريق المنطق، والعلم، والحريّة، والآداب، والأخلاق، والثقافة المستنيرة. بدأ هذا المشروع في العام ٢٠٠١ بمعدّل مخطوط واحد في السنة الواحدة. وسيتوالى نشر هذه المخطوطات تحقيقاً للأهداف المذكورة أعلاه. ففي هذه الخطوة اللافتة تكتشف الجامعة نفسها يوماً بعد يوم، وكتاباً بعد كتاب.

Lebanese Manuscripts Series

When the university decided to venture into the publication of Lebanese manuscripts dating from the 17th century up till today, it was aware that this pioneering endeavor would require much perseverance, research and patience. But it has overcome all impediments and causes of hesitation because of its belief and conviction in the goals of this enormous project. One of the goals is to steer some university researches towards reviving the intellectual heritage on different levels: philosophy, theology, literature, politics, and history. The other is to revive the Renaissance Enlightenment and to return to its historical roots in the 17th century. The project intends to shed light on the scholarship which spread from Lebanon to other parts of the Orient through the studies of scientists, researchers, scholars and clergy who devoted themselves to the quest for knowledge and truth in the causes of science and faith. Therefore, lest this heritage be lost, we began the publication of chosen manuscripts on different subjects, which have nothing in common but the search for the role of the innovative and creative mind on the road that leads it to God via the trails of logic, science, freedom, literature, ethics and knowledge. This project was established in 2001 with an average of one manuscript per year, and publications will carry on in the framework of the above goals. Furthermore, it is through this courageous step that the University is confirming its unique identity day after day, book after book.

سلسلة المقرّرات الجامعيّة

رغم أنّ معظم مقرّرات جامعة سيّدة اللويزة تعتمد المؤلّفات المتخصّصة والمنشورة في الولايات المتحدة الأميركيّة، فقد أخذت الجامعة بمبدأ التأليف والنشر المحليّين، وذلك: أوّلاً: إذا كانت المادّة تتعلّق مباشرة بموضوع لبنانيّ، أو عربيّ، أو مشرقيّ، بحيث يأتي التأليف المحليّ أقرب إلى الواقع الاجتماعيّ والثقافي والبيئيّ، وأكثر تفهّماً للمصادر الأوّليّة الأساسيّة حول الموضوع؛ وثانياً: إذا كانت المادة العلميّة العامّة، التي تصحّ في كلّ مكان وزمان، تعاني من أمثلة تطبيقيّة خارجة عن بيئتنا، وتراثنا، ومشكلاتنا الاجتماعيّة والثقافيّة، فتأتي هذه المقرّرات الصادرة عن جامعة سيّدة اللويزة مراعية لتطبيقات وأمثلة مستمدّة من مجتمعنا، وأرضنا، والوطن. وتعالج هذه المؤلّفات مواضيع في العلوم الرياضيّة والاقتصاديّة والهندسيّة والإعلاميّة، إلى جانب الشؤون السياحيّة والفندقيّة وتطبيقاتها في لبنان والشرق الأوسط. وهي تحاول سدّ فراغ في بعض المقرّرات الجامعيّة في لبنان.

University Textbooks Series

Despite the fact that most of the textbooks used in Notre Dame University (NDU) are of a specialized nature and are published in the United States, the University has adopted the practice of local writing and publication in the following cases: First, if the material is directly related to a Lebanese or Arab or Oriental topic, since in such a case the writing will be closer to the social, cultural and environmental situation, and more related to the main sources of the subject. Second: if the general scientific material, which is more or less universal, is presenting applications that are within the scope of our environment, heritage, and social and cultural problems.
These textbooks published by NDU are designed to be adapted to applications and examples based on our society, our land and our country. They also deal with various topics of science, mathematics, economics, architecture, engineering, media, and hotel management and tourism with special consideration for their applications in Lebanon and the Middle East. Moreover they endeavor to bridge the gap left by some university textbooks in Lebanon.

سلسلة الإنسانيات

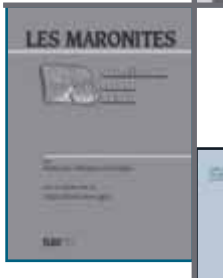

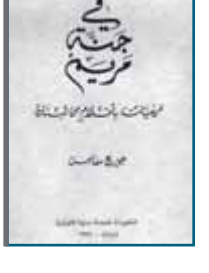

من منشورات الجامعة

سلسلة الشأن العام

سلسلة الإنسانيّات

سلسلة الإنسانيات

سلسلة المخطوطات اللبنانية

سلسلة المقرّرات الجامعيّة